قبل الشتات



التاريخ المصور للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨

وليد الخالدي

هذا الكتاب

كيف عاش الفلسطينيون في بلاد آبائهم وأجدادهم قبل الشتات؟ ماذا كانت إنجازاتهم وآمالهم ومخاوفهم؟ ما هي القوى والتحديات التي واجهتهم؟ ماذا كان وقع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عليهم منذ بدئه في ثمانينات القرن الماضي؟ وكيف تصدوا له في العقود التالية، وهي العقود التي تكونت خلالها مأساة فلسطين المعاصرة والتي تمخضت سنة ١٩٤٨ عن اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم وقيام اسرائيل عنوة وقسرا.

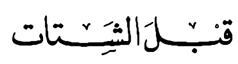
هذه وغيرها من الأسئلة الملحّة يجيب عنها هذا الكتاب في متنه، وعبر صوره. ولقد تم اختيار الصور الـ ٥٠٠ تقريبا، المنشورة هنا، من آلاف الصور الموزعة في مجموعات خاصة وعامة، في الشتات الفلسطيني، وفي كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

وتغطي هذه الصور كل نواحي الحياة الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨، بما في ذلك الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، في الريف وفي المدن، اضافة الى الصراع الفلسطيني السياسي والعسكري من أجل الصمود والكرامة والبقاء. ويرافق النص ست خرائط ملونة، ترصد تطور حركة الاستيطان الاستعماري الصهيوني منذ بداياته الأولى.

ينقسم الكتاب الى خمسة أقسام هي: أولا، أيام الحكم العثماني الأخيرة (١٨٧٦ ـ ١٩١٨)؛ ثانيا، من الاحتلال البريطاني الى الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩١٨ ـ ١٩٣٥)؛ ثالثا، الثورة الكبرى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)؛ رابعا: من مؤتمر لندن الى توصية هيئة الأمم بتقسيم فلسطين (١٩٣٩ ـ ١٩٤٧)؛ خامسا، الحرب الداخلية ومحاولة تحطيم المجتمع الفلسطيني (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧ ـ أيار/ مايو ١٩٤٨).

ويتضمن كل قسم من هذه الأقسام الخمسة، مقدمة وصفية تحليلية، يتبعها تسلسل زمني لأحداث الفترة التي يغطيها القسم، تم إعداده استنادا الى المصادر العربية والعبرية والانكليزية، ثم تعليقات دقيقة على كل صورة من الصور المنشورة، بحيث يشكل هذا الكتاب في مجمله مرجعا وثائقيا لا مثيل له لكفاح الشعب الفلسطيني وحياته اليومية طوال سبعين عاما من تاريخه الحديث قبل شتاته، وسجلا لذاكرته التاريخية.

ولقد صدر هذا الكتاب، أولا، باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة، وترجم الى اللغتين الفرنسية والاسبانية، ولاقى تجاوبا ورواجا كبيرين في أوساط الرأي العام الأجنبي، ولدى المهتمين بشؤون الشرق الأوسط.


قبل الشتات

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة اي ارتباط حكومي او تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة او وجهة نظرها.

شارع انيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان

ص. ب. ٧١٦٤ ـ ١١. بيروت ـ لبنان

برقيا: دراسات. تلكس: مادال ٢٣٣١٧

تلفون: ٨١٤١٧٤

قبل الشتات

التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨

تأليف
وليد الخالدي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
بيروت ١٩٨٧

Qabla al-shatāt: al-tārīkh al-muṣawwar lil-sha'b al-filasṭīnī, 1876 — 1948
ta'līf Walīd al-khālidī

Before Their Diaspora: A Photographic History of the Palestinians, 1876 — 1948
Walid Khalidi


الإهداء
إلى
أبي سهيل

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P. O. Box: 11-7164, Beirut, Lebanon
Telex: MADAF 23317 LE
Cable: DIRASAT, Tel: 814174

المحتويات

كلمة شكر خاصة	١١
تمهيد	١٣
قائمة الخرائط	١٩
القدس: خصّها الله، سبحانه وتعالى، بالقداسة والتعظيم	٢١
السيد المسيح: كلمة الله، سبحانه وتعالى	٢٣
القسم الأول: أيام الحكم العثماني الأخيرة، ١٨٧٦ ــ ١٩١٨	٢٥
مقدمة	٢٧
التسلسل الزمني للأحداث	٣٧
صور وتعليقات	
الأحداث السياسية والعامة	٤١
الريف والمدن والحياة الدينية	٥١
صور لأفراد	٧٤
القسم الثاني: من الاحتلال البريطاني الى الثورة الفلسطينية الكبرى، ١٩١٨ ــ ١٩٣٥	٨١
مقدمة	٨٣
التسلسل الزمني للأحداث	٨٩
صور وتعليقات	
الأحداث السياسية والعامة	٩٣
الريف الفلسطيني	١١٢
مشاهد من المدن الفلسطينية	١٣٧
مشاهد لأماكن دينية	١٤٧
التجارة والصنائع والحرف	١٥١
مشاهد من حياة المدن والحياة الدينية	١٥٥
النشاط التربوي والثقافي	١٦٣
القسم الثالث: الثورة الكبرى، ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩	١٨٧
مقدمة	١٨٩
التسلسل الزمني للأحداث	١٩٣
صور وتعليقات	
التطورات السياسية	١٩٧
القسم الرابع: من مؤتمر لندن الى توصية هيئة الأمم بتقسيم فلسطين، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٧	٢٣٣
مقدمة	٢٣٥
التسلسل الزمني للأحداث	٢٤١

صور وتعليقات
التطورات السياسية ٢٤٥
مشاهد من مدن فلسطين ٢٥٤
تفاصيل هندسية ومعمارية ٢٥٩
التجارة والصناعة ٢٧٠
عشية النكبة: لقطات متنوعة مع نظرة الى الماضي ٢٨٠
القسم الخامس: الحرب الداخلية ومحاولة تحطيم المجتمع الفلسطيني، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ ــ أيار / مايو ١٩٤٨ ٣٠٣
مقدمة ٣٠٥
التسلسل الزمني للأحداث ٣١٥
صور وتعليقات
التطورات السياسية ٣٢١
الحواشي ٣٤٧
مصادر الصور ٣٤٩

يَسُرّ مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينية أن تُسجّل
تقديرها الخالص للسيّدين عبد المجيد شومان
وحسيب صبّاغ لتبرعهما الكريم بتكاليف طباعة
النصّ الإنكليزي الأصلي لهذا الكتاب .

كلمة شكر خاصة

ساهم العديد من المؤسسات والأفراد في إعداد هذا الكتاب. ولقد اعربت عن وافر شكري وامتناني لهم جميعا في الصفحات التالية من التمهيد، لكني اود ان اخص بالذكر على هذه الصفحة من يلي:

أولا وقبل الجميع، أشكر زوجتي رشا التي كان لها الفضل الأكبر في توجيه هذا الكتاب الى الاتجاه الصحيح الذي اتخذه، والتي تحملت ما تحملته طوال خمس سنوات عسيرة نتيجة الوقت والجهد اللذين كان علي ان أبذلهما لانجازه.

وقد رافق كل من السيدة ميّ القاضي، والمرحوم الدكتور مروان بحيري، هذا المشروع منذ بدئه في بيروت حتى صيف سنة ١٩٨٢، عندما فرّقت الأحداث والمسافات بيننا، واضطررت الى نقل مكان اقامتي من لبنان الى الولايات المتحدة حيث انتهيت من إعداد هذا الكتاب بالنص الانكليزي في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤.

ولقد قامت السيدة القاضي، بدقتها المعهودة، بتصنيف الصور الأصلية التي اختيرت للنشر، ومن ثم بالاشراف على إعداد نسخ عنها تصلح للطباعة. وحصلَتْ، عبر شبكة من الأصدقاء والمعارف، على صور أصلية اخرى من مجموعات خاصة اوعائلية فأنقذتها بذلك من النسيان، وأغنت بها هذا الكتاب، وسدت بعض ثغراته. وتولت السيدة القاضي، كذلك، التنقيب عن خلفيات العديد من الصور، وجمعت عنها معلومات استندنا اليها في كتابة تعليقاتنا. واضافة الى هذا وذاك، قامت السيدة القاضي بتحديد المؤسسات الأجنبية الرئيسية التي تحتفظ بمجموعات فوتوغرافية عن فلسطين، وساهمت في اختيار صور منها، ثم عقدت اتفاقات حقوق النشر مع المؤسسات المعنية لطباعة ما اخترناه من هذه المجموعات.

أما المرحوم الدكتور مروان بحيري، فقد قام بعملية مسح وبحث شاملة للأحداث تمهيدا لإعداد الجزء الخاص بتسلسل الأحداث في كل من الأقسام الثاني والثالث والرابع من هذا الكتاب، وتولى إعداد المسودة الأولى لتسلسل الأحداث في هذه الأقسام الثلاثة ــ وهو انجاز لا يستهان به. كذلك قام المرحوم الدكتور بحيري، بتكليف من مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بزيارة الى لندن للتنقيب في المجموعة الفوتوغرافية التي يحتفظ بها متحف الحرب الامبراطوري (Imperial War Museum)، واختار الملائم منها للنشر في هذا الكتاب.

ولا بد من التنويه بالمحارب القديم، الخطيب الأديب والدبلوماسي المناضل الأستاذ المؤرخ أكرم زعيتر ــ الذاكرة التاريخية الفلسطينية «الراجلة» ــ الذي لم يقتصر عطاؤه على وضع مجموعته الفوتوغرافية الفريدة في تصرفنا، بل كان له الفضل في تزويدنا بما احتجنا اليه من تفاصيل تتعلق بأسماء الظاهرين في العديد من الصور المنشورة، وبتواريخ وأماكن ومناسبات التقاطها.

ولقد قامت الآنسة إليزابث بير (Elizabeth Burr) من مدينة كمبريدج في ولاية ماسشوستس ــ بصبر لا يعرف الملل وعناية فائقة ــ بتمحيص مسودات متعاقبة للنص الانكليزي الأصلي للكتاب. وكانت ملاحظاتها ومقترحاتها جميعا ذات فائدة كبرى، استعنّا بها في «ترجمة» ما كتبناه بالانكليزية البريطانية الى لغة الولايات المتحدة الأميركية. ولولا اصرار الآنسة بير الحازم واللبق في آن على ان انهي كتابتي في المواعيد المحددة، لما انجز هذا العمل في حينه.

أما السيد ريتشارد زونغي (Richard Zonghi)، من مدينة بوسطن في ولاية ماسشوستس، فهو المسؤول الوحيد عن أناقة هذا الكتاب في النص الانكليزي (الذي اقتبسناه في الطبعة العربية)، مَظْهرا وتصميما، وذلك بفضل وضوح رؤيته ورهافة حسه والجهد الضخم الذي بذله في التخطيط والإعداد له.

وأخيرا لا آخرا لا بد من التنويه، بصورة خاصة، بالأستاذين المرحومين واصف جوهرية وخليل رعد.

فالأستاذ واصف جوهرية، الفنان الموسيقار والعازف اللذوّاقة، عميد آل جوهرية في القدس، تكرم مشكورا قبيل وفاته بإهداء مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، مجموعته

الفوتوغرافية التاريخية الفلسطينية النادرة عن العقود الثلاثة الأخيرة من الحكم العثماني، وهي المجموعة التي شكلت النواة لمحفوظات المؤسسة الفوتوغرافية والكنز الثمين الذي غرفنا منه في إعداد القسمين الأول والثاني من هذا الكتاب.

وان كانت المجموعة الجوهرية الركيزة الأولى لهذا الكتاب، فان الركيزة الثانية كانت مجموعة خليل رعد المقدسي، أستاذ الفن الفوتوغرافي في فلسطين قبل الشتات، التي تكرمت ابنته روث رعد مشبّك، مشكورة، بوضعها في تصرف مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت. فقد كان خليل رعد العين البصيرة المسجلة لحياة الريف والمدن الفلسطينية خلال الانتداب؛ فكان له ولواصف جوهرية فضل لا يعلوه فضل في ابقاء ذاكرة شعبنا تنبض حياة وحيوية، واستحقا بذلك شكر أبنائنا وأحفادنا على مر الأجيال. رحمهما الله وأجزل لهما الثواب.

تمهيد

غالبا ما ينغمس أطراف النزاع في تاريخ نزاعهم، ويستحوذ تاريخ الظلم وخلفيته على المظلوم أكثر مما يفعل على الظالم. وتتأثر شدة هذا الاستحواذ وطوله على المظلوم بعدة عوامل: فهناك طبيعة الحيف الذي حلّ في المقام الأول؛ ثم موقف الأطراف الأخرى من هذا الحيف؛ وأخيرا لا آخرا، مسلك الطرف المستبدّ الظالم بعد ما اقترفت يداه ما اقترفت.

وفي حالة الفلسطينيين، وهم الطرف المظلوم في صراعهم مع الصهيونية، فاننا نجد ان هذه العوامل قد تضافرت معا لتطيل وتشدد من وطأة استحواذ التاريخ عليهم. ففي غضون سبعين سنة تقريبا، بين مطلع الثمانينات من القرن الماضي وسنة ١٩٤٨، كان الفلسطينيون هم الطرف المتلقي للضربات المتعاقبة على يد الصهيونية وحماتها. أما الصهيونية، وهي حركة سياسية استيطانية يهودية اوروبية المنشأ، فقد جابهتهم بأشد التهديدات فتكا، ألا وهو إنكار حقهم الأصيل الثابت في ديار آبائهم وأجدادهم: فلسطين. ولم يبق هذا التهديد في حدود الافتراض؛ إذ ان سنة ١٩٤٨، وهي سنة الكارثة كما يدعوها العرب، شهدت ذروة الاستعمار الصهيوني المحتومة، التي اخذت عناصرها تتجمع منذ ثمانينات القرن الماضي، والتي اتخذت شكل الظاهرة المزدوجة، من حيث أنها ادت الى انشاء دولة اسرائيل بقوة السلاح في الجزء الأكبر من أراضي فلسطين، والى اقتلاع الأهالي الفلسطينيين من نحو عشرين مدينة وأربعمئة قرية، غدت بأملاكها ومزارعها جزءا من الدولة اليهودية الجديدة. وخلال سنة ١٩٤٨ ذاتها، لقي عشرة آلاف فلسطيني — على الأقل — مصرعهم، في حين أصيب ثلاثة أضعاف ذلك الرقم بجروح، وبات نحو ٦٠ ٪ من السكان الفلسطينيين آنذاك (اي ٧٠٠,٠٠٠ شخص تقريبا) مشردين بلا مأوى.

ولقد أبدى الرأي العام العالمي تعاطفا مع الفلسطينيين. وانحازت دول العالم الثالث (ومنها الهند) بغريزتها الى قضيتهم، وهي التي كانت قبل وقت قريب ضحية الاستعمار الأوروبي. كما ان الدول الشيوعية (ومنها الاتحاد السوفياتي والصين) — على الرغم من اعترافها بوجود اسرائيل — قد اعربت عن تأييدها للفلسطينيين، لأنها نظرت الى نضالهم في سياق المعارضة للاستعمار الغربي من جهة، وبسبب اعتبارات استراتيجية من جهة اخرى. كذلك أظهرت قطاعات مهمة من الرأي العام في أوروبا الغربية تفهما لمحنة الفلسطينيين، وهو ما يعكس مؤثرات قرون عديدة من ارتباط أوروبا بالشرق الأوسط وحساسيتها له.

وعلى الرغم من رضا الفلسطينيين عن تعاطف الرأي العام العالمي معهم، فان هذا التعاطف بات عديم الأثر تحت وطأة الدعم الهائل الذي حظيت به الصهيونية من جانب الولايات المتحدة، قبل سنة ١٩٤٨ وبعدها. فالولايات المتحدة تتحمل النصيب الأكبر من المسؤولية — في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة — عن تحريك الأحداث في فلسطين تجاه عواقبها الرهيبة سنة ١٩٤٨. كما تصاعد الدعم الأميركي لاسرائيل باطراد منذ ذاك، على الرغم من ان اسرائيل قد واصلت حينها إنكارها على الفلسطينيين حقوقهم القومية والانسانية. ولقد كان الدعم الأميركي هو الذي مكّن اسرائيل — قبل كل شيء آخر — من الامعان في هذا الانكار. ولعل ما يلهب مشاعر الفلسطينيين بوجه خاص ان موافقة الولايات المتحدة على اقتلاعهم من بلادهم قد تمت تحت شعار تأييد القيم الديمقراطية التي يتغنى بها المجتمع السياسي الأميركي. ومن دواعي السخرية في كل ذلك، ان هناك من الدلائل ما يفيد بأن أغلبية الشعب الأميركي تؤيد فكرة التوصل الى حل متوازن للصراع الفلسطيني — الاسرائيلي، يضمن وجود اسرائيل من ناحية، كما يضمن من ناحية اخرى حقوق الفلسطينيين القومية، وعلى رأسها حقهم في تقرير المصير.

وقد استبعد مهندسو ما يسمى «الحلم» الصهيوني من حسابهم — منذ البدايات الأولى لاستعمارهم لفلسطين — كل العواقب المحتملة الوقوع على الفلسطينيين، ورفضوا النظر الى واقع الصهيونية كما هي وكما تجسّد فعلا على الأرض، واعتبروا «حلمهم» ذاك طاهرا نقيًا من كل وصمة، وأن اي اختلاف بين

الحقيقة المرّة وهذا الحلم انما لا يعدو ان يكون مجرد استثناء شاذ عن براءة الحلم. وهكذا، استؤصلت من الوعي اليهودي تلك العلاقة المنطقية بين الفعل الصهيوني وردة الفعل الفلسطينية، واعتبروا الأول دفاعا والثانية هجوما؛ فمنذ سنة ١٩٤٨، أذعن الاسرائيليون ـ باستثناء قلة انتظمت في حركة السلام ـ لحالة نفسية وذهنية (وهي حالة تراود الظلمة الجائرين)، تكمّل حالة استحواذ الماضي على أذهان الفلسطينيين. وتتمثل هذه الحالة في المقت الشديد لأي إنعام للنظر في السجل التاريخي للصهيونية في فلسطين منذ ثمانينات القرن الماضي، بما ينطوي عليه ذلك التدقيق من مغزى خلقي. ولقد بلغ هذا المقت اشده (وباتت الحاجة النفسية اليه طاغية) الى درجة ان الاسرائيليين قد أقنعوا انفسهم ومؤيديهم ـ بعملية مراجعة وترشيد للتاريخ ـ بأن الفلسطينيين لم يكن لهم وجود قط قبل سنة ١٩٤٨، او انهم كانوا ـ على فرض وجودهم ـ البادئين بإشعال شرارة الصراع وايذاء أبناء صهيون. وقد تمثلت اللمسات الأخيرة التي أضفاها الاسرائيليون على هذا النهج الفكري، في تصنيف ضحاياهم الفلسطينيين باعتبارهم «متعصبين» و«ارهابيين» لا بد من رد سلوكهم الى ينابيع تراثية بدائية متأصلة في نفوسهم العربية والاسلامية. ومن هنا أمكن تفسير الدوافع وراء المقاومة الفلسطينية للصهيونية واسرائيل في نطاق ابعد ما يكون عن سياق النزاع نفسه، وبالتالي عن المسؤولية الخلقية لاسرائيل والصهيونية.

وحتى لو كانت سنة ١٩٤٨ خاتمة الظلم الذي ألحقته الصهيونية بالفلسطينيين، لظل الزمن يواجه اعسر مهمة في علاج جروحهم.

لكن واقع الأمر ان اسرائيل قد امتنعت، بعناد واصرار، طوال العشرين سنة بين ١٩٤٨ و١٩٦٧، عن إبداء اية لفتة إنصاف او مهادنة، سواء في شكل اعادة اللاجئين الى ديارهم او تعويضهم او اجراء بعض تعديلات في الحدود التي اغتصبتها. وقد لجأت، بدلا من ذلك، الى اضفاء صفة الشرعية الزائفة على نزعها لملكيات اللاجئين الفلسطينيين، منقولة كانت ام ثابتة، وتحويل هذه الممتلكات الى الحيازة اليهودية. كما فرضت الحكم العسكري على الأقلية الفلسطينية المرتعبة التي بقيت في اسرائيل. وفضلا عن ذلك، فقد شنت عمليات عسكرية، لا تتلاءم أبدا مع انتهاكات الحدود البسيطة التي قام بها البائسون من اللاجئين ضد القرى الفلسطينية في الضفة الغربية التي كانت تحت الادارة الأردنية، وضد قطاع غزة الذي كان تحت الادارة المصرية، وهي قرى كانت اسرائيل قد استولت أصلا على أفضل أراضيها الزراعية سنة ١٩٤٨. كما ضمت قسرا المناطق المنزوعة السلاح والمناطق الحرام في الضفة الغربية وعلى الحدود السورية والمصرية، وحولت ـ بقرار منفرد منها ـ مياه نهر الأردن لخدمة مصالحها. ولوّحت، مرارا وتكرارا، بجبروتها باقامة عروض عسكرية في القدس الغربية. وفي غضون السنوات العشرين تلك، تحولت المشكلة الفلسطينية الى صراع بين اسرائيل والدول العربية المجاورة. وفي الستينات، وجد القنوط الفلسطيني متنفسا له في مفهوم الصراع المسلح تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية.

غير ان اسرائيل أمعنت في تعنتها سنة ١٩٦٧. فبعد ان كانت قد انتزعت القسم الأكبر من ارض فلسطين سنة ١٩٤٨، عقدت النية على انتزاع ما تبقى من الأراضي في ايدي الفلسطينيين. ففي حزيران / يونيو وأيلول / سبتمبر ١٩٦٧، طردت عبر نهر الأردن نحو ٢٥٠,٠٠٠ من سكان مخيمات اللاجئين المقامة على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة. وشرعت تطبق في الأراضي المحتلة حديثا، سياسة الاستعمار المنهجي نفسها التي سبق ان اتبعها الصهاينة في فلسطين ابتداء من ثمانينات القرن الماضي حتى سنة ١٩٤٨؛ وهي السياسة التي تمخضت عن خلق المشكلة الفلسطينية في المقام الأول.

ونظرا الى ان اسرائيل قد تمتعت بممارسة السلطة المطلقة على الأراضي المحتلة منذ سنة ١٩٦٧، فقد سهلت على نفسها استعمار هذه الأراضي من خلال سلسلة كاملة من الاجراءات الادارية، والقضائية، والاقتصادية، والنفسية، والمادية. فبعد وقف اطلاق النار مباشرة في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧، ضمت اسرائيل القدس الشرقية، وأعلنت المدينة «الموحدة» عاصمة لها. كما تم توسيع حدود بلدية القدس لتشمل مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية. وقد تم نزع ملكية قطاعات استراتيجية مهمة من هذه الأراضي، لتقام عليها مشاريع سكنية لايواء المستوطنين اليهود «العائدين الى بلادهم» من روسيا والولايات المتحدة. وأرسلت الجرارات الى القدس القديمة لتهديم ابنية دينية اسلامية موقرة، يعود تاريخها الى القرون الوسطى، كانت قريبة من حائط المبكى. وصدرت القرارات بالاستيلاء على المئات من الممتلكات العقارية والأوقاف الخيرية والذرّية للأسر المسلمة داخل حدود البلدة القديمة، تحقيقا «للمصلحة العامة»، وحولت ملكيتها الى الحيازات اليهودية. وبدأ العمل في التنقيب على نطاق واسع جوار الأسس

المعمارية التي يقوم عليها اقدس المزارات الاسلامية، من دون الحصول على اذن مسبق من الهيئات الدينية الاسلامية. وقامت السلطات الاسرائيلية بإزالة ثلاث قرى مزدهرة قابعة على السفوح حول اللطرون، من مواقعها كليا، وطردت الآلاف من سكانها بين عشية وضحاها.

وكان حجر الزاوية في السياسة الاسرائيلية ما يُعرف بأحكام الطوارىء التي بُعثت من مرقدها منذ أيام الحكم البريطاني الاستعماري. ومن مقتضيات هذه الأحكام إلقاء القبض على الأشخاص من دون انذار، وفرض الرقابة على الصحف والكتب والبرقيات والرسائل، وتقييد حركة الأهالي ومنع اتصالهم بالغير، وطرد الموظفين بأمر من وزير الدفاع، واصدار الأوامر بالنفي الداخلي، والترحيل عن البلاد من دون استصدار موافقة قضائية، وفتح مناطق واغلاقها، ولفرض حظر التجول الى آماد غير محددة، ومصادرة الممتلكات وتدميرها. وفي ظل حماية هذه الاجراءات، تجاهلت السلطات الاسرائيلية المحتلة قواعد الالتزام بالاجراءات القانونية، كما لم يعد لحرية التعبير والاجتماع والتنقل وجود. وقامت السلطات الاسرائيلية بنسف الآلاف من المساكن لمعاقبة أقرباء من اشتبه في اشتراكهم في المقاومة. كما تم الترخيص لقوات الجيش بإطلاق الأعيرة النارية الحية على تظاهرات المدنيين غير المسلحين، ومنهم تلاميذ المدارس. واعتقل الآلاف من الفلسطينيين، وتعرض المئات للتعذيب في السجون. أما الحياة العلمية الأكاديمية، فقد اضطربت بسبب وقف الدراسة في المدارس والجامعات بين حين وآخر، والغزو المتكرر لقاعات الدراسة ودور السكن من قبل وحدات خاصة في الجيش الاسرائيلي. وصدر قرار بإبعاد المئات من كبار الشخصيات (ومنهم: الأطباء، ورجال الدين، والمدافعات عن حقوق المرأة، والقضاة، وأساتذة الجامعات، وموظفو الدولة، وزعماء النقابات). كما طرد رؤساء البلديات المنتخبون من مناصبهم، وتم ترحيلهم الى الخارج، بل انهم تعرضوا (في بعض الحالات) لاصابات سببت لهم عاهات مستديمة، بتواطؤ من المسؤولين الاسرائيليين. وقدمت الرشوة والأسلحة للوشاة والخونة، وسمح لفرق من المستعمرين الاسرائيليين الذين سلحتهم حكومتهم، بتنفيذ القانون بأنفسهم، والقيام بأعمال القتل والتخريب.

أما في الميدان الاقتصادي، فقد باتت الأراضي المحتلة سوقا مرهونة بالسلع الاسرائيلية على حساب الصناعات المحلية. وتم استغلال حاجة القرى الفلسطينية الاقتصادية، من أجل ايجاد سوق من الأيدي العاملة الرخيصة للعمل لقاء أجور زهيدة، في وظائف لا يقبل اي اسرائيلي بأن يقترب منها. وصادرت السلطات الاسرائيلية موارد المياه في الضفة الغربية، لا ليستخدمها المستعمرون الاسرائيليون في الأراضي المحتلة، وانما لتستفيد منها اسرائيل ذاتها. بل ان حفر الآبار اوزرع الأشجار وإنبات الخضروات من قبل الفلسطينيين اصبح مستحيلا إلا بإذن رسمي من الحاكم العسكري الاسرائيلي.

وتركزت السياسة الاسرائيلية على تنفيذ عمليتين متكاملتين: الأولى نزع ملكية الأراضي من الفلسطينيين اومنعهم من دخولها، والثانية بناء مستعمرات («مستوطنات») ومدن يهودية على هذه الأراضي، او الاستيلاء عليها لفائدة الدولة الاسرائيلية مباشرة. وتم البحث والتفتيش في كل زاوية مظلمة من زوايا تشريعات الأنظمة السابقة في فلسطين (ومنها الأردنية والبريطانية والعثمانية وما قبلها)، لايجاد ذريعة يمكن بها «تقنين» او ترشيد او تبرير الاستيلاء على الأراضي من ملّاكها في القطاع الخاص او العام، سواء كانوا مقيمين او غائبين اومن المستأجرين او اللاجئين او الرعاة او البدو. فإذا لم تتوفر الذرائع كانت الأرض الفلسطينية تعتبر، بجرة قلم، «إرثا قوميا» للشعب اليهودي. وبحلول سنة ١٩٨٤، كانت السلطات الاسرائيلية قد استولت على نحو ٥٠٪ من أراضي الضفة الغربية و٣٠٪ من أراضي قطاع غزة، باعتبارها «ممتلكات غائبين»، او «أراضي مسجلة لحساب الدولة (اي للحكومة الأردنية)»، اومناطق «مطلوبة لأغراض عسكرية»، او أرضا تم نزع ملكيتها «للمصلحة العامة». وفي كل الأحوال، خصصت هذه الأراضي المصادرة للاستعمال الخاص للحكومة الاسرائيلية او المواطنين اليهود في اسرائيل.

ورافق عملية الاستيلاء على الأرض مشروع انشاء المستعمرات والمدن اليهودية. وفي البداية، تسترت هذه المستعمرات وراء اقنعة عسكرية او غير عسكرية في المناطق غير الآهلة، في شكل مخافر أُنشئت لدواعي «الأمن»، اوحتى في شكل مخيمات «للتنقيب عن الآثار». لكن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، التي تشجعت أساسا بتغاضي الولايات المتحدة وتمويلها لعملية الاستيطان، شرعت في انشاء مستعمرات ومدن وسط المناطق الفلسطينية المكتظة بالسكان، تحت شعار ما ورد في التوراة من «حق العودة» الى كل «ارض اسرائيل». وبحلول سنة ١٩٨٤، كان المستعمرون اليهود يعيشون في نحو ١٤٠ مستعمرة ومدينة في جميع أنحاء الأراضي الفلسطينية

المحتلة. وفي حين ان نسبة بسيطة من الأرض المصادرة (٣٠,٠٠٠ دونم من أصل ٢,١٥ مليون دونم «والدونم الواحد يعادل ألف متر مربع»)، كانت ملكا ليهود في تلك الأراضي قبل سنة ١٩٤٨، فان اعادة الممتلكات الى أصحابها في عهد ما قبل سنة ١٩٤٨، قد اقتصرت على اليهود وحدهم، ولم ينطبق هذا الاجراء على ممتلكات الفلسطينيين في القدس الغربية واسرائيل نفسها.

ورأى الفلسطينيون وزعامتهم الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية، وقد ملأ الهلع نفوسهم، مواطنيهم في القدس الشرقية وقطاع غزة والضفة الغربية وهم يواجهون الفناء بالاختناق البطيء، وهو مصير كان اسوأ مما احتمله آباؤهم وأمهاتهم في الفترة المنتهية بسنة ١٩٤٨.

وردت منظمة التحرير الفلسطينية على سلب الصهيونية لشرعية الفلسطينيين، بأن رفضت الاعتراف بشرعية اسرائيل، وجابهت العنف الاسرائيلي بعنف فلسطيني مضاد. وكلما نشطت المنظمة في عملياتها اشتد ساعد الفلسطينيين في ظل الاحتلال، وكلما رسخت أقدام الفلسطينيين في ظل الاحتلال اشتد تصميم الاسرائيليين على اقتلاع جذور القرار الفلسطيني المستقل، المتمثل في المؤسسات المدنية والعسكرية في المنظمة. ومن هنا، دمر الاسرائيليون وادي الأردن (الذي باشرت منظمة التحرير الفلسطينية نشاطها عبره من الأردن) في الفترة ما بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٠. ومن هنا، أيضا، دمر الاسرائيليون الجنوب اللبناني وضواحي بيروت (حيث اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية قاعدتها بعد سنة ١٩٧١)، مما افضى في النهاية الى محاصرة العاصمة اللبنانية واقتحامها، وحدوث مذبحة صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢.

والحال المتميز للفلسطينيين الآن (سواء كانوا في ضواحي بيروت او القدس القديمة او غيرها) يشير الى ان عذابهم، جسمانيا كان ام ذهنيا، هو ابعد ما يكون عن التلاشي في زوايا الذكريات البعيدة؛ ذلك بأن جروح الماضي ما زالت تلتهب جنبا الى جنب مع جروح الحاضر، وظلم الأمس ما زال يتزامن مع ظلم اليوم.

وبعد، فان النظرة الاستعادية للأحداث كثيرا ما تخدم غرضا بناء، وهو ما يهدف اليه هذا الكتاب، الذي نأمل بأن يلقي بعض الضوء على الفلسطينيين كشعب في فلسطين قبل تشتتهم، وعلى منشأ وتطور المشكلة الفلسطينية عبر أطوار تشكيلها. ومن خلال هذا، قد يشير الكتاب فهما للواقع الفلسطيني اليوم، وللمتطلبات الدنيا التي يمكن قبولها للتوصل الى تسوية مستساغة، من وجهة النظر الفلسطينية، على أساس الواقع التاريخي الفعلي.

• • •

ان موضوع هذا الكتاب محدود عن قصد وسابق تصميم، وكذلك الفترة الزمنية التي يغطيها. أما لبّه فهو الصور وتعليقاتنا عليها. ونحن لم نهدف فيه الى دراسة الصهيونية بحد ذاتها، ولا الى عرض الصراع العربي ـ الصهيوني بصورة عامة. وقد اخترنا سنة ١٨٧٦ بداية للفترة التي يعالجها لسببين: أولهما ان اقدم صور للفلسطينيين أمكننا الحصول عليها تعود الى هذا التاريخ؛ وثانيهما ان بدايات الحركة الصهيونية في أوروبا الشرقية جاءت في الوقت نفسه. أما اختيارنا لـ ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨ نهاية للفترة التي يعالجها الكتاب، فذلك لأن هذا هو تاريخ نهاية الانتداب البريطاني ونهاية مرحلة الحرب الداخلية من الحرب العربية ـ الصهيونية الأولى، كما انه تاريخ قيام اسرائيل قسرا وعنوة، وبداية الشتات الفلسطيني الذي نتج عنه. ولم نعمد، إلا فيما ندر، الى تضمين هذا الكتاب صورا لأحداث معاصرة وقعت خارج فلسطين. ولم نَعُد الى ما قبل سنة ١٨٧٦ في مقدماتنا، باستثناء مقدمة القسم الأول التاريخية.

وللكتاب بنيان زمني، وتعالج أقسامه الرئيسية الخمسة الفترات الآتية بالتالي: أولا، أيام الحكم العثماني الأخيرة (١٨٧٦ ـ ١٩١٨)؛ ثانيا، الفترة ما بين الاحتلال البريطاني والثورة الكبرى (١٩١٨ ـ ١٩٣٥)؛ ثالثا، الثورة الكبرى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)؛ رابعا، الفترة ما بين مؤتمر لندن وتوصية الأمم المتحدة بالتقسيم (١٩٣٩ ـ ١٩٤٧)؛ خامسا، فترة الأشهر الستة من الحرب الداخلية (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ ـ أيار / مايو ١٩٤٨).

وتتمحور الصور في القسم الأول حول بعض نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، وينتهي القسم بصور لشخصيات وأفراد. وتتمحور الصور في القسمين الثاني والرابع، ولكن بصورة أكثر دقة وتفصيلا، حول النواحي ذاتها المذكورة آنفا. أما الصور في القسمين الثالث والخامس، فتقتصر على الأحداث السياسية والعسكرية الجسام التي وقعت خلال الفترتين اللتين يعالجها القسمان. وتغطي صور القسم الأول أطول فترة زمنية، اي نحو اربعين عاما. بينما تغطي صور القسم الخامس اقصر الفترات، اي نحو ستة اشهر فحسب. وقد بذلنا قصارى جهدنا لتحديد تاريخ كل صورة بالضبط، وفي

حال تعذر ذلك حاولنا ان نقره على وجه التقريب.

وقد اخترنا معظم الصور المنشورة في هذا الكتاب ــ وعددها ٤٧٤ صورة ــ من نحو عشرة آلاف صورة تشكل ارشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية الفوتوغرافي الذي تم نقله من بيروت الى جنيف في سويسرا. وأهم مجموعات هذا الأرشيف هي مجموعة المرحوم الأستاذ واصف جوهرية، ومجموعة المرحوم الأستاذ خليل رعد. وقد اضيف اليها صور عديدة تبرع بها أصحابها، او حصلنا عليها من أفراد فلسطينيين وغيرهم من العرب. وحصلنا كذلك على مختارات من الأراشيف الفوتوغرافية التي تحتفظ بها مؤسسات اجنبية في بريطانيا والولايات المتحدة، أشرنا اليها جميعا أدناه.

ولم يكن من اليسير ان نحصل على الصور اللائقة، او ان نجمع التفاصيل الدقيقة اللازمة عنها، من أبناء شعبنا الموزعين في شتاتهم على عشرات البلاد في شتى أرجاء المعمورة. ومما زاد في صعوبة العمل تدهور الأوضاع المستمر في لبنان العزيز. ولا جدال في ان العديد من الصور الوثيقة الصلة بموضوعنا متوفر هنا وهناك في هذا البلد او ذاك، ولم نتمكن من الوصول اليها، وان البحث الحثيث عنها كان من شأنه ان يغني ما اخترناه للنشر في الصفحات التالية، غير انه تحتم علينا ان نقف عند حد معين في السعي وراء المزيد من الصور لأسباب عملية بحتة.

ولقد كان اختيارنا للصور المنشورة على أساس قرب صلتها بموضوعنا وبمضمون الكتاب، وآثرنا في ذلك دوما تقديم المضمون على المقاييس الجمالية، حتى اننا اخترنا في بعض الحالات صورا لا تتحلى بأية ميزة فنية بسبب محتواها. وورد بعض الصور في مواقعه داخل قسم معين، بسبب اعتبارات التوازن داخل ذلك القسم. وعلى الرغم مما بذلناه من جهد لتغطية نواحي الحياة في فلسطين كافة، فما زالت في هذا الكتاب عدة ثغرات عجزنا عن سدّها، فعسى ان يأتي من بعدنا من يوفق أكثر منا.

ولكل صورة رقمان: رقم تسلسلي بحسب ورود الصورة في الكتاب، ورقم جدولي بحسب تصنيف الصورة في المجموعة الأصل، إما في ارشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية وإما في غيره من المجموعات الخارجية التي اخترناها منها. والأرقام الواردة في متن الكتاب مع تعليقاتنا، هي الأرقام التسلسلية. بينما تشير لائحة مصادر الصور، الواردة على الصفحات ٣٤٩ ــ ٣٥١، الى الأرقام الجدولية أيضا. ولقد تم نسخ العديد من صور الكتاب عن لوحات طبق الأصل، لأن الصور الأصلية ذاتها لم تكن دائما متوفرة. ولقد استعملنا كلمة «فلسطيني» دوما بمعنى «فلسطيني عربي» بالتحديد.

ويبقى ان العديد من المؤسسات والأفراد ساهم في إعداد هذا الكتاب، اضافة الى الذين وردت أسماؤهم في كلمة الشكر الخاصة السابقة، فوجب الشكر لمتحف الحرب الامبراطوري في لندن، والخدمات ماتسون الفوتوغرافية في المعهد الأسقفي بمدينة الحمراء في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة، ولمركز الإعلام التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، ولمكتب الهيئة العربية العليا السابق في بيروت، التي اذنت جميعا لنا في نشر الصور المنقولة عن مجموعاتها.

وقد ابدى الأخ الدكتور فتحي قدورة اهتماما خاصا بهذا المشروع، وذلك بالنيابة عن احدى الجهتين اللتين تكرمتا برعايته، وهي البنك العربي المحدود في عمان. وراجع البروفسور جون منزو، من الجامعة الأميركية في بيروت، مسودة التعليقات الأولى. أما السيدة جوليانا بلك والأب دانيال هارنغتون اليسوعي، فقد قاما بقراءة التمهيد والمقدمات والتعليق عليها، بينما قام السيد محمد علي الخالدي بمراجعة متن الكتاب بكامله، بغية ضبط تطابق المعلومات، فوجب الشكر لهم جميعا. أما السيد سعيد ابو حدة وحرمه فقد قاما، بهمة لا تعرف الملل ودقة تثير الاعجاب، باستنساخ الصور الفوتوغرافية. وكان للسيدة مارثا دوكاس، من مدينة بوسطن، الفضل في ان عرّفتنا على السيد ريتشارد زونغي، من مدينة بوسطن أيضا، وهو الذي تولى تصميم الكتاب.

ووجب الشكر أيضا للآتية أسماؤهم الذين إما قدموا لنا صورا من مجموعاتهم العائلية وإما ساهموا في تعريفنا على محتوياتها: الأستاذ عبد الرحمن عبد الهادي وحرمه، الآنسة ثريا أنطونيوس، السيدة حرم حنا عصفور، الأستاذ أنطون عطا الله، السيدة حرم معين بسيسو، الأستاذ عبد الرحمن بشناق، الأستاذ كامل ديب، الدكتورة سلمى الجيّوسي، الأستاذ سليم كاتول، الأستاذ خلوصي الخيري وحرمه، الأستاذ فؤاد سابا، الأستاذ يوسف شديد، السيدة هيلدا جورج شبر، الأستاذ عادل التاجي وحرمه، الدكتور عزت طنوس، الأستاذ غالب سليمان طوقان، المرحومة السيدة سهى طوقان، السيدة سلمى زيادة، الدكتور نقولا زيادة.

تبقى كلمة شكر أخيرة للسيد سمير الديك الذي تولى الإعداد اللغوي والتصحيح الطباعي للنسخة العربية من هذا الكتاب، والسيد طعان صعب الذي اشرف على مراحل طباعته.

وليد الخالدي

كمبريدج، ماشوستس تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦

قـائـمـة الخـرائـط

١ ـ موقع بتاح تكفا (Petach Tikva)، أول مستعمرة صهيونية أُنشئت في فلسطين (بالقرب من يافا) سنة ١٨٧٨.

٢ ـ المستعمرات الصهيونية التي تم انشاؤها لغاية بدء الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠.

٣ ـ ملكية الأرض بالنسبة المئوية لكل من الفلسطينيين والصهيونيين، في كل قضاء من اقضية فلسطين الستة عشر، سنة ١٩٤٥.

٤ ـ توزيع الكثافة السكانية اليهودية والفلسطينية مع النسب المئوية لكل من الطرفين، في كل قضاء من اقضية فلسطين الستة عشر، سنة ١٩٤٦.

٥ ـ خريطة تقسيم فلسطين وفق توصية الهيئة العامة للأمم المتحدة، الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧.

٦ ـ العمليات العسكرية الصهيونية ما بين ١ نيسان / ابريل ١٩٤٨ و ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨ (اي في أثناء الانتداب البريطاني)، خارج نطاق الدولة اليهودية المقترحة في توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين.

القُدس: خصّها الله، سُبحانه وتعالى، بالقداسة والتعظيم"



١

١ يقع الحرم القدسي الشريف وما فيه من منشآت داخل البلدة القديمة، وهو يحتل مساحة واسعة تبلغ نحو ٣٤ لدانا. وللحرم الشريف مكانة خاصة في الاسلام، بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وموقع الاسراء والمعراج. وفي وسط ساحة الحرم الشريف، يقوم بناء قبة الصخرة المشرفة التي بناها عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي، بين سنة ٦٨٨م وسنة ٦٩١م. وقبة الصخرة هي من أقدم الآثار الاسلامية التي صمدت لعوادي الزمن، ويقع خلفها بناء المسجد الأقصى الذي شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك في السنوات ٧٠٥ ــ ٧١٥م. وساحة الحرم القدسي الشريف هي التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾. وكما تبين هذه الصورة، فان الحرم القدسي الشريف حافل بالمباني الأثرية الاسلامية، بما فيها المدارس والزوايا والأروقة والقناطر والمنابر والقبب والسقايات (أي الأحواض) والرُّبُط والخوانق وأضرحة العديد من الأولياء والصالحين ومن كبار العلماء والأعلام.

السيد المسيح: كلمة الله، سبحانه وتعالى



٢

٢ نجمة بيت لحم، كنيسة المهد. في الديانة الاسلامية كثير من المبادىء الواردة في الديانتين المسيحية واليهودية. ويكنّ المسلمون عظيم الحب والتقدير للنبي موسى، ومريم العذراء، والسيد المسيح. وسكان بيت لحم هم، في معظمهم، من النصارى الذين يشكلون ١٠ بالمئة تقريبا من مجموع الشعب العربي الفلسطيني.

القسم الأول

أيام الحكم العثماني الأخيرة

١٨٧٦ - ١٩١٨

مقدمة

كان هيرودوتس وغيره من كتّاب اليونانية واللاتينية، هم الذين أطلقوا اسم فلسطين على أراضي الساحل الفلسطيني، وفي بعض الأحيان كانوا يشملون بالاسم أيضا تلك الأراضي الواقعة بين الساحل ووادي الأردن. وفي مستهل عهد الامبراطورية الرومانية، أطلق اسم فلسطين على المنطقة الواقعة حول القدس. كما استخدم الاسم نفسه أيضا زمن البيزنطيين للتدليل على الأراضي الواقعة غربي نهر الأردن، والممتدة بين جبل الكرمل في الشمال وغزة في الجنوب.

روما وبيزنطة

في سنة ٧٠ للميلاد قمع الامبراطور الروماني تيتوس ثورة يهودية في فلسطين، وسوّى القدس بالأرض، ودمر معبدها. وفي أعقاب ثورة يهودية اخرى (١٣٢ ـ ١٣٥ ميلادية) شيّد الامبراطور هادريان مدينة وثنية جديدة على أنقاض القدس، أطلق عليها اسم «كولونيا إيليا كابيتولينا»، وحرم على اليهود دخولها. وبعد انتهاء عهد هادريان، زاد باطراد عدد المسيحيين المقيمين في القدس. ومع اعتناق الامبراطور قسطنطين الأول للمسيحية (توفي سنة ٣٣٧م)، وزيارة أمه الملكة هيلانة للقدس سنة ٣٢٠م، بدأ طابع القدس وفلسطين المسيحي يغلب على طابعها الوثني. وشيّد قسطنطين نفسه كنيسة القيامة، ودأب خلفاؤه ـ ولا سيما جستينيان (توفي سنة ٥٦٥م) على الإكثار من بناء الكنائس والنصب المسيحية في فلسطين. وسمح البيزنطيون لليهود بدخول القدس يوما واحدا في السنة فقط، للبكاء قرب حجر كان لا يزال باقيا في موقع المعبد. لكن البيزنطيين أبقوا على الموضع أجرد موحشا، إكراما لما كان قد تكهن به المسيح عليه السلام (إنجيل متى ٢٤ : ٢).

الاسلام والأمويون

قبل وقت طويل من ظهور الاسلام في القرن السابع، كان قد حدث تمازج متصل بين المسيحيين في فلسطين والسكان العرب (وكان العديد منهم من المسيحيين أيضا) الى الجنوب والشرق. وكان النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وأتباعه يتجهون أول الأمر عند اقامة الصلوات ناحية القدس لا مكة. وقد أُسْرِيَ بالنبي من مكة الى القدس، ومنها عرج الى السماء. وحتى يومنا هذا يحتفل العالم الاسلامي بأسره سنويا بهذه الرحلة الاعجازية لنبي الله، وذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب. وبعد قرون طويلة من هذا الحدث الفريد اصبح موضوع الاسراء مصدر إلهام للشاعر الايطالي دانتي (Dante)، الذي استند اليه عند كتابته «الملهاة الإلهية». [١]

وقد استولى العرب على القدس من البيزنطيين سنة ٦٣٧م. وأعرب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عن احترامه للمدينة بأن تقبل بنفسه استسلامها، وعامل أهلها برأفة واعتدال متميزين، وكتب لهم وثيقة أمان عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية، أعطاهم فيها «أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم... فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله... ومن أقام آمن..» وشهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية ابن أبي سفيان. وفي هذا يقول السير وليم فيتزجيرالد (Sir William Fitzgerald): «لم يحدث قط في التاريخ المؤسف للفتوحات حتى تاريخ فتح القدس، ونادرا منذ ذاك، ان أظهر فاتح تلك المشاعر النبيلة السخية التي أظهرها عمر للقدس.» [٢] وقد اهتم عمر، بنفسه، بتحديد الأماكن التي ارتبطت بإسراء النبي ومعراجه، وتم بصعوبة تحديد موقع الصخرة التي عرج منها نظرا الى أنها كانت مدفونة تحت أكوام من المخلفات، وأخذ يزيل هذه المخلفات بيديه ولما تم تنظيفها وتطهيرها أمّ المصلين بالقرب منها في جمع غفير من الصحابة والأنصار. ودعا بلال، مؤذن الرسول، الى الصلاة. وكانت تلك أول مرة يؤذن فيها للصلاة بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم. وأمر عمر بتعيين عبادة بن الصامت، وكان من الصحابة الذين حضروا ذلك الاحتفال، أول قاض للقدس. وقد توفي

عبادة في المدينة في أثناء شغله هـذا المنصب. وكان الاسم العربي الذي أطلق على القدس هو البيت المُقدَّس، كمقابل للبيت الحرام. وأصبحت ولاية فلسطين البيزنطية ولاية إدارية وعسكرية عربية أطلق عليها اسم «جند فلسطين» منذ ذاك.

ولقيت فلسطين التشريف والتكريم من الأمويين (٦٦١ ــ ٧٥٠م) الذين كانت دمشق عاصمتهم. وكان معاوية (٦٦١ ــ ٦٨٠م)، مؤسس هذه السلالة، قد نصب نفسه خليفة في القدس. كما ان الخليفة الأموي الخامس ــ وهو عبد الملك (٦٨٥ ــ ٧٠٥م)، شيَّد المسجد العظيم الذي عرف باسم مسجد الصخرة، فوق الصخرة نفسها التي عرج منها النبي عليه الصلاة والسلام. كما شيَّد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ ــ ٧١٥م) المسجد الأقصى المجاور. ويعتبر مسجد قبة الصخرة مزيجا مدهشا من العمارة البيزنطية والفارسية والعربية، وهو اقدم صرح اسلامي لا يزال قائما. وعرفت المنطقة المحيطة بالمسجدين باسم الحرم الشريف. وكان تفضيل الأمويين لفلسطين والقدس مدفوعا بدافع سياسي الى حد ما، لأن مكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا في العقود الأولى في أيدي خصوم بني أمية. لكن موقف الأمويين كان له أصل أيضا فيما ورد من الحديث الشريف في ذكر ثواب الصلاة في بيت المقدس وفضل زيارته والسكنى فيه، وفي انه احد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال اليها. وعلى هذا، فحتى عندما دانت مكة المكرمة والمدينة المنورة بالولاء للأمويين سنة ٦٩٢م، نصب الخليفة السابع سليمان (٧١٥ ــ ٧١٧م) نفسه على كرسي الخلافة في القدس. كما بنى مدينة الرملة في فلسطين، واتخذها مقرا له، وزانها بمسجد وقصر في غاية الفخامة. وبعد وقت طويل من انتهاء عهد الأمويين، ظلت للقدس جاذبيتها، وهو ما لاحظه وسجله الرحالة الفارسي ناصري خسرو، الذي كتب يقول بعد زيارته للمدينة سنة ١٠٤٧م: «إنَّ عجز أهل تلك البلاد عن التوجه الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فهم يذهبون الى القدس في موسم الفريضة.»[٣]

العباسيون

جاء العباسيون (٧٥٠ ــ ١٢٢٥م) في أعقاب الأمويين، واتخذوا من بغداد مقرا لخلافتهم. وبلغت الخلافة العباسية أوج سلطانها ونفوذها في غضون قرن من إنشائها. اما بعد ذلك، فقد وقع الكثير من أراضي الامبراطورية تحت سلطان حكامها المسلمين، الذين كان ولاؤهم للخلافة العباسية اسميا. وظلت فلسطين، طوال الشطر الأكبر من الفترة الواقعة بين انتهاء القرن التاسع والحملات الصليبية، تحكم من قبل حكام مسلمين اتخذوا من القاهرة مقرا لهم.

وزار اثنان من الخلفاء العباسيين مدينة القدس، وكانا وقتها في أوج سلطانها. فقد قام المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين (٧٥٤ ــ ٧٧٥م)، بزيارة القدس مرتين، وأمر بإصلاح التلف الذي حاق بالمدينة بسبب زلزال كان قد أصابها. أما المهدي، ثالث الخلفاء العباسيين (٧٧٥ ــ ٧٨٥م)، فقد زار القدس خصيصا لاداء شعائر الصلاة في المسجد الأقصى. وقد امر المأمون، سابع الخلفاء العباسيين (٨١٣ ــ ٨٣٣م)، بإجراء ترميمات كبرى في مسجد قبة الصخرة، تحت اشراف المعتصم (٨٣٣ ــ ٨٤٢م) شقيقه وخلفه، الذي كان آنذاك مندوب الخليفة في سوريا. ولقد بلغ تهافت العباسيين على الاقتران بالقدس درجة دفعتهم الى سلوك سخيف تمثل في إحلال اسم المأمون محل اسم الخليفة الأموي عبد الملك في النقوش المبينة لمشيِّد المسجد.

وتكثر أوصاف فلسطين في القرون التي سبقت الحملات الصليبية، في كتابات الجغرافيين العرب والمسلمين. فقد لاحظ اليعقوبي، وهو من خراسان، في ٨٩١ ــ ٨٩٢م، ان «بالقدس عددا كبيرا من العرب... ونسبة معينة من غير المسلمين، المسيحين، اليهود والسامريين.»[٤] أما ابن الفقيه الهمذاني، فقد حكى سنة ٩٠٣م بعض الروايات عن القدس، ووصف بالتفصيل مساجدها. كذلك قدم ابن عبد ربه (توفي سنة ٩٤٠م)، وهو من قرطبة، وصفا لمسجد قبة الصخرة، علاوة عن النصب الاسلامية الأخرى في القدس، على نحو ما فعل الاصطخري (ازدهر عمله سنة ٩٥٠م)، وفي اثره ابن حوقل (توفي سنة ٩٧٧م). ويتفوق على كل هذه الروايات ما حكاه المقدْسي (توفي سنة ٩٨٦م)، وهو من أهالي القدس؛ فقد عدّد المنتوجات الرئيسية في فلسطين، «التي كانت الحاصلات الزراعية منها وفيرة وممتازة، وهي تشمل الفواكه بأنواعها (ومن ذلك الزيتون والتين والعنب والسفرجل والبرقوق والتفاح والبلح والجوز واللوز والعنَّاب والموز)، وكان بعضها للتصدير. كذلك هناك الحاصلات التحضيرية (ومنها قصب السكر، والنيلة، والسماق). ولكن الموارد المعدنية مهمة أيضا: فهناك الصلصال الطباشيري... والرخام من بيت جبرين، والكبريت الذي يعدَّن من الغور [وادي الأردن]، ناهيك بالملح والقار من البحر الميت. أما الأحجار التي تكثر في البلاد

فهي أكثر مواد البناء استعمالا في المدن المهمة.»[٥]

واقتفاء لأثر الخلفاء، من عمر ومن تلوه، حج الى القدس آلاف الأتقياء والصالحين. وكان للقدس أثرها في اجتذاب أتباع الحركة الصوفية منذ بداياتها في القرن الثامن. فنجد، مثلا، ان رابعة العدوية (نحو ٧١٧ ـ ٨٠١م) التي خصص لها المقام الأول في قائمة الأولياء المسلمين الصالحين، والتي دعت الى «التوبة والصبر والعرفان بالجميل وخشية الخالق واختيار حياة الفقر والتوكل التام على الله سبحانه وتعالى»،[٦] قد ارتأت ترك مدينتها البصرة في العراق، كي تحيا وتتعبد وتموت في القدس. كما اجتذبت القدس، الى جانب الحجاج والمتصوفة، سيلا متدفقا من العلماء والباحثين. وكان من هؤلاء كبار العارفين بالتفسير والحديث، وسائر العلوم العقلية والنقلية، الذين توافدوا على المدينة ليكتبوا ويحاضروا في مساجدها وعشرات المعاهد العلمية الملحقة بها.

وكان ابو حامد الغزالي حجة الاسلام (١٠٥٨ ـ ١١١١م) أعظم أولئك الأئمة. فهو الذي يحتل مركز الصدارة في قائمة علماء الفقه والكلام المسلمين، ومن أكثر مفكري الاسلام أصالة. فقد فضل الغزالي ان يترك عمله كمحاضر في المدرسة النظامية في بغداد سنة ١٠٩٥م، ليتخذ القدس مقرا له، حيث بدأ العمل في تحفته العظيمة «إحياء علوم الدين»، وهو كتاب جليل يسعى فيه للتوفيق بين العقلانية والصوفية والاستمساك بالشريعة. ولم يقتصر هذا الكتاب على إحياء الفقه الاسلامي، وانما ترك أثره أيضا في الفكر اليهودي والمسيحي، بعد ان تُرجم بعض أجزائه الى اللاتينية. كذلك اتم الغزالي وهو في القدس ـ وبطلب من تلاميذه ومريديه ـ الرسالة القدسية، وهي موجز لأسس العقيدة الاسلامية اصبح فيما بعد جزءا من كتاب الإحياء.

وكان عمر رضي الله عنه قد سمح للمسيحيين، كما أسلفنا، بالتعبد في كنائسهم بالقدس من دون ازعاج. والتزم من جاؤوا بعده هذه السياسة التزاما شديدا، باستثناء ما حدث في عدد من وقائع التعصب ضد المسيحيين في القدس سنة ٩٦٦م (والتي اشترك فيها اليهود مع المسلمين)، وأيضا في سنة ١٠٠٩م. غير ان قيام المسيحيين بالحج الى الأماكن المقدسة استمر بلا انقطاع. ووافق الخليفة العباسي، هارون الرشيد، (٧٨٦ ـ ٨٠٩م) على طلب شارلمان إقامة نزل للحجاج المسيحيين في فلسطين، كما سمح للراهبات بالخدمة الدينية في القدس.

وكان اليهود قد منعوا من العيش في القدس، بقرار من الرومان في عهد هادريان، ثم بأمر من البيزنطيين المسيحيين. وأغلب الظن ان يكون الأهالي المسيحيون قد طلبوا من عمر، خلال تفاوضهم في امر تسليم المدينة له، إدراج فقرة في عهدته تنص على منع اليهود من الاقامة في القدس. غير ان خلفاء عمر خرجوا عن شروط المعاهدة، فيما يختص باليهود، وبدأوا ـ بالتدريج ـ يسمحون لهم بالاقامة في المدينة. والظاهر ان أول ذكر لوجود معبد يهودي في القدس هو ما ورد في كتابات ناصري خسرو سنة ١٠٤٧م.[٧]

الحروب الصليبية والحملات المضادة لها

انقطع تسلسل الحكم العربي والاسلامي لفلسطين بتأثير الغزو الصليبي، وإقامة مملكة القدس اللاتينية (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م). لكن الحملات المضادة للصليبيين، بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي (توفي سنة ١١٩٣م) وخلفائه، استمرت حتى سنة ١٢٩١م، حين استرد المسلمون آخر المعاقل الصليبية في قيصرية وعكا. وقد قام الصليبيون، بعد دخولهم القدس، بتعذيب واحراق وذبح الآلاف من المسلمين العزُل (من الرجال والنساء والأطفال)، فضلا عن العدد القليل من الأهالي اليهود الذين التجأوا الى معبدهم. وبالمقارنة بذلك، نجد ان دخول صلاح الدين الى القدس (١١٨٧م)، وهو في اوج قوته العسكرية، قد اتسم بالتوقير والإجلال للمدينة، وبالعطف والرأفة على سكانها المسيحيين، على نحو ما أظهره عمر قبل خمسمئة سنة. وكما قال ستانلي لين ـ بول (Stanley Lane-Poole): «لئن كان استرداد القدس هو الشيء الوحيد الذي يعرف به صلاح الدين، فهو امر كاف للتدليل على انه كان أكثر فاتحي عصره، وربما العصور كافة، فروسية ورحابة صدر.»[٨]

وكانت أولى المهمات التي قام بها صلاح الدين، بعد دخوله القدس، تطهير قبة الصخرة والمسجد الأقصى مما علق بهما من دنس. وعلى مدى اسبوع كامل، ظل وجهاء القوم وعامتهم يعملون، جنبا الى جنب، لغسل الجدران والأرضيات ورشها بماء الورد. وأعيدت الى أقارب وأسلاف الأهالي المسلمين في القدس (الذين أصبحوا لاجئين بسبب الفتح الصليبي للمدينة) ممتلكاتهم. وفي الحالات التي لم تعرف فيها هوية المالكين، سلمت المباني الى العشائر العربية المعروفة. وأدخل صلاح الدين

نظام «المدرسة» في القدس، وأوقف مالا على مدرسة من هذه المدارس عرفت باسمه، وهي الصلاحية. كذلك اوقف مالا على مستشفى ورباطين للعلماء والمتصوفة. أما الجنود الذين استشهدوا في حملته، فقد دفنوا بأمره خارج بوابة الرحمة عند الجانب الشرقي للحرم الشريف. وفي سنة ١١٩٣م، شيّد الأفضل بن صلاح الدين مسجد المغاربة بالقرب من بوابة المغاربة، عند الجانب الغربي من الحرم. وكانت تلك هي البقعة التي قيّد فيها النبي محمد، عليه الصلاة والسلام، مطيّته «البراق» بعد إسرائه. وأوقف الأفضل الأرض الواقعة خارج البوابة على المسجد، لخدمة الحجيج والعلماء والمجاورين من بلاد المغرب.

وسمح صلاح الدين وخلفاؤه الأيوبيون للمسيحيين بالاقامة في القدس، وممارسة شعائرهم الدينية فيها. وفتحت أبواب المدينة أمام الحجيج المسيحيين من أوروبا، وإنْ ظل الخوف يعتمل في النفوس قرونا طويلة، من احتمال ان يفكر الافرنجة في احتلال المدينة ثانية. وكان عدد اليهود المقيمين في القدس، في عهد الصليبيين، قد تضاءل الى شخص واحد، وهو صبّاغ، كتب عنه الحاخام بتاحيا الريجنزبيرغي (Pethahiah of Regensburg) (نحو ١١٧٧م). أما صلاح الدين وخلفاؤه، فقد أحيوا الوجود اليهودي في القدس. والواقع ان الديار الاسلامية جميعا قد اصبحت ــ بعد انهيار الفتح الصليبي ــ موئلا لليهود من أوروبا. وكان ذلك على عكس مسلك الصليبيين الذين كانوا مناهضين للسامية والإسلام.

وأثارت الحروب الصليبية والحملات المضادة لها اهتماما كبيرا بفلسطين، من جانب المسلمين والعرب؛ وهو اهتمام اتخذ ثلاثة أشكال: الأول ظهور عدد كبير من الكتاب والشعراء الذين تغنّوا بالمغزى الديني للقدس وقيمتها، في نطاق نوع جديد من الانتاج الأدبي ــ الديني عرف باسم كتب الفضائل. وكان مضمون هذه الأعمال الاشادة بفضل الصلوات التي تؤدى في القدس، وبمزايا الحج اليها او الاقامة او الوفاة فيها. ولم تكن القدس المدينة الفلسطينية الوحيدة التي اختيرت لتوقيرها. فقد ابرز الكتاب والشعراء والمتصوفة الأضرحة والمقامات والمزارات الاسلامية في أنحاء اخرى من فلسطين (ومن ذلك قبر هاشم، جد الرسول عليه الصلاة والسلام، في غزة)، فضلا عن المواقع المرتبطة بالأنبياء والأولياء والصالحين، مثل القبور او المواضع التي كان يظن ان الأنبياء قد ولدوا فيها، او زاروها، او سكنوها، او دفنوا فيها، او ظهروا للبعض فيها بالمنام. أما الشكل الثاني لاهتمام العرب والمسلمين بفلسطين، فقد تمثل في تضاعف عدد رحلات الحج والزيارات لها، بحيث اصبحت تلك ظاهرة منتظمة واسعة الانتشار في المنطقة. كذلك اشتدت المنافسة، بين السلاطين والحكام والأمراء المسلمين وكبار القوم الأثرياء، في بناء المؤسسات العامة، كالمدارس والرُبُط والزوايا والأنزال والسبل والمستشفيات والحمامات، وأوقفوها جميعا، وخصصوا للانفاق عليها من عوائد المزارع والمتاجر الأموال الوفيرة.

ولم يكن اهتمام المسلمين والعرب بفلسطين نزوة عابرة كردة فعل للتهديد الصليبي. ففي أثناء القرنين السابع عشر ميلادي والثامن عشر ميلادي مثلا، اي بعد دحر الصليبيين بمئات السنين، اتخذ هذا الاهتمام شكلا جديدا. فقد اصبح الحج الى القدس من المبادىء الأساسية لكثير من طرائق الصوفية. وبات مسجد قبة الصخرة في القدس ملتقى لشيوخها وأتباعهم، يأتونه من دمشق والقاهرة وغيرهما من المدن، ليختلوا في جواره ويلتقوا مريديهم عنده. وكانت تقام هناك حلقات الذكر وتلاوة الأوراد، تردد خلالها صفات الله ومدائح نبيّه بتنويعات تبتعث حالة من الوجد عند موقع الإسراء والمعراج ذاته تصور المتصوفون أنها تحاكي حالة النبي عندما عرج الى السماء، ذلك بأن أهل الطرائق نظروا الى المعراج على انه رمز لانطلاق الروح من إسارها الجسدي.

فلسطين في عهد المماليك

انتقل النفوذ والسلطان، سنة ١٢٦٠م، من ايدي الأيوبيين خلفاء صلاح الدين، الى ايدي المماليك سلاطين مصر. ومنذ ذاك الحين حتى الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧م، ظلت فلسطين جزءا من دولة المماليك. وكان المماليك هم الذين طردوا آخر الصليبيين من فلسطين، وهم الذين هزموا جحافل المغول بقيادة هولاكو، حفيد جنكيز خان، سنة ١٢٦٠م، في موقعة عين جالوت قرب الناصرة، فأنقذوا البلاد من دمار محقق. وقد ظل «جند فلسطين» ــ وهو الوحدة الادارية التي كان الخليفة عمر رضي الله عنه قد أنشأها ــ على ما هو عليه، باستثناء فترة احتلال الصليبيين لأراضي فلسطين. وقد نظم المماليك إدارة البلاد، بتقسيمها الى ستة اقضية هي: غزة، واللد، وقاقون، والقدس، والخليل، ونابلس. وظلت هذه الأراضي، الواقعة غربي نهر الأردن، بمثابة مفترق طرق رئيسي

يربط القاهرة بدمشق وحلب، لا يعبره التجار فحسب، وانما يمر به الاداريون والحجيج والرسل والجند والعلماء.

وقد منح المماليك القدس مزايا خاصة؛ فقد خفف الكثير من السلاطين ضرائبها، او قدموا المصاحف الرائعة لمساجدها، في حين قام معظمهم ببناء المدارس والرُّبُط والزوايا والقناطر، وبإصلاح وترميم الأروقة والمآذن. فقد بنى السلطان بيبرس (١٢٦٠ ــ ١٢٧٧م) خانا او نزلا للتخفيف عن الفقراء، كما أعاد السلطان الأشرف قايتباي (١٤٦٨ ــ ١٤٩٥م) بناء مدرسة ما زالت تحمل اسمه، وهي الأشرفية. وأشار الجغرافيون المسلمون، مرات متكررة في كتاباتهم، الى فلسطين والقدس خلال هذه الفترة، وكان منهم ياقوت (١١٧٩ ــ ١٢٢٩م) من منطقة الأناضول، وأبو الفدا (١٢٧٣ ــ ١٣٣٢م)، وهو من أسلاف شقيق صلاح الدين، فضلا عن ابن بطوطة (١٣٠٤ ــ ١٣٧٧م) وكان من طنجة. وروى اولئك الكتّاب ما ورد من إشارات عن القدس في القرآن الكريم والحديث، ووصفوا مساجدها وأحرامها ومدارسها وأسواقها وأنزالها ومؤسساتها الدينية. ولعل من اهم الكتابات التي ظهرت عن القدس والخليل، كتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للقاضي مجير الدين ابي اليمن الحنبلي (١٤٥٥ ــ ١٥٢٠م)، وهو كتاب جامع لتاريخ القدس ومؤسساتها وحكامها، ولمن أمّها اودفن فيها من الصحابة والأنصار والأولياء وكبار العلماء والأمراء.

العثمانيون

أصبحت منطقة غرب آسيا بأكملها جزءا من الامبراطورية العثمانية، منذ سنة ١٥١٦م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وتشهد المباني العظيمة للجدران المحيطة بالمدينة القديمة في القدس، والتي أقامها السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠ ــ ١٥٦٦م)، على مكانة القدس في نظر العثمانيين. ومن الدلائل المهمة، أيضا، الوقف الذي خصصته سنة ١٥٥٢م خسكي سلطان، زوجة سليمان والمفضلة لديه. فقد شيّدت مجمعا في القدس ابتغاء «رضا الله سبحانه وتعالى، من أجل الفقراء والمحتاجين، والضعفاء والمحزونين»، ضم تكيّة «لها خمسة وخمسون بابا»، ونزلا ومطبخا عاما ومخبزا واسطبلات ومخازن. ونصّت حجة الوقف على عدد الموظفين المطلوبين لإدارة هذا المجمع، من خدم وكتبة وطهاة (ومتدربين) ومفتشي أطعمة وغاسلي صحون وطحّانين وعمال وجامعي قمامة. ووصفت حجة الوقف بالتفصيل نوع الوجبات التي تقدم، والعناصر الغذائية المستخدمة، والكميات التي يتعين طهيها. ورصد الوقف لصيانة المبنى عوائد تحصّل من ثلاث وعشرين قرية فلسطينية، علاوة على عوائد تجلب من قرية في شمال لبنان، ومن متاجر ومصانع صابون في طرابلس.[9] وقد ظل مطبخ خسكي سلطان ومخبزها يعملان طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين.

وواصل العثمانيون، بحرص شديد، تطبيق الأساليب الاسلامية نفسها في التسامح والاعتدال تجاه المصالح الدينية المسيحية في فلسطين. وتم الاعتراف ببطريركية الروم الأورثوذكس في القدس، في القرن السادس عشر، باعتبارها القيّمة على الأماكن المقدسة. وأصبحت فرنسا، في الوقت نفسه تقريبا، راعية الرهبان الكاثوليك. وفتحت الامبراطورية العثمانية أبوابها ــ شأنها في ذلك شأن سائر أنظمة الحكم الاسلامية السابقة عليها ــ أمام مئات الآلاف من اللاجئين اليهود، الذين فروا من الاضطهاد الديني المسيحي في اسبانيا وغيرها من دول العالم المسيحي. لكن الأغلبية العظمى من هؤلاء اليهود سلكت مسلك أسلافها في القرون الماضية بعد الحروب الصليبية، وفضلت ألا تعيش في فلسطين ذاتها. ومن هنا هبط عدد اليهود، في القدس مثلا، في القرن الأول للحكم العثماني من ١٣٣٠ شخصا سنة ١٥٢٥م الى ٩٨٠ شخصا سنة ١٥٨٧م،[10] وانخفض عددهم في القرن التالي الى ١٥٠ شخصا سنة ١٦٨٨م، واستمر في الانخفاض الى ان بلغ ١١٥ شخصا في منتصف القرن الثامن عشر. وحتى بحلول القرن التاسع عشر، لم يستفد إلا قلة من اليهود من فرصة الاستقرار في فلسطين. أما الذين اختاروا العيش فيها، فقد اقتصرت اقامتهم على مدن اربع هي: القدس، والخليل، وصفد، وطبرية. ووضع العثمانيون طائفة من الأحكام واللوائح، تضمنت حقوق اليهود والمسيحيين وواجباتهم في ممارسة شعائرهم الدينية في مزاراتهم، واستندت هذه الأحكام الى العرف والى الحقوق التي اقر بها الحكام المسلمون منذ العهدة العمرية.

ولم يعرقل العثمانيون نشاط التجار الأوروبيين في مدن فلسطين الساحلية. وكانت الحاصلات الزراعية والمنتوجات الصناعية في المناطق الداخلية من البلاد، تصدر الى أوروبا عبر موانىء غزة وعكا ويافا. كذلك استمرت طرق التجارة البرية مفتوحة بين سوريا ومصر عن طريق فلسطين، في حين التقت

طرق الحج الى مكة المكرمة (سواء من القاهرة او دمشق او غيرهما) في بلدة العقبة الفلسطينية. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، كانت دول اوروبية كثيرة قد فتحت لنفسها قنصليات في فلسطين. وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت البعثات التبشيرية المسيحية، من كاثوليكية وبروتستانتية ورومية أورثوذكسية، تتغلغل بمدارسها ومستشفياتها ومطابعها وأنزالها. وفي سنة ١٨٩٢، أكملت شركة فرنسية بناء خط حديدي يصل ما بين يافا والقدس. وكانت فلسطين، قياسا بجميع الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية ـ باستثناء القطاعات المارونية من جبل لبنان ـ أكثر المناطق انفتاحا على أوروبا المسيحية.

لكن هذا الانفتاح كانت له سيئاته أيضا، ولا سيما مع الاضمحلال التدريجي لسلطة العثمانيين السياسية والعسكرية. فقد ادت الثورة الصناعية، والتغلغل الاقتصادي الأوروبي الى توجيه لطمة كبرى للحرف والصنائع المحلية، والى ممارسة ضغط سياسي متزايد على الأستانة. ومن مظاهر هذا الضغط اقامة نظام من الامتيازات الأجنبية (Capitulations) يعطي الأجانب، الزائرين او المقيمين، وحتى من اكتسب الجنسية الأجنبية من المواطنين، أنواع الحصانة تجاه السلطات الادارية والقضائية العثمانية. ولقد استفاد أكثر من استفاد من هذه الامتيازات أوائل المهاجرين الصهاينة الى البلاد.

وفي عام ١٨٨٨/١٨٨٧، قسمت المنطقة التي عرفت فيما بعد بفلسطين تحت الانتداب، الى ثلاث وحدات إدارية هي: سنجق القدس، الذي كان يتألف من نصف أراضي البلاد في الجنوب، وسنجقا نابلس وعكا في الشمال. وقد ألحق السنجقان الشماليان بولاية بيروت. أما سنجق القدس، فقد تم حكمه من الأستانة مباشرة، نظرا الى اهميته للعثمانيين. أما شرق الأردن، فكان منفصلا إداريا عن سناجق فلسطين، وملحقا بولاية سوريا، وعاصمتها دمشق. وفي ذلك الوقت، كان تعداد سكان السناجق الفلسطينية الثلاثة ٦٠٠,٠٠٠ نسمة تقريبا، منهم نحو ١٠ ٪ من المسيحيين والباقي من المسلمين السنة في معظمهم. وكان عدد اليهود نحو ٢٥,٠٠٠ شخص، نصفهم من المتدينين الذين كانوا يكرسون حياتهم للصلاة والتعبد، ويتعمدون الابتعاد عن التوظف او التجارة او الزراعة. أما سائر اليهود فلم يكونوا من المواطنين العثمانيين، بل من حملة جنسيات اجنبية تتمتع بحماية نظام الامتيازات الذي ذكرنا. وحتى ظهور الصهيونية كانت العلاقات بين الفلسطينيين واليهود مستقرة ومسالمة، يدعمها أكثر من ألف سنة من التعايش والعداء المشترك للغير.

ومما ساهم في مناخ التسامح والاعتدال، ذلك التوقير الذي كان يشعر به المسلمون تجاه الأنبياء كافة، وهو شعور تأصل في حالة فلسطين بسبب تقاليد الحج الى المقامات الدينية كما ذكرنا. وكان المسلمون الفلسطينيون أكثر من غيرهم شعورا بهذا الاحترام والتوقير، لأنهم كانوا يعيشون على مقربة من المواقع المقترنة بأولئك الأنبياء. وكانت المساجد والمزارات الاسلامية التي تكرم الأنبياء العبرانيين، وتحمل أسماءهم باللغة العربية، من السمات العادية في الحياة الفلسطينية العامة. ولعل من الأمور الفريدة وسط المسلمين، مسلك الفلسطينيين في الاحتفال بالأعياد الدينية التي تكرم الأنبياء العبرانيين. ويتضح التسامح نفسه في مواقف المسلمين الفلسطينيين من رفاقهم المسيحيين، وهي علاقات خلت من التوتر بصورة ملفتة للنظر (على عكس الأوضاع التي سادت في دول عربية مجاورة). وليس مصادفة ان يعهد مختلف الطوائف الدينية المسيحية في القدس بمفاتيح كنيسة القيامة الى اسرة فلسطينية مسلمة.

ومع ان الفلسطينيين كانوا يفاخرون بتراثهم العربي، إلا انهم كانوا يعتبرون انفسهم منحدرين لا من صِلْبَة الفاتحين العرب في القرن السابع فحسب، وانما أيضا من شعوب متوطنة عاشت في تلك البلاد منذ الأزل، ومنها العبرانيون القدامى والكنعانيون قبلهم. ورأى الفلسطينيون انفسهم، وهم المدركون إدراكا واعيا لتفرد التاريخ الفلسطيني، انهم ورثة كل هذه الروابط والعلاقات. وكان ولاؤهم السياسي للأستانة، لان السلطان العثماني كان الخليفة ورأس الأمة الاسلامية، ولأنهم شعروا بشعور المواطنين لا بشعور رعايا الدولة. وقد اشتقوا شعورهم بالمواطنة من حقيقة ان الأتراك العثمانيين لم يستعمروا قط الولايات العربية، بمعنى الاستيطان فيها على حساب أهل البلاد. ومن ثم اكتسبت صفة «العثمانية» بين العرب صفة المشاركة بينهم وبين الأتراك في نطاق دولة واحدة، لا صفة الهيمنة من قبل مجموعة عرقية على اخرى. ومع ذلك، توترت العلاقات بين مختلف المجموعات العرقية داخل الامبراطورية، خلال الفترة الواقعة ما بين نهاية القرن والحرب العالمية الأولى، وذلك بتأثير الشعور القومي الأوروبي؛ فقد تأثر العرب والأتراك معا بهذا المناخ العام، الذي عزز جاذبية الهوية الثقافية والسياسية المتميزة لهذا الجانب وذاك. ومن المؤثرات الأخرى القوية في الاتجاه نفسه، نهضة العرب الفكرية والأدبية، التي

تبلورت عند نهاية القرن التاسع عشر، وشعّ أثرها من القاهرة ودمشق وبيروت.

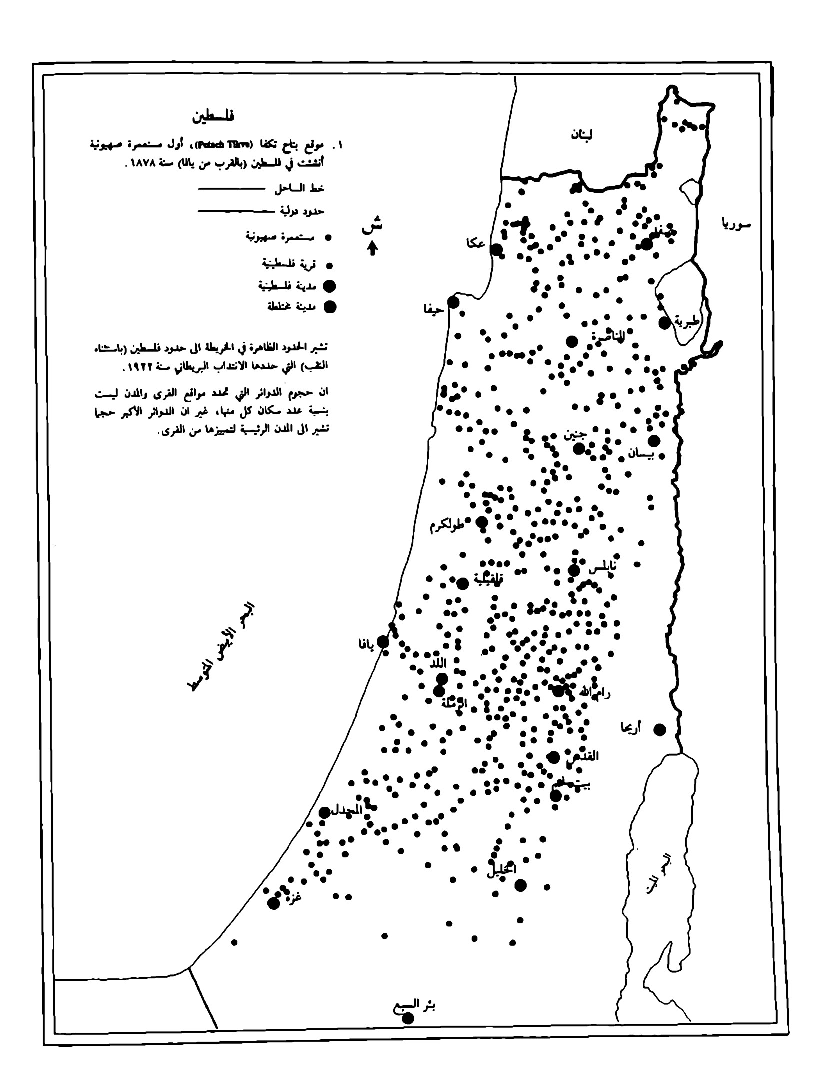
وكان اعلان الدستور العثماني الجديد سنة ١٨٧٦ (على الرغم من قصر عمره) مدعاة الى إجراء أول انتخابات لانشاء مجلس نيابي عثماني، انضم اليه مندوبون من مختلف الولايات العربية، ومنهم فلسطينيون من القدس. (ومما يلفت النظر ان يحتل فلسطينيون مقاعدهم في المجلس النيابي في الأستانة، قبل عشرين عاما من عقد الصهاينة أول مؤتمر لهم في بال سنة ١٨٩٧). كذلك عُيِّنَ العرب، ومنهم الفلسطينيون، في مناصب عليا، لا في سلك الخدمة المدنية او السلك الدبلوماسي او الهيئة القضائية او الجيش فحسب، وانما كوزراء في الحكومة العثمانية أيضا. وساعدت ثورة حزب الاتحاد والترقي العثماني سنة ١٩٠٨، التي جاءت بالاصلاحيين الى الحكم، في إثارة آمال العرب والفلسطينيين، وأنعشت الحوار السياسي والنشاط الفكري الذي تمثل، أفضل ما تمثل، في فلسطين بظهور العديد من الصحف والمنشورات الجديدة. وانتخب مندوبون عن القدس ويافا ونابلس وعكا وغزة، لحضور المجلس النيابي العثماني في سنتي ١٩٠٨ و ١٩١٢. لكن الاصلاحات العثمانية لم تتمكن من التغلب على تدهور العلاقات التركية ـ العربية؛ فقد رغب كثيرون في الحصول على قدر أكبر من السلطة، ودعا البعض الى تطبيق نظام اللامركزية، في حين تحدث آخرون عن الوحدة العربية والثورة والاستقلال.

بدء الغزو الصهيوني والحرب العالمية الأولى

خلال الثمانينات من القرن الماضي، حدث تطور مهم في أوروبا الشرقية، وبدأ يلقي ظلاله الثقيلة على مستقبل الفلسطينيين. فقد ادت ظاهرة الشعور القومي الأوروبي، والاستعمار، الى بلورة حركة سياسية يهودية عرفت باسم الصهيونية، وانتشرت في أوساط المثقفين اليهود من أبناء شرق أوروبا. وكان الصهاينة يحنون الى الفكاك من وضعهم كأقلية في المجتمعات الأوروبية، ومن الخطر المزدوج للاضطهاد والاندماج. ورأوا ان الحصول على ارض يقيمون عليها دولة يهودية ذات سيادة، هو السبيل الأمثل لتحقيق هذا الهدف. ونُظر الى الارتباط اليهودي القديم بفلسطين، والتعلق الديني بها، كمبرر لاختيارها موقعا لهذه الدولة، وانْ اعرب بعض الصهاينة الأوائل عن استعدادهم للتفكير في مواقع بديلة.

وكان القرار الصهيوني، الذي اتخذ في أواخر القرن التاسع عشر، باستعمار فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية ـ بغض النظر عن وجود أهلها الأصليين ورغباتهم ـ مدعاة الى بدء الطور الحديث المضطرب من تاريخ فلسطين؛ وهو طور ما زالت عواقبه ومضاعفاته ماثلة أمامنا اليوم. وكان الطريق الذي اختطه الصهاينة كفيلا بأن يؤدي الى الصراع والمآسي، وهي نتيجة تكهن بها بعض زعماء الصهاينة انفسهم. ففلسطين، كما رأينا، لم تكن أرضا خالية؛ فقد عاش سكانها في نحو عشرين مدينة وبلدة، ونحو ثمانمئة قرية ونجع، ذات مبان مشيّدة بالحجر. وفي حين كان الأهالي في معظمهم يرتزقون من العمل بالزراعة، كان أهل المدن يشتغلون بالتجارة والحرف التقليدية. كما كان البعض يعمل في سلك الخدمة المدنية ومختلف المهن. وكان معظم أثرياء المدن من ملاك الأراضي، لكن بعض أفراد الأسر العريقة كان يعمل أيضا في المناصب العليا لجهاز الدولة والقضاء والوظائف المهنية. وكان الفلسطينيون ـ من مسيحيين ومسلمين ـ يشكلون مجتمعا عزيز النفس حيوي النشاط، تجاوز عتبة النهضة الفكرية والوطنية التي بدأت تعم الأقطار العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كذلك كان الفلسطينيون يشاركون أبناء هذه الأقطار في قيمهم الثقافية والسياسية. وطوال قرون عدة كانت لهم صلاتهم التجارية بأوروبا، كما كانت لهم علاقاتهم بالأوروبيين الذين كانوا يزورون فلسطين كحجيج مسيحيين للتبرك بالأماكن المقدسة. كذلك تعرض أهل فلسطين، طوال عشرات السنين، لمؤثرات التحديث، كنتيجة للنشاط التربوي والطبي للبعثات المسيحية، الأوروبية منها والأميركية، فضلا عن خدمة العديد منهم في الولايات الأوروبية من الامبراطورية العثمانية.

ولقد كان الفلسطينيون متأصلين في بلادهم عشية المغامرة الصهيونية، شأنهم في ذلك شأن اي مواطنين في اي بلد آخر. ولعل مجموعة الصور الفوتوغرافية المعاصرة لتلك الفترة، والتي أبدعتها عدسة فيليكس بونفيس (١٨٣١ ـ ١٨٨٥) وولده ادريان (١٨٦٠ ـ ١٩٢٩)، هي خير شاهد على ذلك. ولا تقل عن ذلك بلاغة براهين الفنانين والرسامين الأوروبيين الذين زاروا فلسطين قبل ظهور الصهيونية، مثل: وليم هنري بارتلت (١٨٠٩ ـ ١٨٥٤)، وديفيد روبرتس (١٧٩٦ ـ ١٨٦٤)، وإدوارد لير (١٨١٢ ـ ١٨٨٨)، ووليم هولمان هنت (١٨٢٧ ـ ١٩١٠). ولا بد من ان يقال، قبل هذا وذاك، ان تظلم الفلسطينيين وغيرهم من أبناء الأقطار العربية الرئيسي ضد الدولة العثمانية، انما تمثل في رغبتهم في اعتراف العثمانيين


فلسطين
١. موقع بتاح تكفا (Petach Tikva)، أول مستعمرة صهيونية أنشئت في فلسطين (بالقرب من يافا) سنة ١٨٧٨.
خط الساحل
حدود دولية
مستعمرة صهيونية
قرية فلسطينية
مدينة فلسطينية
مدينة مختلطة
تشير الحدود الظاهرة في الخريطة الى حدود فلسطين (باستثناء النقب) التي حددها الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢.
ان حجوم الدوائر التي تحدد مواقع القرى والمدن ليست بنسبة عدد سكان كل منها، غير ان الدوائر الأكبر حجما تشير الى المدن الرئيسية لتميزها من القرى.
ش
لبنان
سوريا
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
جنين
بيسان
طولكرم
نابلس
قلقيلية
يافا
البحر الأبيض المتوسط
اللد
الرملة
رام الله
أريحا
القدس
المجدل
الخليل
غزة
البحر الميت
بئر السبع

بالمزيد من الحقوق وبتمكينهم من تحمل قدر اوفر من مسؤوليات الحكم، وما كان لهم بالتالي ان يرضوا بالبرنامج السياسي الصهيوني الذي انطلق أساسا من رفض حقهم الطبيعي في ارض آبائهم وأجدادهم.

وقد تأسست أول مستعمرة صهيونية في فلسطين سنة ١٨٧٨، وبدأت طلائع المهاجرين الصهاينة تصل سنة ١٨٨٢. وفي السنة نفسها، بدأ البارون إدموند دي روتشيلد، وهو مليونير يهودي فرنسي، حملة تأييده للاستعمار اليهودي في فلسطين. وفي سنة ١٨٩٦، أنشأ البارون موريس دي هيرش، وهو مليونير يهودي ألماني، «رابطة الاستعمار اليهودي» في فلسطين، في حين نشر تيودور هيرتسل ــ وهو يهودي مجري ــ كتابه المسمى «الدولة اليهودية»؛ وهو عبارة عن بحث دمج فيه الأفكار الصهيونية السائدة وقتها، وحدد برنامجا لتنفيذها. وفي السنة التالية، دعا هيرتسل الى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا، الذي تمخض عن انشاء المنظمة الصهيونية العالمية؛ وهي الاطار التنظيمي الذي احتوى العمليات والتحركات الصهيونية اللاحقة كافة. وفي سنة ١٩٠١، أنشىء الصندوق القومي اليهودي في لندن، للحصول على أراض في فلسطين تدخل الحيازة اليهودية ولا تخرج منها أبدا، ولا تستخدم فيها إلا الأيدي العاملة اليهودية. وفي الفترة الواقعة بين الثمانينات من القرن الماضي وسنة ١٩١٤، كان قد أنشىء ثلاثون مستعمرة صهيونية تقريبا. وما ان حلت سنة ١٩١٤ حتى كان مجموع السكان اليهود في فلسطين قد بلغ نحو ثمانين ألفا، وإن احتفظت الأغلبية بجنسياتها الأوروبية.

وظهرت الأطوار الأولى للنشاط الصهيوني في فلسطين على الرغم من الاعتراض والرفض المتزايدين من قبل الفلسطينيين. وحاولت السلطات العثمانية، مرارا وتكرارا، فرض تشريعات مقيدة للهجرة الصهيونية الجماعية، ولشراء الأراضي، لكن جهودها أحبطت بسبب ضغط الدول الأوروبية، وفساد الموظفين الأتراك المحليين انفسهم، وطمع بعض ملاك الأرض الأفراد، وبراعة الصهاينة في استغلال نظام الامتيازات الأجنبية. وظهرت بشائر التوتر بين الفلسطينيين واليهود نتيجة لبرنامج الاستعمار، وما أعلنه المهاجرون الصهاينة الأوروبيون من أغراض سياسية. وقامت المؤسسات الصهيونية بشراء ضياع واسعة، من ملاك الأرض الاقطاعيين الغائبين في بيروت، وذلك من دون اعتبار للمستأجرين والمزارعين بالمشاركة من الفلسطينيين.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى تحالفت بريطانيا مع أولئك العرب الذين كانوا غير راضين عن الحكم العثماني. وقد أمل الشريف حسين بأن يكسب الوحدة والاستقلال للعرب عند انتهاء الحرب، جزاء تعاونه مع بريطانيا والتحالف الغربي ضد الأستانة. وفي تموز / يوليو ١٩١٥، دخل الشريف حسين في مراسلات بنية طيبة مع السير هنري مكماهون، المفوض السامي البريطاني في مصر. وعند انتهاء هذه المراسلات سنة ١٩١٦، فسّر العرب مراسلات حسين ــ مكماهون على أساس اعتراف بريطانيا ــ في تسويات ما بعد الحرب ــ باستقلال دولة عربية متحدة تتألف من الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية، ومنها فلسطين. على انه بحلول أيار / مايو ١٩١٦، كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا قد توصلت الى اتفاق سري، تقرر بموجبه تدويل الجزء الأكبر من فلسطين. وكان من التطورات ذات المغزى بالنسبة الى المستقبل، صدور خطاب سري في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧، عن آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطاني، الى البارون ليونيل وولتر دي روتشيلد ــ وهو صهيوني بريطاني ــ يتعهد فيه بتأييد بريطانيا لاقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وكانت هذه الوثيقة بمثابة الحد التاريخي الفاصل في تطور الحركة الصهيونية. ووقعت القدس في يد القوات البريطانية وقوات الكومنولث بقيادة الجنرال أللنبي في كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧. أما بقية أنحاء فلسطين فقد احتلت بحلول شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩١٨، وبذا فُتح الطريق على وسعه أمام تحقيق الفكرة الصهيونية.

١٨٧٦ ● إصدار الدستور العثماني.

١٨٧٦ / ١٨٧٧ ● انعقاد أول مجلس نيابي عثماني في الأستانة، وحضور أول مندوبين فلسطينيين من القدس انتخبوا لهذا البرلمان.

١٨٧٨ ● إنشاء أول مستعمرة صهيونية في فلسطين، وهي مستعمرة بتاح تكفا.

١٨٨١ ● تشرين الثاني / نوفمبر: الحكومة العثمانية تعلن الإذن لليهود الأجانب في الاستيطان بجميع أنحاء الامبراطورية العثمانية، باستثناء فلسطين.

١٨٨٢ ● البارون إدموند دي روتشيلد، المليونير الفرنسي، يبدأ الدعم المالي لعملية الاستعمار اليهودي في فلسطين.

● أول موجة من موجات الهجرة الجماعية الصهيونية تبدأ بالوصول الى فلسطين.

● عدد اليهود في فلسطين يصل الى ٢٤,٠٠٠ نسمة.

● تموز / يوليو: الحكومة العثمانية تتبع سياسة تسمح للحجيج ورجال الأعمال اليهود بزيارة فلسطين من دون الاستيطان فيها.

● كانون الأول / ديسمبر: الحكومة العثمانية تبلغ الى الزعماء اليهود في الأستانة أنها تعتبر الاستعمار الصهيوني في فلسطين مشكلة سياسية.

١٨٨٤ ● آذار / مارس: الحكومة العثمانية تقرر إغلاق الباب أمام رجال الأعمال من اليهود الأجانب الراغبين في زيارة فلسطين، مع السماح للحجيج اليهود فقط بالدخول.

١٨٨٨ ● أيار / مايو: الدول الأوروبية تضغط على الحكومة العثمانية للسماح لليهود الأجانب بالاستقرار في فلسطين، شرط ان يفعلوا ذلك فرادى لا جماعات.

١٨٩١ ● البارون موريس دي هيرش، المليونير اليهودي الألماني، يؤسس رابطة الاستعمار اليهودي.

● السلطان العثماني عبد الحميد الثاني يعرب عن مخاوفه من منح الجنسية العثمانية للمهاجرين اليهود في فلسطين، «لئلا يؤدي ذلك الى إقامة حكومة يهودية في القدس.»

١٨٩٢ ● تشرين الثاني / نوفمبر: الحكومة العثمانية تمنع بيع أراضي الدولة لليهود الأجانب في فلسطين.

١٨٩٣ ● نيسان / ابريل: الدول الأوروبية تضغط على الحكومة العثمانية للسماح لليهود، المقيمين بصورة قانونية في فلسطين، بشراء الأراضي فيها شرط ألا يقيموا أية مستعمرات عليها.

١٨٩٦ ● رابطة الاستعمار اليهودي تبدأ عملياتها في فلسطين.

● صدور كتاب «الدولة اليهودية» للزعيم الصهيوني المجري تيودور هيرتسل، وفيه يدعو الى إقامة دولة يهودية في الأرجنتين او فلسطين.

● السلطان عبد الحميد الثاني يرفض اقتراح هيرتسل منح فلسطين لليهود، ويقول: «لا أستطيع ان أفرط في اي جزء (من الامبراطورية)... ولا أوافق على تشريح الأحياء.»

١٨٩٧ ● تأليف لجنة برئاسة محمد طاهر الحسيني، مفتي القدس، للتدقيق في الوسائل التي يتبعها الصهاينة من أجل الحصول على الأراضي.

● آب / اغسطس: انعقاد أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا، واصداره برنامج بال بشأن استعمار فلسطين، وانشاء المنظمة الصهيونية العالمية.

● السلطان عبد الحميد الثاني يرد على عقد أول مؤتمر صهيوني، بايفاد أفراد من هيئة العاملين في قصره للاشراف شخصيا على حكم ولاية القدس.

١٨٩٨ ● الصحافة العربية ترد على عقد المؤتمر الصهيوني الأول، اذ حذرت صحيفة «المنار» القاهرية من مغبة أهداف الصهيونية الرامية الى الاستيلاء على فلسطين.

● القيصر ويلهلم الثاني، قيصر ألمانيا، يزور القدس.

١٨٩٩ ● ١٩ آذار / مارس: هيرتسل يبعث برسالة الى رئيس بلدية القدس الفلسطيني، يلمح فيها الى ان الصهاينة مستعدون للتوجه الى مكان آخر، إنْ لم يجدوا الترحيب في فلسطين.

● تشرين الأول / اكتوبر: ألبير عنتيبي، ممثل رابطة الاستعمار اليهودي في القدس، يقول ان برنامج المؤتمر الصهيوني الأول قد اضر بالعلاقات بين الفلسطينيين والمهاجرين اليهود.

١٩٠٠ ● رابطة الاستعمار اليهودي تتحمل مسؤولية بناء المستعمرات بتأييد من البارون دي روتشيلد.

● حزيران / يونيو: الحكومة العثمانية توفد لجنة تحقيق الى فلسطين لدراسة مغزى الهجرة الجماعية الصهيونية، والاستحواذ على الأراضي.

١٩٠١ ● الحكومة العثمانية تسمح لليهود الأجانب ـ نتيجة ضغط من الدول الأوروبية ـ بشراء الأراضي في شمال فلسطين.

● إنشاء «الصندوق القومي اليهودي»، كجهاز منبثق من المنظمة الصهيونية العالمية، لشراء الأراضي في فلسطين، على أن تصبح الأراضي التي يشتريها يهودية الى الأبد، ولا يسمح بالعمل فيها إلا للأيدي العاملة اليهودية.

● كانون الثاني / يناير: القيود العثمانية على الهجرة الصهيونية الى قضاء القدس وشراء الأراضي فيه، تصبح سارية المفعول.

● أيار / مايو: المجلس الاداري للقدس يعارض بشدة محاولات رابطة الاستعمار اليهودي للحصول على الأراضي في قضاء القدس.

● تموز / يوليو: المزارعون الفلسطينيون في منطقة طبرية يعربون عن معارضتهم اتساع نطاق الاستحواذ على الأراضي بواسطة الصهاينة.

١٩٠٢ ● كانون الثاني / يناير: صحيفة «المنار» المصرية تحذر من ان الصهيونية تسعى لتحقيق السيادة الوطنية لها في فلسطين.

● شباط / فبراير: ألبير عنتيبي، ممثل رابطة الاستعمار اليهودي، يقول «ان مشاعر الحقد التي تعتمل في نفوس الأهالي انما تتصادف مع ظهور الصهيونية.»

١٩٠٣ ● الموجة الثانية من موجات الهجرة الجماعية الصهيونية تبدأ بالوصول الى فلسطين.

● كانون الأول / ديسمبر: الشركة الأنغلوفلسطينية، وهي شركة تابعة لرابطة الاستعمار اليهودي، تتأسس في فلسطين لتمويل الاستعمار الصهيوني.

١٩٠٤ ● تموز / يوليو: وفاة تيودور هيرتسل.

● آب / أغسطس ـ أيلول / سبتمبر: تزايد التوتر بين المستعمرين الصهاينة والمزارعين الفلسطينيين في منطقة طبرية.

١٩٠٥ ● صدور كتاب «يقظة الأمة العربية» بقلم نجيب عازوري، وفيه تحذير من مغبة الأهداف السياسية الصهيونية في فلسطين.

١٩٠٧ ● إنشاء أول كيبوتس، على أساس استخدام الأيدي العاملة اليهودية من دون غيرها.

● آب / أغسطس: حاكم القدس العثماني يصدر تقريرا عن تهرب الصهاينة من تنفيذ قوانين الهجرة ونقل ملكية الأراضي، التي سنتها السلطات العثمانية.

١٩٠٨ ● انتخاب نواب فلسطينيين يمثلون القدس ويافا ونابلس وعكا، لعضوية المجلس النيابي العثماني لسنة ١٩٠٨ في الأستانة.

● إصدار صحيفة «الكرمل» الفلسطينية في حيفا، بغرض معارضة الاستعمار الصهيوني.

● ١٦ آذار / مارس: اشتباك بين المهاجرين الصهاينة والفلسطينيين في يافا، يسفر عن مقتل فلسطيني واحد وجرح ١٣ يهوديا.

● ٢٤ تموز / يوليو: بدء ثورة الشباب الأتراك في الأستانة.

١٩٠٩ ● إنشاء مدينة تل ابيب شمالي يافا.

● شباط / فبراير ـ نيسان / ابريل: تجدد التوتر والاشتباكات بين المستعمرين الصهاينة والمزارعين الفلسطينيين قرب الناصرة.

● حزيران / يونيو: إثارة القضية الفلسطينية أول مرة في المجلس النيابي العثماني، بمبادرة من مندوب فلسطيني عن يافا.

● تموز / يوليو: خمسة أعضاء في المجلس النيابي العثماني، ومنهم مندوب فلسطيني عن القدس، يجتمعون في لندن الى السير فرانسيس مونتفيوري ـ وهو زعيم صهيوني بريطاني ـ للاعراب عن مخاوفهم من الأهداف السياسية للصهيونية.

١٩١٠ ● الصحف العربية في بيروت ودمشق وحيفا تعرب عن معارضتها لحصول الصهاينة على الأراضي في فلسطين.

● حزيران / يونيو: مندوبون عن الولايات العربية، في المجلس النيابي العثماني، يطلبون الحصول على ضمانات من وزير الداخلية في الأستانة، لتوفير الحماية اللازمة من اتجاه الصهاينة الى الاستحواذ على الأراضي في فلسطين.

١٩١١ ● الصحافي الفلسطيني نجيب نصار يصدر أول كتاب بالعربية عن الصهيونية بعنوان «الصهيونية: تاريخها وهدفها وأهميتها».

● كانون الثاني / يناير ـ شباط / فبراير: الدول الأوروبية تضغط على الحكومة العثمانية للسماح للصهاينة بالحصول على الأراضي في فلسطين.

● كانون الثاني / يناير: صحيفة «فلسطين» تبدأ بالظهور، وتوجه النداء الى قرائها «الفلسطينيين» بالحذر من عواقب الاستعمار الصهيوني.

● آذار / مارس ـ نيسان / ابريل: المندوبون العرب عن القدس وبيروت ودمشق يسعون، داخل المجلس النيابي العثماني، لإصدار تشريع من أجل وقف الهجرة الصهيونية الجماعية الى فلسطين.

● نيسان / ابريل: ١٥٠ فلسطينيا من يافا يبرقون الى الأستانة بطلب اتخاذ اجراءات ضد الهجرة الجماعية الصهيونية والاستحواذ على الأراضي.

● ١٦ أيار / مايو: نائبان عن القدس يفتحان أول نقاش واسع النطاق في المجلس النيابي العثماني بشأن الصهيونية، ويحذّران من ان هدف الصهيونية هو انشاء دولة يهودية في فلسطين.

١٩١٢ ● نواب فلسطينيون عن القدس وغزة ونابلس وعكا ينتخبون لعضوية المجلس النيابي العثماني لسنة ١٩١٢.

● كانون الثاني / يناير: الدول الأوروبية تجدد ضغطها على الحكومة العثمانية لتسهيل استحواذ الصهاينة على الأراضي في فلسطين.

١٩١٣ ● كانون الثاني / يناير: محرر فلسطيني في صحيفة «فلسطين» يكتب قائلا: «ان الصهاينة سوف يسيطرون على بلادنا قرية بعد قرية، وبلدة بعد أخرى.»

١٩١٤ ● أول آب / أغسطس: اندلاع الحرب العالمية الأولى.

١٩١٥ ● ١٤ تموز / يوليو: بدء المراسلات بين الشريف حسين شريف مكة، والسير هنري مكماهون المفوض السامي البريطاني في مصر.

● آب / أغسطس: جمال باشا، الحاكم العسكري العثماني، يأمر بشنق احد عشر وطنيا عربيا في بيروت.

١٩١٦ ● ٣٠ كانون الثاني / يناير: انتهاء مراسلات حسين ـ مكماهون، والعرب يفسرونها بأنها تقدم ضمانة باستقلال ووحدة الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية، ومنها فلسطين، وذلك في فترة ما بعد الحرب.

● أيار / مايو: جمال باشا يأمر بشنق ٢١ زعيما ومثقفا عربيا، ومنهم فلسطينيان، في بيروت ودمشق.

● ١٦ أيار / مايو: توقيع اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية، التي تم بمقتضاها تقسيم الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا.

● حزيران / يونيو: الشريف حسين يعلن استقلال العرب عن الحكم العثماني، على أساس مفهوم مراسلاته مع مكماهون، وبدء الثورة العربية ضد الآستانة.

● تشرين الثاني / نوفمبر: الشريف حسين يُنَصَّب «ملك الدول العربية».

١٩١٧ ● ٢ تشرين الثاني / نوفمبر: آرثر جيمس بلفور، وزير الخارجية البريطاني، يبعث برسالة الى البارون ليونيل وولتر دي روتشيلد، يتعهد فيها بتأييد بريطانيا لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (وعد بلفور).

● ٩ كانون الأول / ديسمبر: استسلام القوات العثمانية في القدس للقوات المتحالفة بقيادة الجنرال ألّلنبي.

١٩١٨ ● أيلول / سبتمبر: إتمام احتلال أراضي فلسطين كلها من قبل القوات المتحالفة بقيادة الجنرال ألّلنبي.

● ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر: انتهاء الحرب العالمية الأولى.

الأحداث السياسية والعامة

«أناشدكم باسم الله أن تدعوا فلسطين وشأنها»

٣، ٣أ، ٣ب كان يوسف ضيا باشا الخالدي نائب القدس المنتخب في مجلس المبعوثان العثماني الأول سنة ١٨٧٧، وقد تقلب في عدد من المناصب الرسمية، بينها رئاسة بلدية القدس سنة ١٨٩٩. وتميز الخالدي، في أثناء تمثيله للقدس في مجلس المبعوثان ــ الذي انتخب أعضاؤه في اثر اعلان الدستور سنة ١٨٧٦ ــ بمواقفه المعارضة لانتهاكات الحكم العثماني للدستور. وبقي على موقفه هذا بعد ان حل السلطان عبدالحميد الثاني المجلس في العام الأول من انتخابه، تفاديا لانتشار مبادىء الحرية التي نادى بها النواب المعارضون، ومن فيهم الخالدي. لم يقتصر نشاط الخالدي على المعارضة السياسية، بل كان رائدا من رواد اليقظة الثقافية الفلسطينية، اذ حاضر في جامعة فيينا، وكان اول عالم عني بإعداد قاموس عربي ــ كردي. كما كان معارضا نشيطا للحركة الصهيونية وللهجرة اليهودية الى فلسطين؛ فقد وجه خطابا الى تسادوق كاهن، رئيس حاخامي فرنسا، حثه فيه على البحث عن مكان آخر غير فلسطين الآهلة بسكانها العرب. ومما قاله في الخطاب: «أناشدكم باسم الله ان تدعوا فلسطين وشأنها.» وبادر كاهن الى اطلاع تيودور هيرتسل، زعيم الحركة الصهيونية، على الخطاب، فما كان من هيرتسل إلا ان رد برسالة الى الخالدي في ١٩ آذار/مارس ١٨٩٩ (أنظر الصورتين، ٣أ، ٣ب)، مؤكدا «اننا سنبحث عن مكان آخر. وثق باننا سنجد ما نحتاج اليه» اذا كان أهل فلسطين لا يريدون استقبال الصهيونيين.



٢

٣أ

WIEN WÄHRING
CARL LUDWIGSTRASSE 50

19 Mars 899

Excellence,

Je dois à la bienveillance de Mr Zadok Kahn le plaisir d'avoir lu la lettre que vous lui avez adressée. Laissez moi vous dire tout d'abord que les sentiments d'amitié que vous exprimez pour le peuple juif m'inspirent la plus vive reconnaissance. Les juifs étaient, sont et seront les meilleurs amis de la Turquie depuis le jour où le Sultan Sélim a ouvert son Empire aux juifs persécutés de l'Espagne.

Et cette amitié ne consiste pas seulement en paroles, elle est toute prête à se transformer en actes et à venir en aide aux musulmans.

L'idée sioniste, dont je suis l'humble serviteur, n'a aucune tendance hostile au gouvernement ottoman, mais bien au contraire il s'agit dans ce mouvement d'ouvrir de nouvelles ressources à l'Empire ottoman. En faisant immigrer une quantité de juifs apportant leur intelligence, leur esprit financier et leurs moyens d'entreprise au pays, il ne peut faire

٣ب

un peu plus de sympathie pour notre mouvement.

Vous dites à Mr. Zadok Kahn que les juifs feraient mieux de se tourner d'un autre côté. Cela pourrait bien arriver le jour où nous nous rendrons compte que la Turquie ne veut pas comprendre les avantages immenses que lui offre notre mouvement.

Nous nous sommes expliqués publiquement, clairement et loyalement sur notre but. J'ai fait soumettre à S.M. le Sultan des propositions générales, et je me plais à croire que la haute lucidité de son esprit lui fera accepter en principe l'idée dont on pourra ensuite discuter les détails d'exécution. S'il ne l'acceptera pas, nous chercherons et croyez moi nous trouverons ailleurs ce qu'il nous faut.

Mais alors la dernière chance qu'aura la Turquie de régler ses finances, de recouvrir une vigueur économique sera perdue pour toujours.

C'est un ami sincère des Turcs qui vous dit aujourd'hui ces choses là. Souvenez vous en!

Et recevez, Excellence, l'assurance de ma considération bien distinguée.

Dr Théodore Herzl



حفل افتتاح أحد المستشفيات

٤ الشيخ بدر، احدى الضواحي القريبة لمدينة القدس، بالقرب من قرية دير ياسين (أنظر الصورة ٤١١). ويبدو في الصورة ٤ أعلاه عدد من كبار المسؤولين العثمانيين، بمن فيهم فلسطينيون عرب (بلباس رسمي على الشرفة)، بالاضافة الى عدد من وجهاء فلسطين ومن الفلسطينيين العاملين في الادارة المحلية. ويُرى في الصف الأول الى اقصى اليسار السيد الياس حبيب، الفلسطيني الأورثوذكسي، باشكاتب بلدية القدس.

زيارة القيصر للقدس

٥ امبراطور ألمانيا، القيصر ويلهلم الثاني، يتفقد مسجد قبة الصخرة المشرفة (أنظر الصورة ١) في أثناء زيارته للقدس سنة ١٨٩٨. وقد قام القيصر بهذه الزيارة كي يبين للدول الأوروبية الأهمية التي توليها ألمانيا لمصالحها في المشرق العربي، وكي يعزز العلاقات بين ألمانيا والامبراطورية العثمانية.

ثورة جمعية الاتحاد والترقي

٦ السراي الكبير (أنظر الصورتين ١٦٤، ٣٩٣) وفيه مكاتب الادارة المحلية، يافا، تموز / يوليو ١٩٠٨: حشد كبير من أبناء فلسطين يفد للاحتفال بثورة ١٩٠٨، التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي لحمل السلطان عبد الحميد الثاني على اعادة دستور ١٨٧٦، واطلاق الحريات، واجراء انتخابات لبرلمان جديد (أنظر الصورة ٣). أطلق العرب على هذه الثورة اسم «الحرية»، واشتركوا فيها مع الأتراك، لكن العلاقات بين الطرفين تأزمت قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.



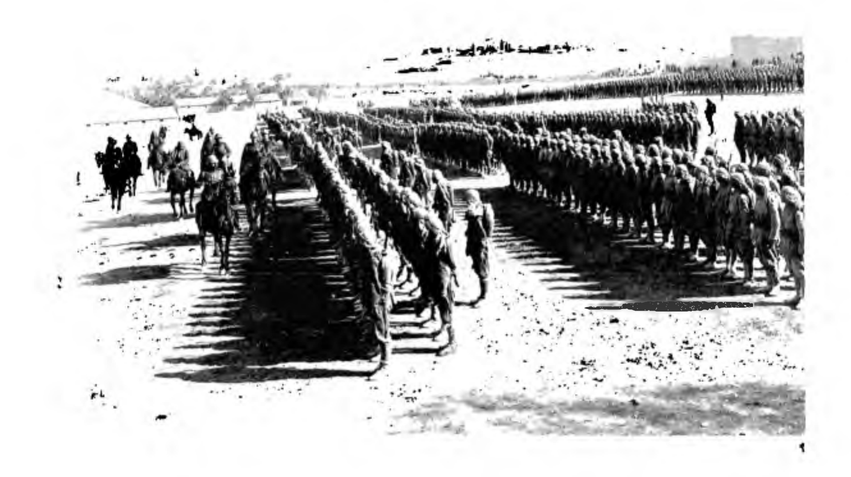




٧



٨



٩

٧ القدس، سنة ١٩٠٨: احتفال فلسطيني بمناسبة «ثورة والحرية»، يشارك فيه بعض الرسميين المحليين.

الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى

٨ جمال باشا وهيئة أركان حربه في مدينة القدس. كان جمال من أقطاب جمعية الاتحاد والترقي، وقد تولى قيادة الجيش العثماني الرابع في سوريا ولبنان وفلسطين أيام الحرب العالمية الأولى. اشتهر جمال ببطشه ناقب بـ «السفّاح»، وقد اصدر أوامره بإعدام طائفة من أحرار العرب الذين هبوا للمطالبة بالحرية والاستقلال. ففي ٢١ آب / اغسطس ١٩١٥ و ٦ أيار / مايو ١٩١٦، اعدم جمال باشا ٣٢ من الوطنيين في سوريا ولبنان وفلسطين بتهمة الاشتراك في الثورة العربية الكبرى. طالبت الثورة بالحرية والاستقلال ووحدة الأقطار العربية، ومن جملتها فلسطين، وهي أهداف تظاهر الحلفاء الغربيون بتأييدها ووعدوا العرب بمساعدتهم في تحقيقها.

٩ جمال باشا يعرض قواته غربي مدينة القدس، نحو سنة ١٩١٧.







١٢

١٣



١٠، ١١ العقبة، سنة ١٩١٧: أفراد من قوات الثورة العربية الكبرى.

١٢ محطة سكة حديد مدينة القدس، سنة ١٩١٧: جمال باشا، القائد العام في سوريا وفلسطين، مع الجنرال إريك فون فولكنهاين رئيس البعثة العسكرية الألمانية في الشرق.

١٣ القدس، سنة ١٩١٧: ضباط ألمان وأتراك.



PROCLAMATION
OF MARTIAL LAW IN JERUSALEM.

To the Inhabitants of Jerusalem the Blessed and the people dwelling in its vicinity.

[illegible]

EDMUND HENRY HYNMAN ALLENBY, General,

[illegible] 1917.

PROCLAMATION
DE LA LOI MARTIALE A JÉRUSALEM

[illegible]

EDMUND HENRY HYNMAN ALLENBY, Général,

[illegible] 1917.

PROCLAMAZIONE
DI LEGGE MARZIALE IN GERUSALEMME

[illegible]

EDMUND HENRY HYNMAN ALLENBY, Generale,

[illegible] 1917.

١٦

الجنرال اللنبي في فلسطين

١٤ القدس، ٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧: ضباط صف بريطانيون من طلائع الكتيبة ٢١٩، من فوج لندن، يتقبلون استلام مدينة القدس من رئيس البلدية، السيد حسين سليم الحسيني (الرابع من جهة اليمين، المتكىء على عصا). الثاني الى يمين الصورة هو السيد احمد شريف، فلسطيني كان يشغل منصب مفتش في الدرك.

١٥ القلعة، داخل بلدة القدس القديمة، ١١ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧: الجنرال إدموند اللنبي، القائد العام لقوات الحلفاء، بمناسبة إعلانه الحكم العرفي بعد دخوله مدينة القدس.

١٦ بيان اللنبي الذي وردت فيه عبارة «... لئلا ينتاب الخوف احدا منكم...»



١٥

١٧ قوات تابعة للواء الفرسان الأسترالي الخامس، بإمرة أللنبي، تدخل مدينة نابلس في ٢١ أيلول / سبتمبر ١٩١٨ لتثبيت سيطرة الحلفاء.

١٨ أفراد تابعون لكتيبة القنّاصة الفرنسية الافريقية الرابعة، بإمرة أللنبي، يدخلون قرية عنبتا الواقعة شرقي مدينة طولكرم في أواخر شهر أيلول / سبتمبر ١٩١٨.

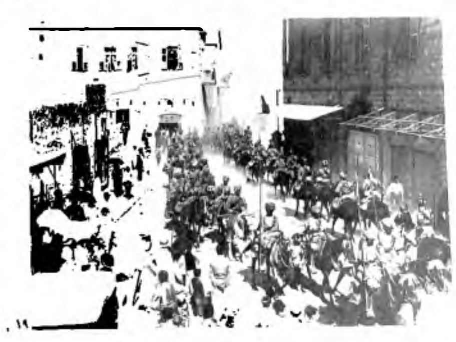
١٩ قوات هندية من لواء الخيّالة الامبراطورية الخامس عشر في الجيش البريطاني، تدخل مدينة حيفا في ٢٣ أيلول / سبتمبر ١٩١٨.




١٧



١٨



١٩

الريف والمدن والحياة الدينية

مشاهد من الريف

٢٠ فارس ينظر الى قرية عسكر الواقعة شرقي مدينة نابلس.



٢٠

٢١ فارس ينظر الى قرية دبّورية الواقعة شرقي مدينة الناصرة، على السفح الغربي لجبل طابور.

٢٢ شخص ينظر في اتجاه مرج ابن عامر.

٢٣ «حقل الرعاة» الوارد ذكره في الانجيل، كما يراه الناظر من مدينة بيت لحم. وتبدو في الصورة بلدة بيت ساحور.

٢٤ قرية بتّير، وهي تقع الى الجنوب الغربي من مدينة القدس.



٢١

٢٢





٢٣

٢٤



٢٥ منظر عام لبلدة جنين. (تصوير المصور الفرنسي بونفيس)[1]

٢٦ قرية عين كارم، التي تقع غربي مدينة القدس. (بونفيس)[1]

التسامح الفلسطيني الديني

الريف الفلسطيني حافل بالمباني والآثار الدينية التي يجلّها المسلمون. ونظرا الى ان فلسطين كانت مهبط الديانتين المسيحية واليهودية، اتقد تميز سكانها المسلمون بالتسامح، وباحترام الشعائر والتقاليد المسيحية واليهودية.

٢٧ دير مار سابا، وقد سمي بذلك نسبة الى زاهد بيزنطي توفي سنة ٥٣١م. يقع الدير في البرّية الى الجنوب الشرقي من مدينة القدس. وقد أقام المسلمون مقامات ومباني كثيرة لتخليد ذكرى أولياء مسيحيين ويهود. (أنظر الصور ٢٨ ــ ٣٠، ٣٨، ١٨٠، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٨)



٢٥

٢٦





٢٧

٢٨ مسجد النبي صموئيل، وهو يقع الى الشمال الغربي من مدينة القدس. (بونفيس)[١]

٢٩ مقام إسلامي للنبي يوسف، وهو يقع شرقي مدينة نابلس.

٣٠ مقام إسلامي عند بئر طيبة شرقي مدينة يافا. وقد ورد ذكر طيبة في الانجيل (أعمال الرسل ٩:٣٦ ـ ٤١).



٢٨



٢٩



٣٠

قرويون من القسم الأوسط من فلسطين

٣١ عائلة من رام الله، التي تقع شمالي مدينة القدس.



٣١



٣٢

٣٢ من سكان بيت لحم، وهي تقع جنوبي مدينة القدس.

٣٣ سيدات من بيت لحم يشربن القهوة، ويدخنّ النارجيلة.

٣٤ صورة التقطها بونفيس[١] لفتاتين فلسطينيتين من بيت لحم. وتجدر الاشارة هنا الى ان لكل منطقة، من مناطق فلسطين، ازياءها النسائية المميزة بنقوشها وتطريزها ولونها. لاحظ قطع النقد على لباس الراس.

٣٥ موسى الجفيني (وُلد سنة ١٨٥٨م) من قرية عين كارم التي تقع غربي القدس. لاحظ معطفه المصنوع من جلد الخروف المقلوب الى الداخل.



٣٣

٣٥ ٣٤

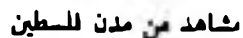




٣٦

٣٧





مشاهد من مدن فلسطين

٣٦ عوجا الحفير، القريبة من الحدود المصرية. من الجهة الأمامية تبدو صورة الساحة العامة البلدة، وتبدو في البعد معسكرات الجيش العثماني.

٣٧ مدينة غزة، وسماها العرب «غزة هاشم» نسبة الى هاشم بن عبد مناف، جد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الذي توفي ودفن فيها. (بونفيس)[1]

٣٨ مدينة الخليل، نسبة الى خليل الرحمن النبي ابراهيم، عليه السلام. ويبدو في الصورة المسجد الابراهيمي الذي يحتل مركزا خاصا في قلوب المسلمين، ذلك بأن جد الأنبياء ابراهيم بنى الكعبة، ولما توفي دفن في الخليل، كما دفن فيها من بعده ابناه اسحق ويعقوب وزوجتاهما. وتشاهد حول المسجد الابراهيمي المآذن والقبب التي اقيمت تخليدا لجد الأنبياء. (انظر الصور ٢٨، ٢٩، ١٨٠، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٨)

٣٩ بلدة القدس القديمة (الصورة مأخوذة في اتجاه جبل الزيتون شرقا). وتبدو، في أعلى الصورة الى اليمين، قبة الصخرة المشرفة. (بونفيس)[1]



٣٨

٣٩



٤١



٤٠

٤٢



٤٠، ٤١ مشهدان لباب الخليل في بلدة القدس القديمة:
(٤٠) صورة للباب من داخل البلدة القديمة؛ (٤١) صورة للباب من خارج أسوار البلدة القديمة.

٤٢ مدينة الرملة من الغرب، بناها العرب سنة ٧١٦م. وللرملة مكانة مهمة في التاريخ الاسلامي، وقد كانت حاضرة جند فلسطين.

٤٣ مدينة يافا، في اتجاه الجنوب. (بونفيس)[١]

٤٤ يافا من البحر.



٤٣



٤٤



٤٥

٤٦



٤٧



٤٨

المدينة .

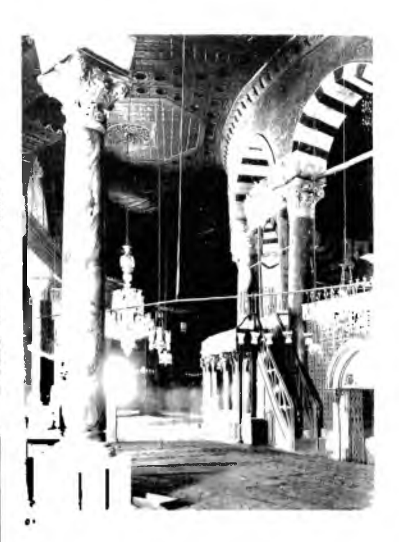
٤٦ نابلس وجبل جرزيم.

٤٧ حيفا: منظر للأحياء الفلسطينية من الشمال.

٤٨ حيفا: منظر عام من جبل الكرمل.



١٩



٥٠



٥٢



٥١

المساجد والكنائس والطقوس

٤٩ المسجد الأقصى، القدس (أنظر الصورة ١)، شيده الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في السنوات ٧٠٥ ـ ٧١٥م. وعلى مر الأجيال، عني الحكام المسلمون بالمحافظة عليه، وبالانفاق على ترميمه وزخرفته، لكونه محط أنظار الملايين من المسلمين في مختلف أصقاع الأرض.

٥٠ قبة الصخرة المشرفة من الداخل (أنظر الصورة ١).

٥١ قبة الصخرة المشرفة، كما يراها الناظر من المسجد الأقصى. يبدو في الصورة أمام المسجد الكأس، وهي ساقية يستخدم المصلون ماءها للوضوء.

٥٢ حجيج مسيحيون من روسيا يتبركون بنهر الأردن. وقد ازداد عدد الحجيج المسيحيين الوافدين من أوروبا ازديادا كبيرا بظهور السفن البخارية.

٥٣ مغارة كنيسة المهد في بيت لحم (أنظر الصورة ٢). يظهر في الصورة احد أفراد الترك العثمانيين لمنع وقوع المصادمات بين الطوائف المسيحية المختلفة.

٥٤ حجيج مسيحيون يدخلون مدينة بيت لحم في عيد الميلاد. (بونفيس)[١]

٥٥ نساء يهوديات يصلين أمام حائط المبكى. وعلى مدى قرون طويلة من الحكم العربي والحكم الاسلامي في فلسطين، تمتع اليهود بحرية ممارسة شعائرهم الدينية أمام حائط المبكى (أنظر الصورتين ٩٠، ٢٠٣). ولم يطرأ اي تبديل على ذلك إلاّ بعد قيام اسرائيل عنوة وقسرا سنة ١٩٤٨.

٥٦ مئذنة الجامع الأبيض في مدينة الرملة، ويطلق عليها أيضا اسم «برج الأربعين شهيدا». أعيد بناؤها سنة ١٣١٨م. أما الجامع الأبيض، فلم يبق منه إلا هذا البرج. (بونفيس)[١]



٥٣



٥٤





٥٦



٥٥



٥٧



٥٨

٥٧ كنيسة «القديسة آن» في بلدة القدس القديمة. بناها الصليبيون سنة ١١٤٠م، وسلمها العثمانيون الى فرنسا سنة ١٨٥٦. وقد رفع عليها، في هذه الصورة، العلم الفرنسي ذو الألوان الثلاثة. (بونفيس)[1]

٥٨ أبناء الطائفة الأورثوذكسية يحتفلون بعيد الفصح (لاحظ الشموع المضاءة)، منطلقين من بطريركية الروم الى كنيسة القيامة في بلدة القدس القديمة. أخذت الصورة نحو سنة ١٩١٠م.

المدارس والمكتبات والأنشطة الرياضية

٥٩ مباراة كرة القدم في باب الساهرة، خارج أسوار بلدة القدس القديمة. ولعل هذه الصورة هي الأولى لمباراة رياضية تجري في القدس. لاحظ احد أضرحة المسلمين في اقصى اليمين من الأمام.

٦٠ معلمات وطالبات المدرسة الأورثوذكسية للبنات في بيت جالا (بالقرب من بيت لحم)، سنة ١٩٠٦. ترتدي الطالبات أزياءهن الريفية التقليدية. أسست المدرسة في القدس احدى المحسنات الروسيات سنة ١٨٥٨، وقامت بتمويلها فيا بعد القيصرة ماريا ألكسندروفنة.



٥٩



٦٠



٦١

٦١ المدرسة الدستورية، تأسست في القدس سنة ١٩٠٩. سميت بهذا الاسم تيمنا بالدستور العثماني الذي اعيد سنة ١٩٠٨ (أنظر الصور ٣، ٦، ٧). أسسها وتولى إدارتها خليل السكاكيني، وهو اديب ومربٍّ فلسطيني من الطائفة الأورثوذكسية. وقد ركزت المدرسة، في برامجها، على أساليب التعليم العصرية، وأصبحت مثالا يحتذي به سائر المدارس الفلسطينية الخاصة.

٦٢

٦٢ مدرسة سان جورج (مدرسة المطران) الانجيلية للبنين. أسسها في القدس سنة ١٨٩٩ قساوسة بريطانيون، وهي من اهم المدارس الخاصة التي أقامتها الارساليات الأوروبية والأميركية في فلسطين، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. التحق بها، في بادىء الأمر، أبناء العائلات البروتستانتية الفلسطينية. ولاحقا تسجل فيها، وفي غيرها من مدارس الارساليات، أعداد متزايدة من الطلبة المسلمين، وذلك قبل الحرب العالمية الأولى. في هذه الصورة، طلاب المدرسة وهيئتها التدريسية. في أقصى اليسار (واقفا) السيد شبلي الجمل، من عائلة فلسطينية بروتستانتية، كان عضوا في أول وفد فلسطيني الى لندن سنة ١٩٢١ لعرض وجهة النظر الفلسطينية (أنظر الصور ٨٤ــ ٨٦).

٦٣ لاعب كرة القدم الجالس الى اليسار هو السيد عزت طنوس، من طلاب مدرسة سان جورج. ولد عزت لعائلة فلسطينية بروتستانتية. تخصص بالطب. وانتدبته الهيئة العربية العليا، بعيد الحرب العالمية الثانية، ليمثلها في الجمعية العامة لهيئة الأمم (كانت الهيئة العربية أعلى سلطة سياسية ممثلة الشعب الفلسطيني أيام الانتداب ــ أنظر الصورة ٢٤٢).

٦٤ فريق كرة القدم التابع لمدرسة سان جورج. من أبرز مفاخره تغلبه على فريق الجامعة الأميركية في بيروت، في عقر دار الأخير، سنة ١٩٠٩ (أنظر الصورتين ٢٣١، ٢٣٢).

٦٥ احدى زوايا المكتبة الخالدية في باب السلسلة بلدة القدس القديمة (نحو سنة ١٩١٤). أسست المكتبة سنة ١٩٠٠ بفضل هبة مالية قدمتها والدة الحاج راغب الخالدي (جالسا الثاني الى اليمين). كانت المكتبة مفتوحة للجمهور، وهي تضم أوسع مجموعة في فلسطين للمخطوطات العربية النادرة.

٦٤

٦٣





٦٥



٦٦



٦٧

٦٦ روحي الخالدي (١٨٦١ ـ ١٩١٣). انتخبه أهل القدس نائبا عنهم في المجلس النيابي في الآستانة سنة ١٩٠٨، وجددوا انتخابه ثانية سنة ١٩١٢، وأصبح نائبا لرئيس المجلس سنة ١٩١١. عمل مدرسا في جامعة السوربون في باريس. عينه الباب العالي قنصلا عاما للدولة العثمانية في مدينة بوردو الفرنسية، سنة ١٨٩٨. كان روحي الخالدي رائدا من رواد النهضة الفكرية في فلسطين، وترك عددا من الآثار، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع. ومن جملة هذه الآثار: «المقدمة في المسألة الشرقية»، و«العالم الاسلامي»، و«دراسة مقارنة في الأدب العربي والأدب الفرنسي». هذا عدا دراسة مطوّلة عن الصهيونية عنوانها «المسألة الصهيونية»، وهي أول دراسة جدية بالعربية تعالج هذا الموضوع.

٦٧ فيضي العلمي، تولى رئاسة بلدية القدس في السنوات ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩، كما كان نائبا عن القدس في البرلمان العثماني في السنوات ١٩١٤ ـ ١٩١٨. كان فيضي واسع الثقافة، وقد ترك فهرسا أبجديا للقرآن الكريم بعنوان «فتح الرحمان». وهو والد موسى العلمي (أنظر الصورة ٣٤٣)، الذي أصاب شهرة واسعة في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين.

٦٨ عارف باشا الدجاني (توفي سنة ١٩٣٠)، تولى رئاسة بلدية القدس أيام الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب مباشرة، أصبح رئيسا للجمعية الاسلامية المسيحية في القدس. وبين ٢٧ كانون الثاني/ يناير و١٠ شباط/ فبراير ١٩١٩، دعت ٢٧ من هذه الجمعيات، التي تأسست في أماكن مختلفة من فلسطين، الى عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في القدس. وعقد المؤتمر برئاسة عارف باشا الدجاني. من المبادىء التي طالب المؤتمر بتنفيذها، اقامة حكومة ذاتية مستقلة ومتحدة فدراليا بسوريا. ورفض المؤتمر الادعاءات الصهيونية السياسية، مع تأكيده ان للسكان الأصليين من اليهود الحقوق والواجبات نفسها التي للعرب المسلمين والمسيحيين. عقد بعد هذا المؤتمر ستة مؤتمرات فلسطينية، كان آخرها في سنة ١٩٢٨ (أنظر الصور ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٩).

٦٩ الشيخ اسعد الشقيري، انتخب ليكون ممثل عكا في البرلمان العثماني سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٢. واظب على دراسة الشريعة الاسلامية في الأزهر الشريف. التحق الشيخ اسعد الشقيري بالقضاء الشرعي في فلسطين وخارجها. ومن المناصب التي تسلمها، رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية بمدينة ادنة (في آسيا الصغرى)، كما انه اصبح أمينا لكتبة السلطان عبد الحميد في قصر يلدز بالعاصمة العثمانية. وبعد اعلان الحرب العالمية الأولى، عين الشيخ اسعد مفتيا للجيش العثماني الرابع المتمركز في سوريا وفلسطين. الشيخ اسعد هو والد احمد الشقيري، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية حتى استقالته في ٢٤ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٧ (أنظر الصورتين ١٠٥، ٢٢٤).

٧٠ نقولا عبدو، احد المسؤولين الاداريين في البطريركية الأورثوذكسية في القدس.



٦٩



٦٨



٧٠

٧١ خليل جوهرية، من عائلة أورثوذكسية، شقيق واصف جوهرية الموسيقار والفنان الذوّاقة. ومما جمعه واصف مجموعة رائعة من الصور الفوتوغرافية التي عولنا عليها في هذا الكتاب. يرتدي خليل، في هذه الصورة، بزة الجيش العثماني في أثناء الحرب العالمية الأولى (أنظر الصورة ٢٠١).

٧٢ خليل رعد، ولد لعائلة فلسطينية أورثوذكسية. عميد المصورين الفوتوغرافيين الفلسطينيين. ترك مجموعة نادرة من الصور التي اقتناها هذا المؤلف. درس فن التصوير في بازل بسويسرا. يشاهد هنا في لباسه العسكري يوم كان منخرطا في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى (أنظر الصور ١٢٤ ــ ١٣٦).

٧٣ سعيد الشوا، من كبار أعيان مدينة غزة، وكبار تجار الحبوب في فلسطين. اصبح، ابان الاحتلال البريطاني لفلسطين، رئيسا لبلدية غزة وعضوا في المجلس الاسلامي الأعلى. مثل غزة في ثلاثة من المؤتمرات العربية الفلسطينية: الأول (١٩١٩)، والرابع (١٩٢١)، والخامس (١٩٢٢). (أنظر الصور ٦٨، ٨٢، ٨٣، ٨٧)

٧٤ ثيودور براملكي، من القضاة الأورثوذكس في القدس، ويبدو في هذه الصورة مرتديا اللباس العثماني الرسمي.



٧٢



٧١



٧٤



٧٣

٧٥ سابا يعقوب سعيد، محام أرثوذكسي ومستشار قانوني للبطريركية الأرثوذكسية في فلسطين.

٧٦ جورج حمصي، محام ومؤلف أرثوذكسي من بيت المقدس.

٧٧ نظيف الخالدي، مهندس فلسطيني من القدس. كان من كبار المساعدين العاملين مع مايسنر، رئيس المهندسين الألمان. اشرف مايسنر على انشاء سكة حديد الحجاز، التي بدأ العمل فيها سنة ١٩٠٠، والتي كانت تربط دمشق بالمدينة المنورة. وقد سمي جبل النظيف، الكائن في عمان على اسمه، لأنه خيّم فيه بصحبة فريق من المهندسين في أثناء بناء سكة حديد الحجاز.

٧٨ موسى كاظم باشا الحسيني، كبير رجالات القضية الفلسطينية في العشرينات ومطلع الثلاثينات. درس في العاصمة العثمانية، حيث تخرج من مدرسة الخدمة المدنية التي تسلم خريجوها مناصب ادارية في الأقضية. عُيّن، بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٩١٣، متصرفاً في عسير في الجزيرة العربية، وحوران في سوريا، والمنتفق في العراق. عُيّن رئيساً لبلدية القدس مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين، لكنه خلع من منصبه في نيسان / ابريل ١٩٢٠ بسبب معارضته لسياسة بريطانيا الصهيونية في فلسطين. وقد ترأس موسى كاظم باشا، منذ ذلك التاريخ حتى وفاته في سنة ١٩٣٤، الحركة الوطنية الفلسطينية (أنظر الصور ٦٨، ٨٤ــ٨٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١١، ١١٢). هو والد الشهيد عبد القادر الحسيني، الذي كان من القادة البارزين في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩)، وفي حرب ١٩٤٨ (أنظر الصور ٢٥٣، ٢٩٦، ٤٠٩ ــ ٤١١).


٧٦


٧٧


٧٥



٧٨

القسم الثاني

من الاحتلال البريطاني الى الثورة الفلسطينية الكبرى

١٩١٨ - ١٩٣٥

مقدمة

اصيب الفلسطينيون لدى انتهاء الحرب العالمية الأولى بخيبة أمل كبرى، وراودهم شعور بالتطيّر وتوقع السوء، ولا سيما عندما انتشرت أنباء الاتفاقيات السرية بين الدول الغربية، وخصوصا ما عرف من امر وعد بلفور. وارتعب الفلسطينيون لما شاع من احتمالات انشاء وطن قومي لليهود في بلادهم وأراضيهم. وكان ذلك ما توقعوه من امر الصهيونية منذ الثمانينات من القرن الماضي، لكن الحكومة العثمانية على الرغم من ضعفها كانت، على أقل تقدير، معارضة للصهيونية. أما الآن فقد بادرت بريطانيا العظمى، أقوى الدول الاستعمارية في العالم، الى احتضان الصهيونية. وكانت صيغة وعد بلفور قد زادت في الطين بلة، عندما أشارت الى الفلسطينيين باعتبارهم «تجمعات غير يهودية»، حتى لو كانوا يشكلون وقتها ٩٢٪ من السكان. ورفض الفلسطينيون رفضا باتا مقولة ان الارتباط اليهودي بفلسطين زمن النبوءات وحوادث التوراة، قد خوّل الصهاينة الأوروبيين المعاصرين حق السيادة السياسية، التي تبطل حق الفلسطينيين في وطنهم الذي ألفوه منذ قرون. وحنق الفلسطينيون على صلافة بريطانيا، التي رأت ان تمنح بلادهم الى طرف ثالث. وازداد الشعور بخيبة الظن والوقوع ضحية الخداع بسبب ما كانت بريطانيا قد تعهدت به زمن الحرب للشريف حسين، ونظرا الى التحالف العربي مع بريطانيا ضد الآستانة.

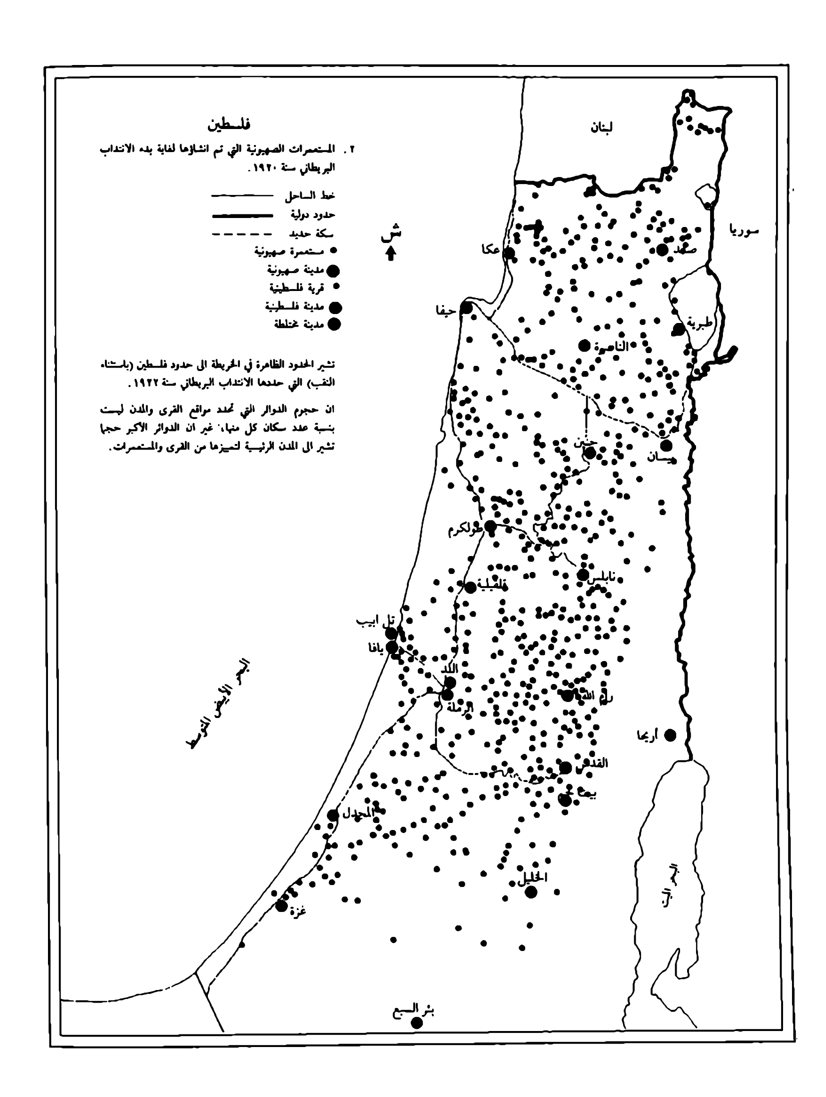
التسوية في فترة ما بعد الحرب ونظام الانتداب

في حزيران / يونيو ١٩١٩، تم توقيع معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم. وكان قد ظهر ان مستقبل الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية سوف يخضع لحكم المادة ٢٢ من الميثاق، التي نبعت من المبدأ السامي لتقرير المصير الذي نادى به الرئيس الأميركي ويلسون. وقد نصت المادة ٢٢ على ان رفاهية الولايات العربية «هي وديعة مقدسة في عنق الحضارة»، ولا بد من اعتبار التجمعات السكنية فيها «دولا مستقلة»، مع مراعاة تقديم المعونة الادارية لها من قبل دولة منتدبة. أما رغبات هذه التجمعات السكنية فتكون «اعتبارا رئيسيا» عند اختيار هذه الدولة المكلفة بالانتداب.

وردّ الفلسطينيون على وعد بلفور، ونظام الانتداب المقترح، بأن التصقوا أكثر فأكثر بالحركة الوطنية العربية بقيادة الشريف حسين، الذي كان ولده الأمير فيصل قد نصّب نفسه في دمشق. وفي تموز / يوليو ١٩١٩ حضر مندوبون فلسطينيون مؤتمرا عربيا شاملا في دمشق، انتخب فيه فيصل ملكا على دولة تشمل فلسطين ولبنان وشرق الأردن وسوريا. لكن حكم فيصل في دمشق لم يدم طويلا، إذ عزله الفرنسيون في تموز / يوليو ١٩٢٠، وبدأوا يفرضون حكمهم على لبنان وسوريا، طبقا لاتفاقية كانت قد أُبرمت مع بريطانيا.

وخلال ١٩١٩/١٩٢٠، علق الفلسطينيون آمالهم على لجنة تحقيق كينغ ـ كرين، التي أوفدها الرئيس الأميركي وودرو ويلسون في أيار / مايو ١٩١٩، لاستطلاع رغبات أهل المنطقة فيما يتعلق بمستقبلهم. وفي آب / أغسطس ١٩١٩، قدمت اللجنة تقريرا عن مخاوف الفلسطينيين الشديدة من الصهيونية. وبعد ان لاحظت اللجنة ان الصهاينة «كانوا يتطلعون الى ازاحة الأهالي غير اليهود المقيمين حاليا في فلسطين، ازاحة كاملة، بمختلف وسائل الشراء»، أوصت بإجراء تعديلات مهمة في البرنامج الصهيوني. ولم يتمخض التقرير عن شيء، نظرا الى اعتلال صحة ويلسون، وامتناع مجلس الشيوخ الأميركي عن الموافقة على توقيعه معاهدة فرساي، الأمر الذي ادى الى انسلاخ الولايات المتحدة عن تسويات ما بعد الحرب. وفي شهر نيسان / ابريل التالي، اندلعت أعمال المقاومة في فلسطين، وقتل فيها خمسة من اليهود وجرح مئتان. ونسبت لجنة تحقيق بريطانية أعمال العنف تلك الى «الشعور بخيبة الأمل من عدم تحقيق الوعد بالاستقلال» والى «الخوف من الخضوع الاقتصادي والسياسي» للصهاينة.

لكن بريطانيا لم تأبه لذلك، ومضت في طريقها لتنفيذ وعد


فلسطين
٢. المستعمرات الصهيونية التي تم انشاؤها لغاية بدء الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠.
خط الساحل
حدود دولية
سكة حديد
مستعمرة صهيونية
مدينة صهيونية
قرية فلسطينية
مدينة فلسطينية
مدينة مختلطة
تشير الحدود الظاهرة في الخريطة الى حدود فلسطين (باستثناء النقب) التي حددها الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢.
ان حجوم الدوائر التي تحدد مواقع القرى والمدن ليست بنسبة عدد سكان كل منها، غير ان الدوائر الاكبر حجما تشير الى المدن الرئيسية لتميزها من القرى والمستعمرات.
ش
لبنان
سوريا
عكا
صفد
حيفا
طبرية
الناصرة
جنين
بيسان
طولكرم
نابلس
قلقيلية
تل ابيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
اريحا
القدس
بيت لحم
المجدل
الخليل
غزة
بئر السبع
البحر الأبيض المتوسط
البحر الميت

بلفور، في الوقت الذي كانت لا تزال تحتل فيه البلاد عسكريا، وقبل ان تخلُف عصبة الأمم وضعها [بريطانيا] هناك بالشرعية الزائفة. وأقامت بريطانيا نظامها في حكم فلسطين، بأن عزلت رئيس بلدية القدس الفلسطيني لمعارضته البرنامج الصهيوني. و«أسند» الانتداب على فلسطين الى بريطانيا في نيسان / ابريل ١٩٢٠، بقرار من المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في سان ريمو، من دون ابة اشارة الى رغبات الفلسطينيين. وفي تموز / يوليو، عينت بريطانيا السير هربرت صموئيل، وهو صهيوني متفاخر بصهيونيته، أول مندوب سام على رأس إدارة مدنية جديدة. وأعلن صموئيل، على الرغم من معارضة الفلسطينيين، في شهر آب / أغسطس من السنة نفسها، السماح بهجرة ١٦,٥٠٠ يهودي الى فلسطين على مدى عام من بدء حكمه. وفي أيار / مايو ١٩٢١، ادت الاحتجاجات الفلسطينية على الهجرة الصهيونية الجماعية الى اندلاع المقاومة من جديد، وقتل في الاشتباكات الناجمة ٤٦ يهوديا وجرح ١٤٦. وأكدت لجنة تحقيق بريطانية اخرى ان أسباب تلك الاضطرابات تعود الى خوف الفلسطينيين من عواقب الهجرة الصهيونية.

وفي الوقت نفسه، بدأ الفلسطينيون ينظمون انفسهم. فقد تشكلت الجمعيات الاسلامية المسيحية في أنحاء البلاد كافة. وانتخبت هذه الجمعيات مندوبين عنها لحضور مؤتمر عام، انتخب من أعضائه لجنة تنفيذية. وعقدت ثلاثة مؤتمرات عامة بين كانون الثاني / يناير ١٩١٩ وآب / أغسطس ١٩٢٢. وأعربت المؤتمرات الثلاثة جميعا عن مخاوفها من الأهداف السياسية الصهيونية، ورفضت وعد بلفور، ودعت الى وقف الهجرة الجماعية الصهيونية، ومنع انتقال ملكية الأراضي الفلسطينية الى الصهاينة، ونادت بتأليف حكومة على أساس التمثيل النسبي. وفي سنتي ١٩٢١ و١٩٢٢، اوفد الفلسطينيون أيضا ثلاثة وفود الى لندن لشرح قضيتهم.

وفي سنة ١٩٢٢، اصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض شرحت فيه أهدافها في فلسطين. وجاء في هذه الوثيقة ان الغرض لم يكن تحويل فلسطين بأكملها الى وطن قومي لليهود، بل ان يقام هذا الوطن «في» فلسطين. كما جاء فيها أيضا ان الهجرة اليهودية سوف تستمر وتنظم وفقا «لقدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي.» أما شرق الأردن فيخرج من نطاق وعد بلفور. ورفض الفلسطينيون هذا الكتاب الأبيض لسنة ١٩٢٢، لأنه نص على «تحديد» حركة الهجرة الجماعية الصهيونية ــ ذات الأهداف السياسية المعلنة ــ وفق مقاييس اقتصادية؛ وهو «التحديد» الذي دفع الزعامات الصهيونية الى الترحيب بالكتاب الأبيض.

وأقر مجلس عصبة الأمم شروط الانتداب في شهر تموز / يوليو ١٩٢٢، من دون استطلاع رأي الفلسطينيين. وقد نصت المادة الثانية على تكليف الدولة المنتدبة وضع البلاد «في حالة سياسية وادارية واقتصادية تسمح بإنشاء الوطن القومي اليهودي... وتطوير مؤسسات الحكم الذاتي.» أما المادة ٤، فقد سمحت بإنشاء وكالة يهودية، تمثل يهود العالم، لإسداء النصح والمشورة الى الدولة المنتدبة. وأما المادة ٦، فقد نصت على ان الدولة المنتدبة «مع ضمانها لعدم تضرر حقوق وأوضاع الأقسام الأخرى من السكان، فلا بد من ان تسهِّل الهجرة اليهودية في ظل أحوال ملائمة.. واستيطان اليهود في البلاد.»

وقد رأى الفلسطينيون في الانتداب ككل تحالفا بريطانيا صهيونيا وطيدا، كما اعتبروا ان بنود صك الانتداب لا تتعدى كونها وسائل لتنفيذ البرنامج الصهيوني، وأنها تفرض عليهم بالقوة، ومن ثم فقد اعتبروا الانتداب باطلا من كلا الناحيتين الخلقية والقانونية. لكن انعزال الفلسطينيين، بعيد الحرب الكونية الأولى، كان تاما من حيث ان الدول العربية المجاورة جميعا كانت واقعة تحت الاحتلال الأجنبي. فقد وقعت سوريا ولبنان تحت الاحتلال الفرنسي، ووقع كل من شرق الأردن والعراق تحت الاحتلال البريطاني، في حين كانت مصر محتلة من قبل بريطانيا منذ سنة ١٨٨٢. وكان العامل الوحيد في مصلحة الفلسطينيين هو الوضع الراهن فيما يختص بالتوزيع السكاني وتوزيع الملكيات في البلاد. فقد كان الفلسطينيون يشكلون الأغلبية العظمى من السكان ويمتلكون السواد الأعظم من أراضي البلاد، ومن هنا كان من المحتم ان يتركز الصراع حول الوضع الراهن ذاك. وقد كان البريطانيون والصهاينة مصرين على الإخلال بهذا الوضع الراهن وتغييره تغييرا جذريا، في حين اعتزم الفلسطينيون الدفاع عنه وابقاءه على حاله. ومن ثم، برز شعور الفلسطينيين الغريزي بأنهم في موقف دفاعي محض، يردون فيه على هجمات خصومهم ومكائدهم. وكانت قضايا الصراع الأساسية تتعلق بالهجرة الجماعية، ونقل ملكية الأراضي، والحكومة التمثيلية المستندة الى نسبة التوزيع السكاني في البلاد. وكان من الواضح ان الصهاينة والبريطانيين يهدفون الى استغلال عنصر الهجرة الجماعية لتغيير التوازن السكاني بين المهاجرين الصهاينة والأهالي الفلسطينيين، وعنصر نقل ملكية الأراضي لتغيير توازن الثروة الزراعية والمفارية بين

المجموعتين. أما الأمل الوحيد الذي كان يراود الفلسطينيين، فقد تركز في نظام الحكومة التمثيلية. لكن لم يقبل البريطانيون ولا الصهاينة ــ في اي وقت خلال فترة الانتداب ــ ذلك المبدأ الديمقراطي وتطبيقه في فلسطين، لأن مراعاة هذا المبدأ كانت تنطوي على الاعتراف بوجود أغلبية فلسطينية، الأمر الذي كان يشكل حجر عثرة ضخما في وجه انشاء وطن قومي يهودي في حال تأليف حكومة تمثل هذه الأغلبية.

وكانت الفترة بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٩ فترة هادئة نسبيا، اذ انخفض بصورة ملحوظة مستوى الهجرة الصهيونية في ١٩٢٧ /١٩٢٨. لكن الوطن القومي اليهودي ظل ينمو باطراد. ففي الفترة بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٩، أنشىء نحو ستين مستعمرة صهيونية جديدة، وارتفع معدل ملكية الصهاينة للأرض من ٢,٠٤ ٪ من مجموع مساحة البلاد (سنة ١٩١٩) الى ٤,٤ ٪ (سنة ١٩٢٩). كما زادت نسبة السكان اليهود (عن طريق الهجرة الجماعية أساسا) من ٩,٧ ٪ الى ١٧,٦ ٪ خلال الفترة نفسها.

تعاظم المخاوف
في صفوف الفلسطينيين

انفجرت مشاعر الفلسطينيين المكبوتة في مناسبتين متزامنتين: ففي آب / أغسطس ١٩٢٩، أنشئت الوكالة اليهودية (التي نص عليها نظام الانتداب) لتمثيل كل التجمعات اليهودية في العالم، من الصهاينة وغير الصهاينة معا. وأدى ظهور بعض الشخصيات اليهودية ذات الشهرة العالمية كأعضاء في الوكالة اليهودية، الى تزايد مخاوف الفلسطينيين من النفوذ السياسي الصهيوني في بريطانيا؛ أما المناسبة الثانية، فقد تمثلت في تنظيم تظاهرة سياسية لم يسبق لها مثيل، ولم يكن هناك أي مبرر لها، وذلك قرب حائط المبكى المجاور للحرم الشريف. وكان المتظاهرون أعضاء يمينيين متشددين في «الحزب الصهيوني الاصلاحي»، الذي سمي بهذا الاسم لأنه كان يدعو الى «اصلاح» نظام الانتداب ليشمل الاستعمار القسري لأراضي شرق الأردن، بالاضافة الى أراضي فلسطين. (وكان هذا الحزب قد تأسس سنة ١٩٢٥ على يد الصهيوني البولندي فلاديمير جابوتنسكي). وقد نُظر الى هذه التظاهرة باعتبارها دليلا على تآمر الصهاينة على مسجدي قبة الصخرة والأقصى داخل منطقة الحرم الشريف، وأدت الى اشتباكات عنيفة قتل فيها ١٣٣ يهوديا وجرح ٣٣٩.

وفي آذار / مارس ١٩٣٠، صدر عن لجنة تحقيق بريطانية تقرير نسب اشتباكات سنة ١٩٢٩ الى حقيقة ان الفلسطينيين «أدركوا ان الهجرة اليهودية ليست مجرد تهديد لحياتهم فحسب، بل هي نذير بطموح اليهود الى ان يصبحوا مستقبلا أسياد البلاد.» وجاء في تقرير آخر صدر عن خبير بريطاني، في تشرين الأول / أكتوبر، انه ليس هناك أرض إضافية يمكن ان تتوفر للاستيطان الزراعي فيها من جانب المهاجرين الصهاينة الجدد. وأصدرت الحكومة البريطانية في الحال كتابا أبيض، اعترفت فيه بالنتائج التي توصل اليها هذان التقريران، ودعت الى توجيه اهتمام أكبر الى التظلمات الفلسطينية. وكما كان متوقعا، فقد انتقدت الزعامة الصهيونية بشدة ما ورد في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠، لخشيتها احتمال ان تؤدي اية سياسة بريطانية متوازنة الى إثارة العراقيل أمام تحقيق الأهداف الصهيونية. وقد ذعنت الحكومة البريطانية في واقع الأمر للضغوط الصهيونية، وسحبت الكتاب الأبيض في شباط / فبراير ١٩٣١، وأوفدت الى فلسطين مندوبا ساميا جديدا هو الجنرال سير آرثر واكهوب، وزودته بتعليمات تقضي بالاسراع في انشاء الوطن القومي اليهودي.

واقتنع الفلسطينيون، في اثر سحب الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠، بأن الانصاف لمظالمهم لن يتحقق، وبأن توصيات الخبراء المبنية على المعرفة المباشرة بالحقائق وبجدوى قضيتهم، عرضة دوما للإلغاء بسبب ممارسة الضغط السياسي الصهيوني على مركز القوى في لندن. وفي كانون الأول / ديسمبر ١٩٣١ عقد في القدس مؤتمر إسلامي، شهده مندوبون من اثنتين وعشرين دولة اسلامية، وصدرت عنه تحذيرات من المخاطر السياسية للسياسة البريطانية المائلة للصهيونية. ولم تعبأ بريطانيا بذلك، وردّت على قرارات المؤتمر برعاية وتشجيع الهجرة الجماعية الصهيونية (وكان معظمها من يهود بولندا)، بأعداد متزايدة. وفيما بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٦، أنشئت أربع وستون مستعمرة صهيونية اخرى، وزادت نسبة ملكية الصهاينة للأراضي من ٤,٥ ٪ الى ٥,٤ ٪ من مجموع مساحة فلسطين، كما ارتفع معدل عدد السكان اليهود (عن طريق الهجرة أساسا) من ١٧,٨ ٪ الى ٢٩,٥ ٪.

وكان تصاعد معدلات الهجرة (٣٠,٠٠٠ سنة ١٩٣٣، و ٤٢,٠٠٠ سنة ١٩٣٤، و ٦١,٠٠٠ سنة ١٩٣٥) هو الذي أثار في النهاية حالة من الفزع واليأس في أوساط الفلسطينيين. ويُعزى توافد المهاجرين اليهود الجماعي على فلسطين الى تدهور أحوال معيشة اليهود في الكثير من الدول الأوروبية. كذلك كان

هذا السيل المتدفق نتيجة للتوجيه الصهيوني المتعمد لحركة الهجرة اليهودية صوب فلسطين، من دون دول أخرى في أوروبا او القارة الأميركية كان يمكن ان تتوفر فيها طاقات استيعابية أوسع. واستغلت العناصر الغربية المحافظة الواسعة النفوذ، في الولايات المتحدة وفي بريطانيا ومستعمراتها، سياسة الصهيونية في هذا المضمار، لتتخلى عن اي التزام خلقي بتخفيف قيود الهجرة في بلادها، حتى تسمح باستقبال أعداد وفيرة من اللاجئين اليهود. كذلك نجد ان سياسة الصهيونية قد اجبرت زعماء اليهود في هذه الدول على الانصياع للميول الصهيونية، والامتناع عن ممارسة اي ضغط على حكومات بلادهم لدفعها الى تخفيف قيود الهجرة فيها. وعلى هذا ابقت سياسة الهجرة الصهيونية، في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، أبواب الولايات المتحدة وبريطانيا ومستعمراتها موصدة كليا أمام هجرة اليهود على نطاق واسع، ومن ثم خفضت بصورة ملموسة عدد اليهود الذين كان يمكن ان يغادروا أوروبا قبل فوات الأوان. ومن قبيل المفارقات، ان معارضة الزعامات الدينية اليهودية ــ على أساس ديني (ولا سيما في بولندا) ــ لسياسة الهجرة اليهودية برعاية الحركة الصهيونية، العلمانية في نظر هذه الزعامات، قد عاقت أيضا هجرة اليهود من أوروبا في فترة ما قبل الحرب، حتى الى فلسطين نفسها.[1]

وكانت زعامة الحركة الوطنية الفلسطينية قد آلت، سنة ١٩٣٣، الى الحاج امين الحسيني مفتي القدس. وقد تعرض الحاج امين الحسيني لضغوط متزايدة، من جانب الجماهير الفلسطينية وفئات المثقفين، لعجزه عن الوقوف بالصلابة اللازمة في وجه البريطانيين. وانعكس التوتر السياسي في فلسطين بإنشاء خمسة أحزاب سياسية فلسطينية جديدة خلال الفترة ما بين سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٥. وبدأ يتضح إجماع عام على ان الجهود السياسية والدبلوماسية باتت عديمة الفعالية، وأن الثورة المسلحة ضد بريطانيا قد تعود بالنتائج المرجوة. ومن المظاهر المبكرة للتعبير عن هذا الاتجاه، مصرع خطيب ومصلح ديني من حيفا هو الشيخ عز الدين القسام، ومعه بعض رفاقه، سقطوا في ميدان الكفاح ضد البريطانيين في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٥. وكانت عمليتهم هي أولى عمليات المقاومة الفلسطينية العلنية المسلحة. وبين عشية وضحاها، تحول القسام ورفاقه الأبرار الى شهداء للحركة الوطنية.

وفي كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٥، اقترحت الادارة البريطانية في فلسطين ــ في محاولة أخيرة منها لتهدئة خواطر الفلسطينيين ــ تشكيل مجلس تشريعي يتألف من ٢٨ عضوا، نصفهم من الفلسطينيين. ومع ان الفلسطينيين كانوا يشكلون وقتها ٧٠,٥ ٪ من مجموع السكان، فقد أعربوا عن استعدادهم ــ بدافع اليأس ــ لقبول هذا الاقتراح. لكن، عندما بدأ مجلس العموم البريطاني البحث في الموضوع، اضطرت الحكومة البريطانية الى سحب الاقتراح، بسبب الهجمات العنيفة التي وجهها ضدها أعضاء البرلمان الممالئون للصهيونية، بحجة ان مثل هذا الاقتراح كفيل بإعاقة انشاء وطن قومي لليهود. وكان ذلك بالنسبة الى الفلسطينيين بمثابة تأكيد نهائي ــ بافتراض ان الأمر كان يحتاج الى مثل هذا التأكيد ــ لاستحالة اعتمادهم على نزاهة بريطانيا في التعامل معهم.

١٩١٩ ● كانون الثاني / يناير: مؤتمر الصلح في باريس يقرر عدم إعادة الولايات العربية المحتلة الى الحكم العثماني.

● ٢٧ كانون الثاني / يناير ـ ١٠ شباط / فبراير: المؤتمر الفلسطيني العام الأول ينعقد في القدس، ويبعث الى مؤتمر الصلح في باريس بمذكرتين يرفض فيهما وعد بلفور، ويطالب بالاستقلال.

● ٢٥ آذار / مارس: مؤتمر الصلح يقرر إيفاد لجنة تحقيق دولية للتأكد من مطامح شعوب الشرق الأدنى ورغباتها.

● حزيران / يونيو ـ تموز / يوليو: هنري كينغ وتشارلز كرين، العضوان الأميركيان في لجنة تحقيق دولية، يتوجهان الى الشرق الأدنى وحدهما بعد امتناع فرنسا وبريطانيا عن الانضمام الى اللجنة.

● ٢٨ حزيران / يونيو: إبرام معاهدة فرساي، وتوقيع ميثاق عصبة الأمم.

● ٢ تموز / يوليو: المؤتمر السوري العام، المنعقد في دمشق بحضور مندوبين فلسطينيين، يعلن رفضه لوعد بلفور.

● ٢٨ آب / أغسطس: تقرير لجنة تحقيق كينغ ـ كرين، المقدم الى مؤتمر الصلح في باريس، يوصي بـ «التخلي عن مشروع جعل فلسطين وطناً يهودياً.»

١٩٢٠ ● آذار / مارس: المؤتمر السوري العام يعلن استقلال سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، وينصب الأمير فيصل ملكاً.

● نيسان / ابريل: حدوث اضطرابات في فلسطين بسبب الخوف من الصهيونية وعدم تحقيق الوعد بالاستقلال. مصرع خمسة من اليهود وجرح ٢٠٠. بريطانيا تؤلف لجنة تحقيق برئاسة الجنرال بالين.

● بريطانيا تعزل موسى كاظم باشا الحسيني، رئيس بلدية القدس، من منصبه لمعارضته السياسة البريطانية الممالئة للصهيونية.

● ٢٥ نيسان / ابريل: المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في سان ريمو يعهد الى بريطانيا بمسؤولية الانتداب عن فلسطين، من دون استشارة الفلسطينيين.

● أيار / مايو: بريطانيا تمنع انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام الثاني.

● أول تموز / يوليو: تعيين إدارة بريطانية مدنية، واختيار السير هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني أول مندوب سام.

● ٢٦ آب / أغسطس: أول قرار بريطاني بشأن الهجرة يقرر السماح بدخول ١٦,٥٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين خلال عام على الرغم من المعارضة الفلسطينية.

● كانون الأول / ديسمبر: انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام الثالث في حيفا، وانتخابه لجنة تنفيذية استمرت في تزعم الحركة السياسية في فلسطين من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٣٥.

١٩٢١ ● أيار / مايو ـ حزيران / يونيو: انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام الرابع في القدس، واتخاذه قراراً بإرسال وفد فلسطيني الى لندن لشرح القضية الفلسطينية وأسباب رفض وعد بلفور والانتداب.

● انعقاد مؤتمر سوري / فلسطيني في مدينة جنيف.

● أول أيار / مايو: حدوث اضطرابات في يافا احتجاجاً على الهجرة الجماعية الصهيونية، ومصرع ٤٦ يهودياً وجرح ١٤٦.

● ٨ أيار / مايو: الحاج أمين الحسيني يعين مفتياً للقدس.

● تشرين الأول / أكتوبر: لجنة تحقيق، برئاسة هيكرافت، تعزو اضطرابات يافا الى مخاوف الفلسطينيين من تزايد الهجرة الجماعية الصهيونية المطرد.

١٩٢٢ ● شباط / فبراير: وفد فلسطيني ثان يتوجه الى لندن، ويعلن رفض وعد بلفور، في اجتماع مع ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية، ويطالب بالاستقلال الوطني لفلسطين.

● ٣ حزيران / يونيو: تشرشل يصدر كتاباً ابيض لسنة ١٩٢٢، بشأن فلسطين، يفسر المفهوم البريطاني لـ «الوطن القومي» اليهودي، ويستبعد شرق الأردن من نطاق وعد بلفور.

● ٣٠ حزيران / يونيو: الكونغرس الأميركي يوافق على وعد بلفور.

● ٢٤ تموز / يوليو: مجلس عصبة الأمم يعتمد الانتداب على فلسطين من دون موافقة الفلسطينيين.

● آب / أغسطس: انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام الخامس في نابلس، وموافقته على تطبيق المقاطعة الاقتصادية ضد الصهاينة.

● تشرين الأول / أكتوبر: أول إحصاء يجريه البريطانيون في فلسطين، يبين ان مجموع السكان ٧٥٧,١٨٢ نسمة، منهم ٧٨٪ مسلمون، و ١١٪ يهود، و ٩,٦٪ مسيحيون.

١٩٢٣ ● كانون الثاني / يناير: الزعيم الصهيوني البولندي فلاديمير جابوتنسكي يستقيل من اللجنة التنفيذية الصهيونية، ويدعو الى الاستعمار الصهيوني القسري لفلسطين وشرق الأردن.

● ٢٩ أيلول / سبتمبر: الانتداب البريطاني على فلسطين يصبح ساري المفعول رسميا.

١٩٢٥ ● جابوتنسكي يشكل «حزب الاصلاح» من أجل «مراجعة» نظام الانتداب، بحيث يسمح باستعمار شرق الأردن.

● آذار / مارس: إضراب عام في فلسطين احتجاجا على قيام اللورد بلفور بزيارة القدس لافتتاح الجامعة العبرية فيها.

● تشرين الأول / أكتوبر: انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام السادس في يافا.

١٩٢٨ ● حزيران / يونيو: انعقاد المؤتمر الفلسطيني العام السابع في القدس.

● ٢٤ أيلول / سبتمبر: أول محاولة من جانب بعض الزعماء الدينيين اليهود لتغيير «الأمر الراهن» عند البراق، اي حائط المبكى.

● تشرين الثاني / نوفمبر: المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس، يطلب حماية حقوق الملكية للمسلمين عند البراق، اي حائط المبكى، وهو في حد ذاته أثر اسلامي مقدس.

١٩٢٩ ● ١٥ آب / أغسطس: أول تظاهرة سياسية تنظمها مجموعات من الصهاينة المتشددين، عند حائط المبكى.

● ٢٣ ـ ٢٩ آب / أغسطس: حدوث اضطرابات فلسطينية في عدة مدن، كردة فعل على التظاهرات اليهودية المتشددة عند حائط المبكى، ووقوع اشتباكات لاحقة تسفر عن مصرع ١٣٣ يهوديا واصابة ٣٣٩ بجروح، ومصرع ١١٦ فلسطينيا وإصابة ٢٣٢ بجروح، معظمهم بأيدي الجنود البريطانيين.

● تشرين الأول / أكتوبر: انعقاد مؤتمر عام في القدس لتحديد الموقف الفلسطيني من النزاع بشأن حائط المبكى.

١٩٣٠ ● ١٤ كانون الثاني / يناير: مجلس عصبة الأمم يعين لجنة دولية للتحقيق في الوضع القانوني للفلسطينيين واليهود عند حائط المبكى.

● آذار / مارس: لجنة تحقيق بريطانية برئاسة شو تصدر تقريرا عن حوادث سنة ١٩٢٩، وتعزو أسبابها الى حقيقة «ان العرب لا يرون في الهجرة اليهودية مجرد تهديد لحياتهم، وإنما يعتبرونها تمهيدا لإنشاء وضع يصبح اليهود فيه أسياد البلاد.»

● ٣٠ آذار / مارس: الوفد الفلسطيني الرابع يصل الى لندن.

● أيار / مايو: الوفد الفلسطيني الرابع الى لندن يعلن رفض بريطانيا لمطلبيه، وهما: (١) وقف الهجرة الجماعية الصهيونية الى فلسطين والاستحواذ على الأراضي فيها؛ (٢) إقامة حكم تمثيلي ديمقراطي.

● ٦ آب / أغسطس: الوكالة اليهودية في فلسطين، التي تم توسيعها سنة ١٩٢٩ لضم زعماء يهود صهيونيين وغيرهم من الزعماء اليهود غير الصهيونيين البارزين، تعترف بها بريطانيا.

● تشرين الأول / أكتوبر: السير جون هوب ـ سيمبسون، الذي عيّن للتحقيق في مشكلات ملكية الأرض والهجرة والتنمية في فلسطين، يعد تقريرا يقول فيه ان ليس هناك متسع في البلاد للاستيطان الزراعي من جانب عدد كبير من اليهود.

● اللورد باسفيلد (سيدني وِبْ)، وزير المستعمرات البريطانية، يصدر كتابا ابيض لسنة ١٩٣٠ عن فلسطين، يستجيب فيه لملاحظات لجنة تحقيق شو، ولجنة تحقيق هوب ـ سيمبسون.

● كانون الأول / ديسمبر: اللجنة الدولية لحائط المبكى توصي بإعادة الوضع الراهن كما كان في السابق، وتؤكد حقوق الملكية الاسلامية عند حائط المبكى (البراق).

١٩٣١ ● ١٤ شباط / فبراير: رامزي ماكدونالد، رئيس الوزراء البريطاني، يبعث برسالة الى حاييم وايزمن يسحب فيها، من الناحية العملية، ما ورد في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠، الذي اصدره اللورد باسفيلد.

● تشرين الأول / أكتوبر: الجنرال سير آرثر واكهوب يخلف السير جون تشانسلور في منصب المندوب السامي في فلسطين.

● ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر: الإحصاء البريطاني الثاني في فلسطين يبين ان العدد الاجمالي للسكان بلغ ١,٠٣٥,١٥٤ نسمة، منهم ٧٣,٤٪ مسلمون، و ١٦,٩٪ يهود، و ٨,٦٪ مسيحيون.

● كانون الأول / ديسمبر: لويس فرنش، المدير البريطاني للتنمية في فلسطين، ينشر تقريره عن المزارعين العرب الذين فقدوا أراضيهم نتيجة انتقال ملكيتها الى الحيازة اليهودية.

● ١٦ كانون الأول / ديسمبر: انعقاد مؤتمر اسلامي في القدس، بحضور ١٤٥ مندوبا من مختلف أرجاء العالم الاسلامي.

١٩٣٢ ● ٢ آب / أغسطس: تشكيل حزب الاستقلال باعتباره أول حزب سياسي فلسطيني يشكل بصورة نظامية.

١٩٣٣ ● آذار / مارس: اللجنة التنفيذية العربية (أنظر كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٠) تعلن ان الهجرة الجماعية الصهيونية قد «ارعبت البلاد».

● ١٤ تموز / يوليو: وزير الدولة البريطاني يصدر بيانا بشأن اعادة اسكان المزارعين الفلسطينيين، الذين فقدوا أراضيهم نتيجة استحواذ الصهاينة عليها.

● تشرين الأول / أكتوبر: اللجنة التنفيذية العربية تدعو الى تنظيم إضراب عام احتجاجا على السياسة البريطانية الممالئة للصهيونية، ولا سيما رعاية الهجرة الجماعية الصهيونية. وقد وقعت اضطرابات في عدة مدن رئيسية.

١٩٣٤ ● شباط / فبراير: لجنة تحقيق خاصة، برئاسة السير وليم موريسون، تصدر تقريرا عن اضطرابات سنة ١٩٣٣.

● ٢ كانون الأول / ديسمبر: تأسيس حزب الدفاع.

١٩٣٥ ● ٢٧ آذار / مارس: تأسيس الحزب العربي الفلسطيني.

● ٢٣ حزيران / يونيو: تأسيس حزب الاصلاح.

● ٥ تشرين الأول / أكتوبر: تأسيس حزب الكتلة الوطنية. وقد أصبحت هذه الأحزاب الأربعة، الى جانب حزب الاستقلال، بمثابة الأحزاب السياسية الفلسطينية الرئيسية.

● تشرين الأول / أكتوبر: حزب «الاصلاح» الصهيوني اليميني يترك صفوف المنظمة الصهيونية العالمية، لتشكيل منظمة صهيونية جديدة تهدف الى «تحرير» فلسطين وشرق الأردن بالقوة.

● تأسيس منظمة ايرغون تسفائي ليئومي (المنظمة العسكرية القومية)، بواسطة أعضاء الهاغاناه المنشقين، وتعيين جابوتنسكي زعيما لها.

● الكشف في ميناء يافا عن كميات كبيرة من الأسلحة التي هرّبها الى فلسطين من بلجيكا بعض المنظمات الصهيونية.

● تشرين الثاني / نوفمبر: استشهاد الشيخ عز الدين القسام، وهو يقود أول عملية للمقاومة الفلسطينية المسلحة، خلال اشتباك ضد قوات الأمن البريطانية.

● ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر: زعماء الأحزاب السياسية الفلسطينية يقدمون مذكرة مشتركة الى المندوب السامي البريطاني، يطلبون فيها وقف الهجرة الجماعية الصهيونية والاستحواذ على الأراضي، وإقامة حكم يعتمد على مبدأ التمثيل النسبي.

● ٢١ ــ ٢٢ كانون الأول / ديسمبر: المندوب السامي البريطاني يقترح تشكيل مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا، نصفهم فقط من الفلسطينيين؛ وهو اقتراح قبله الفلسطينيون من حيث المبدأ.

١٩٣٦ ● ٢٥ آذار / مارس: فَشَل اقتراح المجلس التشريعي، على يد أعضاء في مجلس العموم البريطاني موالين للصهيونية.



٧٩

بواكير الحكم البريطاني لفلسطين

٧٩ يافا، حزيران / يونيو ١٩٢٠: السير هربرت صموئيل (معتمرا خوذة بيضاء) ـ وهو يهودي بريطاني صهيوني عينته الحكومة البريطانية أول مندوب سام لفلسطين ـ يطأ ارض فلسطين مستهلا بذلك إقامة الادارة المدنية البريطانية فيها، التي حلت محل الادارة العسكرية التي أنشأها الجنرال اللنبي بعد دخوله مدينة القدس (أنظر الصورتين ١٥، ١٦). الأحرف المطبوعة بالانكليزية على صُدرات البحارة ترمز الى عبارة «ادارة أراضي العدو المحتلة ـ المنطقة الجنوبية» (Occupied Enemy Territory Administration)، اي منطقة فلسطين.

٨٠، ٨١ القدس، نيسان / ابريل ١٩٢٠: فردان من القوات الهندية التابعة للجيش البريطاني يفتشان أحد رجالات فلسطين المسلمين (٨٠)، وأحد الرهبان المسيحيين (٨١).



٨١



٨٠

تنظيم الحركة الوطنية الفلسطينية

٨٢ هيئة المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث المنعقد في حيفا من ١٣ الى ١٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٠. وقد حضره مندوبون عن مدن فلسطين وأقضيتها الرئيسية. عُقد في فلسطين، في الفترة الممتدة من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٨، سبعة مؤتمرات (ليس هناك صور للمؤتمرين الأول والسابع، كما ان السلطات البريطانية منعت عقد المؤتمر الثاني الذي كان مقررا عقده في أيار / مايو ١٩٢٠، أنظر الصورة ٦٨). انبثق من المؤتمر الثالث لجنة تنفيذية غايتها الاشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر، وقيادة الحركة الوطنية في الفترات الواقعة بين انعقاد المؤتمرات. انتخب موسى كاظم باشا الحسيني (أنظر الصورة ٧٨) رئيسا للجنة التنفيذية وللمؤتمر، وتولى المنصبين الى حين وفاته. وتمثل هذه المؤتمرات أولى المحاولات الفلسطينية الرامية الى تنظيم الحركة الوطنية، واتخذت مجموعة من القرارات التي رفضت الهجرة الصهيونية، وعارضت الصهيونية لما تشكله من خطر على كيان فلسطين السياسي والاقتصادي والقومي، وطالبت بإقامة حكومة تمثيلية وطنية مستقلة. أما اليافطة، فقد كتب عليها «فلسطين مهد السيد المسيح، حافظوا على المسجد الأقصى، فلسطين عربية». يُرى في الصف الأخير، الثالث الى اليمين، الحاج امين الحسيني (أنظر الصور ٨٨، ١٠٠، ٢٠٢، ٢٩٠) قبل ان يصبح زعيم الحركة الوطنية ومفتيا للقدس في أيار / مايو ١٩٢١.

٨٣ المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع المنعقد في القدس في ٢٩ أيار / مايو ١٩٢١ (أنظر الصورتين ٨٧، ٨٩).



٨٢

٨٣





٨٤

٨٥



٨٦

الدبلوماسية الفلسطينية

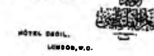
٨٤ الوفد الفلسطيني الأول في لندن سنة ١٩٢١. تألف الوفد الذي اختاره المؤتمر الرابع (أنظر الصورة ٨٣) لعرض وجهة النظر الفلسطينية في بريطانيا من ستة أعضاء، هم من اليمين الى اليسار: امين التميمي، معين الماضي، شبلي الجمل (أنظر الصورة ٦٢)، موسى كاظم باشا الحسيني (أنظر الصورة ٧٨)، الشيخ توفيق حمّاد، ابراهيم شماس. تلا هذا الوفد ثلاثة وفود اخرى، أرسلت الى لندن في الفترة ١٩٢١ ــ ١٩٣٠ لشرح الأخطار التي تشكلها الصهيونية على فلسطين.

٨٥ أعضاء الوفد الفلسطيني الأول في الفاتيكان، وهم في طريقهم الى لندن.

٨٦ الوفد الأول في جنيف لحضور المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في الوقت الذي اجتمعت فيه عصبة الأمم لمناقشة نظام الانتداب المقترح. يُرى أعضاء الوفد مع بعض الوطنيين اللبنانيين والسوريين الذين ابعدتهم سلطات الاستعمار الفرنسي. وقد ترأس المؤتمر ميشيل لطف‌الله (أطول الواقفين في وسط الصف الأمامي)، وهو من زعماء المسيحيين في لبنان. يُرى في الصف الأخير، الأول الى اليمين، الزعيم اللبناني رياض الصلح الذي تولى رئاسة الحكومة اللبنانية بعد الاستقلال. كما يُرى الى اقصى اليمين في الصف الأول الأمير شكيب ارسلان ــ القوة المحرّكة وراء المؤتمر. ولقد طالب المؤتمر باستقلال ووحدة سوريا وفلسطين ولبنان.

٨٦أ، ٨٦ب نسختان عن الصفحة الأولى والأخيرة من المذكرة التي قدمها الوفد الأول الى ونستون تشرشل، وزير المستعمرات البريطانية، في ٢٤ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢١. تؤكد المذكرة، كما جاء في صفحتها الأخيرة، «ان شعب فلسطين لن يقنع بوعود تؤمّله بالسيطرة الجزئية مستقبلاً على مقدراته... وهو لن يقرّ في يوم من الأيام بحق منظمة اجنبية في اقتلاعه من ارض آبائه وأجداده.»

٨٦أ



THE PALESTINE ARAB DELEGATION.

HOTEL CECIL,
LONDON, W.C.

The Rt. Hon. Winston Churchill, M.P.,
Colonial Secretary

Sir,

On behalf of the People of Palestine, [illegible] we thank you for the opportunities which you have given [illegible] stating their case to you.

We wish now to put before you briefly the salient points of the case, the presentation of which to the British Government was entrusted to us, and we request you to lay it before the Cabinet and inform us of its views. We wish to impress upon you two points. First, that the case we put forward is supported by all of the people of Palestine, and second, that the People of Palestine will [illegible] a settlement of their position [illegible] on the lines we now suggest.

(1) The People of Palestine welcomed the victorious British troops believing that they had come to fulfil promises made to them during the war, and to safeguard their existence as a people and their right of self determination. The very anxiety and growing unrest among the Palestinians arises from their absolute conviction that the present policy of the British Government is directed towards evicting them from



٨٦ب

detrimental to the Palestine people, [illegible] regulated, not in the interests of [illegible] Palestinians.

We venture to point out, with [illegible] that the people of Palestine will not be satisfied [illegible] promises that some control of their own destinies will be given to them in the future, while the Administration at the present allows their country to be subjected to a flood of alien immigration, and to be put [illegible] Zionist control.

The Palestine people will never [illegible] outside organisation to dispossess them of their country, and to threaten their very existence as a people [illegible] and politically.

We ask you, Sir, to put our views as herein set out before the Cabinet, to which we have sent a copy of this proposal. These views are, in the main, [illegible], we would discuss with His Majesty's Government the details of the [illegible] to be submitted to the people of Palestine.

We are, Sir,
Yours faithfully,





٨٧

مزيد من النشاط السياسي

٨٧ المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس، آب / أغسطس ١٩٢٢ (أنظر الصور ٦٨، ٨٢، ٨٣، ٨٩).

٨٨ ميناء يافا، سنة ١٩٢٥. الحاج امين الحسيني (أنظر الصورة ٨٢)، مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، مجتمعا مع الملك فيصل الأول، ملك العراق وأحد قادة الثورة العربية الكبرى خلال الحرب العالمية الأولى (أنظر الصور ٨ ـ ١١، ٩٩، ١٠٦). كان فيصل ميمّما شطر فرنسا عن طريق فلسطين بحرا، وكان شعب فلسطين يأمل بالحصول على دعمه في معارضة سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية.

٨٩ المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا، تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٥ (أنظر الصور ٦٨، ٨٢، ٨٣، ٨٧).



٨٨

٨٩



اضطرابات سنة ١٩٢٩

٩٠ السوق العربية خارج باب الخليل في القدس وقد أضربت عن العمل خلال حوادث حائط المبكى سنة ١٩٢٩. يشكل حائط المبكى جزءا من الحائط الغربي للساحة التي يقع فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة (أنظر الصورة ١). تمتع اليهود على مر القرون بحرية الوصول الى حائط المبكى، وذلك بفضل التسامح الاسلامي، وعلى اساس أعراف وترتيبات متفق عليها كانت تعرف باسم «الوضع القائم» (Status Quo). ولما حاول بعض الغلاة من اليهود المتدينين تغيير هذا الوضع من جانب واحد وتبع ذلك تنظيم تظاهرات سياسية استفزازية لم يسبق لها مثيل عند الحائط ــ قام بها متطرفون يهود تابعون لمنظمات شبه عسكرية ــ كان ذلك بمثابة الشرارة التي أشعلت الهشيم، مما أدى الى صدامات عنيفة نتج عنها مقتل العديد من اليهود والفلسطينيين. وكانت اصابات الفلسطينيين، في معظمها، على يد القوات البريطانية.

٩١ بريطانيا تعرض جبروتها العسكري في القدس، آب / اغسطس ١٩٢٩.



٩٠

٩١



٩٢ لجنة الإسعاف العربية في مركزها بالقدس في اثر حوادث سنة ١٩٢٩. وقد تأسست اللجنة لتقديم العون الى العائلات الفلسطينية المنكوبة. الثالث الى اليمين هو صبحي الخضراء، ممثل مدينة صفد وأحد أقطاب حزب الاستقلال العربي الذي تأسس سنة ١٩٣٢ (أنظر الصورتين ١٠٢، ١٠٥). يُرى الى جانبه، الرابع الى اليمين، عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي وأمين صندوق اللجنة. وقد اصبح البنك العربي، فيما بعد، احد اهم المصارف وأوسعها انتشارا في العالم العربي (أنظر الصورة ٢٨٩).

٩٣ وفد من النساء الفلسطينيات خارج مقر المندوب السامي في القدس، للاحتجاج على قساوة التدابير البريطانية المتخذة ضد الفلسطينيين في أثناء حوادث سنة ١٩٢٩. النساء اللواتي يلبسن قبعات هنّ فلسطينيات مسيحيات. الثانية الى اليسار هي السيدة ماتيل مغنّم، احدى رائدات الحركة النسائية في فلسطين ومؤلفة كتاب «المرأة العربية والقضية الفلسطينية» الصادر بالانكليزية في لندن سنة ١٩٣٧ [*The Arab Woman and the Palestine Problem* (London: H. Joseph, 1937)]. لاحظ الفوارق في لبس الحجاب، اذ كانت تلبسه نساء المدن من دون نساء القرى الفلسطينيات.



٩٢

٩٣

٩٤ موكب وفد النساء الفلسطينيات في طريقه الى مقر المندوب السامي.

لجنة شو (Shaw) للتحقيق:
وخيبة أمل... وخوف»

٩٥ أعضاء لجنة شو للتحقيق بالقدس، في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٩. قامت الحكومة البريطانية بإرسال اللجنة للتحقيق في الأسباب التي ادت الى حوادث سنة ١٩٢٩. يُرى جالسا في الوسط السير والترشو، رئيس اللجنة. استنتجت اللجنة، في تقريرها المرفوع الى الحكومة البريطانية، ان الأسباب الرئيسية لوقوع حوادث سنة ١٩٢٩ هي شعور الفلسطينيين بـ «خيبة الأمل في تحقيق أمانيهم السياسية والوطنية، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي.» وأوصت اللجنة الحكومة البريطانية بأخذ هذه العوامل في الاعتبار حين تنفيذ سياستها القائمة على تدفق الهجرة الصهيونية وحيازة اليهود للأراضي العربية.

الحداد بمناسبة وعد بلفور

٩٦، ٩٧ بلدة القدس القديمة مكتسية ثوب الحداد بمناسبة وعد بلفور المشؤوم في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٩. كان الفلسطينيون وغيرهم من العرب يعلنون الحداد سنويا في هذه المناسبة. يُرى في الصورة (٩٦) مواطن فلسطيني (الثاني الى اليسار)، حاملا صندوقا لجمع التبرعات باسم لجنة الاسعاف العربية (أنظر الصورة ٩٢)، وقد كتب على قطعة قماش فوق صدره «في سبيل الشهداء».


٩٤


٩٥


٩٦



٩٧



٩٨

٩٩



القدس: المثوى الأخير

نظرا الى المكانة الدينية والتاريخية التي تحتلها القدس في قلوب المسلمين (أنظر الصورة ١)، فقد كان كثير من الزعماء العرب والمسلمين يوصون بأن تدفن رفاتهم في ترابها الطاهر.

٩٨ محمد علي، كبير علماء الهند وزعمائها المسلمين، يُشيَّع الى مثواه الأخير في جنازة مهيبة ضمت فرق الكشافة، وذلك بمدينة القدس في ٢٣ كانون الثاني / يناير ١٩٣١.

٩٩ جنازة الملك (الشريف) حسين بالقدس، في ٤ حزيران / يونيو ١٩٣١. اطلق الملك حسين الرصاصة الأولى معلنا قيام الثورة العربية الكبرى (أنظر الصور ٨ ــ ١١)، وهو والد فيصل الأول، ملك سوريا وفلسطين ثم ملك العراق (انظر الصورتين ٨٨، ١٠٦)، وجدّ ملك الأردن الحسين بن طلال. كان الانكليز قد وعدوا الشريف حسين في ١٩١٥ ــ ١٩١٦ بالاستقلال التام لجميع الأقطار العربية، بما فيها فلسطين، لكنهم حنثوا بوعدهم وأصدروا وعد بلفور سنة ١٩١٧.

وُوري جثمانا محمد علي والملك حسين ثرى فلسطين في رحاب الحرم القدسي الشريف.



١٠٠

١٠١



استمرار المساعي الدبلوماسية الفلسطينية

١٠٠ مؤتمر فلسطيني عقد في القدس، في آذار / مارس ١٩٣٠، قبل سفر الوفد الفلسطيني الرابع الى لندن (انظر الصورة ٨٤). وقد تلا الوفد الفلسطيني الأول الى لندن سنة ١٩٢١، وفدان آخران سنة ١٩٢٢. أعضاء الوفد الرابع (الصف الأمامي من اليسار الى اليمين): عوني عبد الهادي (أنظر الصورتين ١٩٦، ٢٩١)، وهو محام وحقوقي ساهم في تأسيس حزب الاستقلال (أنظر الصورتين ١٠٢، ١٠٥)، عمل سكرتيرا خاصا للملك فيصل الأول (أنظر الصورتين ٨٨، ١٠٦) في مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩؛ الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس (أنظر الصورة ٨٢)؛ موسى كاظم باشا الحسيني، رئيس الوفد (أنظر الصورة ٧٨)؛ راغب النشاشيبي، رئيس بلدية القدس (أنظر الصور ١٩٦، ٢٤٢، ٣٥٢)؛ ألفرد روك، رجل أعمال فلسطيني بارز من الطائفة الكاثوليكية بيافا (أنظر الصور ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٩١).

١٠١ أعضاء الوفد الفلسطيني الرابع في لندن، نيسان / ابريل ١٩٣٠. السيدات في الصف الخلفي هن سكرتيرات فلسطينيات مسيحيات رافقن الوفد. الرجال الثلاثة في الصف نفسه هم (من اليسار الى اليمين): مصطفى كمال الحسيني (مندوب جريدة «الجامعة العربية»)، وعزمي النشاشيبي (مندوب جريدة «فلسطين»)، وعز الدين الشوا.

١٠٢

١٠٣



ظهور المعارضة لنهج القيادة الفلسطينية السياسي

١٠٢ أحرار نابلس فور خروجهم من السجن (سنة ١٩٣٠) في زيارة لمحاميهم، عادل زعيتر (الجالس في الوسط)، لشكره على الجهود التي بذلها في سبيل الافراج عنهم. مثّل هؤلاء الشباب تيارا سياسيا جديدا اخذ في انتقاد القيادة الفلسطينية في ذلك الوقت، لاعتمادها الدبلوماسية وحدها نهجا في نضالها السياسي. وقد انضم معظمهم الى حزب الاستقلال (أنظر الصورتين ١٠٠، ١٠٥). ترجم عادل زعيتر، بالاضافة الى مهنته كمحام، العديد من الكتب من الفرنسية الى العربية، مثل كتابات: روسو، وفولتير، وأناتول فرانس، ومونتسكيو، ولامارتين (أنظر الصورة ٣٥٨).

الوكالة اليهودية وردة لفعل العالم الاسلامي

١٠٣ المؤتمر الاسلامي الكبير، القدس، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣١. لقد أدى تشكيل الوكالة اليهودية سنة ١٩٢٩ (وكانت تشمل القادة اليهود الصهاينة وغير الصهاينة من مختلف أنحاء المعمورة) والأخطار المحدقة بالأماكن المقدسة، بفعل التوتر عند حائط المبكى (أنظر الصورتين ١، ٩٠)، الى ردة فعل اسلامية في أنحاء العالم كافة. وتلبية لدعوة وجهها الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، فقد حضر المؤتمر ١٤٥ موفدا يمثل ٢٢ دولة اسلامية. وقد أعرب المؤتمر عن مخاوفه من الانتهاكات الصهيونية للأماكن المقدسة.

١٠٤ الوفدان التونسي والتركي في المؤتمر الاسلامي مع موسى كاظم باشا الحسيني (أنظر الصورة ٧٨). الأول الى اليسار هو العلامة التونسي عبد العزيز الثعالبي، ويُرى في الوسط الفيلسوف التركي رضا توفيق.

الحركة الوحدوية العربية والاستعمار البريطاني

١٠٥ أعضاء حزب الاستقلال الوحدوي الذي تأسس سنة ١٩٣٢. وقد اعتبر الحزب الاستعمار البريطاني عدو البلاد الرئيسي لتأييده الصهيونية، وعليه فقد حث القيادة الفلسطينية على ان تركز جهودها على مقاومة الاحتلال البريطاني والعمل لانهائه (أنظر الصورة ١٠٢). يُرى بين الواقفين، الأول الى اليسار، أحمد الشقيري من عكا (أنظر الصورتين ٦٩، ٢٢٤) الذي أصبح رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤، ويليه عجاج نويهض. أما الرابع الى اليسار فهو صبحي الخضراء. ويُرى بين الجالسين، الثاني الى اليسار، رشيد الحاج ابراهيم من حيفا (أنظر الصورة ٢٦٨)، وفي الوسط محمد عزة دروزة، مؤلف المرجع الكبير في تاريخ الحركة القومية العربية، ومن المنظمين الرئيسيين لثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ — ١٩٣٩ (أنظر الصورة ٢٤٢، وما يليها)، والى يساره أكرم زعيتر، لمحمد علي دروزة.

١٠٦ الموكب الجنائزي للملك فيصل الأول ملك العراق، في حيفا سنة ١٩٣٣، في طريقه الى العراق. توفي الملك في أثناء زيارته لأوروبا. ويوضح حجم الحشد مدى الشعبية التي كان يتمتع بها الملك الراحل لدى الفلسطينيين، والآمال التي عقدوها على الدعم العراقي في مقاومتهم للسياسة البريطانية الموالية للصهيونية (أنظر الصورتين ٨٨، ٩٩).



١٠٤



١٠٥



١٠٦



١٠٧



١٠٨

١٠٩



بوادر الثورة المسلحة ضد السياسة البريطانية الموالية للصهيونية

شكلت الرعاية البريطانية للهجرة الصهيونية الجماعية المتزايدة أكبر مصدر لتخوف الفلسطينيين وقلقهم على مستقبلهم، ذلك بأن معدل الهجرة اليهودية ارتفع سنويا من ٤٠٧٥ مهاجرا (سنة ١٩٣١)، الى ٩٥٥٣ مهاجرا (سنة ١٩٣٢)، الى ٣٠,٣٢٧ مهاجرا (سنة ١٩٣٣)، الى ٤٢,٣٥٩ مهاجرا (سنة ١٩٣٤)، الى ٦١,٨٥٤ مهاجرا (سنة ١٩٣٥). وكان معظم المهاجرين اليهود، في هذه الفترة، من بولندا.

١٠٧ في أعقاب تظاهرة فلسطينية احتجاجا على الهجرة الصهيونية الجماعية الى فلسطين، في الباب الجديد في القدس، سنة ١٩٣٣.

١٠٨ عرض للسلاح الجوي البريطاني فوق بلدة القدس القديمة، سنة ١٩٣٣.

١٠٩ أفراد بوليس الشغب البريطاني، وهم يسدون الطريق في وجه تظاهرة فلسطينية في يافا احتجاجا على الهجرة الجماعية الصهيونية، ٢٧ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٣٣.

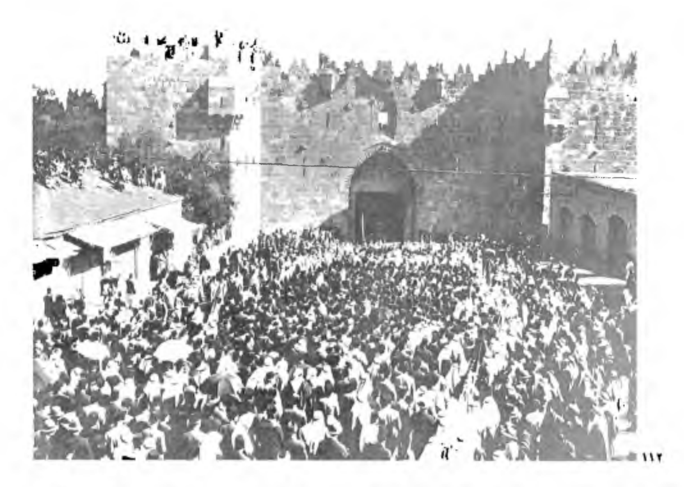
١١٠ خيالة الشرطة البريطانية تتصدى لتظاهرة فلسطينية في الساحة العامة في يافا، ٢٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٣.

١١١ في هذه الصورة، نرى موسى كاظم باشا الحسيني (ملتحيا) في أعلى الوسط (أنظر الصورة ٧٨)، وكان يقود تظاهرة يافا (أنظر الصورتين ١٠٩، ١١٠). بعض رفاقه يحاولون حمايته من هراوات ضباط الشرطة البريطانية.



١١٠

١١١



١١٢

١١٢ جنازة موسى كاظم باشا الحسيني عند باب العمود بالقدس، ٢٧ آذار / مارس ١٩٣٤. توفي الحسيني عن ٨١ عاماً. ولقد عجّل في وفاته الاصابات والرضوض التي تلقاها على يد البريطانيين في يافا قبل خمسة أشهر (أنظر الصورة ١١١).



١١٣

أول عملية فدائية فلسطينية

١١٣ الشيخ عز الدين القسام، مجاهد ومصلح اجتماعي ومرشد ديني، سوري الأصل أقام في حيفا، وركّز في أعماله وأحاديثه الدينية على أوساط الطبقات الفقيرة. أدت التظاهرات السياسية التي قام بها الصهاينة المتطرفون عند حائط المبكى (أنظر الصورتين ١، ٩٠)، وتأسيس الوكالة اليهودية (أنظر الصورة ١٠٣)، والتأييد البريطاني للهجرة الجماعية الصهيونية المتزايدة ــ كل هذا ادى بالشيخ القسام الى الاستنتاج ان المساعي السياسية والديبلوماسية باتت عديمة الجدوى، وأن الكفاح المسلح ضد البريطانيين هو وحده الذي سيؤثر في الحكومة البريطانية ويحقق النتائج المرجوة. في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٥، نظّم القسام مجموعة فدائية صغيرة وقادها ضد قوات الأمن البريطانية، في أول عملية فدائية للحركة الوطنية الفلسطينية. استشهد وهو يقاتل مع نفر من أتباعه، ليصبح بين عشية وضحاها رمزا للوطنية والتضحية. كان استشهاد القسام بمثابة الفتيل الذي أشعل الثورة الكبرى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ (أنظر الصورة ٢٤٢، وما يليها)، والمثال الذي اقتدى به ــ فيما بعد ــ فدائيو منظمة التحرير الفلسطينية في الستينات.

مشاهد مختلفة

١١٤ مشاهد ريفية من الجو لجبل الزيتون، تجاه البحر الميت.

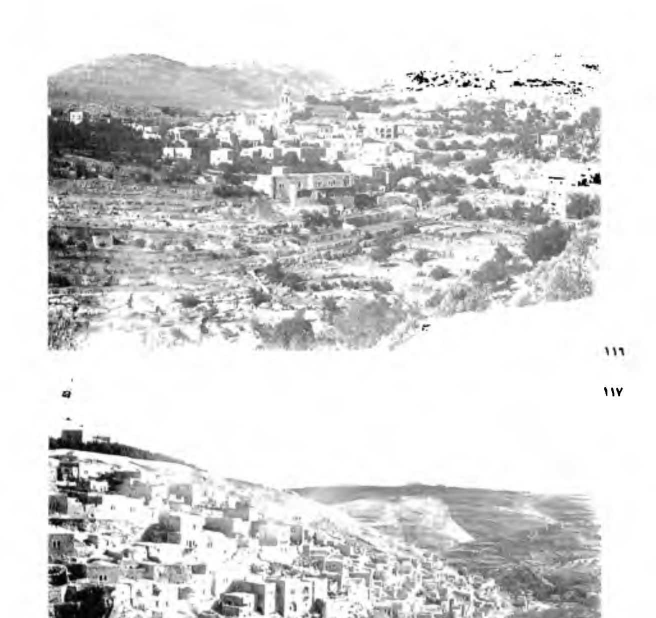
١١٥ البساتين في أريحا. كان لبعض الأثرياء الفلسطينيين من القدس منازل شتوية في أريحا.



١١٤

١١٥





١١٦

١١٧

١١٦ قرية عين كارم، غربي القدس.

١١٧ قرية سلوان، شرقي القدس، منظر تجاه الجنوب. المنزل البعيد الذي يبدو في الصورة، هو مقر سكن المندوب السامي البريطاني.

١١٨ قرية ابو غوش، تبعد نحو ١٤ كيلومترا عن القدس، على الطريق الى يافا.
١١٩ قرية بيت ساحور، بالقرب من بيت لحم.

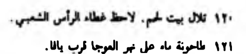


١١٨

١١٩



١٢٠



١٢٠ تلال بيت لحم. لاحظ غطاء الرأس الشعبي.

١٢١ طاحونة ماء على نهر العوجا قرب يافا.



١٢١

١٢٢ تلال مدرّجة السفوح، منظر من قالونيا، وهي قرية على الطريق الى يافا، نحو ٨ كيلومترات غربي القدس.

١٢٣ دير الروم على جبل التجربة في البرية بين القدس وأريحا.



١٢٢

١٢٣



الحياة الريفية من خلال عدسة خليل رعد (أنظر الصورتين ٧٢، ١٨٦) .

١٢٤ حجّارون.

١٢٥ صيادون: بحيرة طبرية.



١٢٤



١٢٥



١٢٦، ١٢٧ مشهد آخر للصيادين: بحيرة طبرية.

١٢٨ نجارو القرية.

١٢٩ عائلة من قرية بيت ساحور، بالقرب من بيت لحم.



١٢٦



١٢٧



١٢٨



١٢٩



١٣٠

١٣٠ أم وطفلها.
١٣١ السريع.
١٣٢ فتيات بدويات في أريحا.



١٣١

١٣٢



١٣٣

١٣٣ مواطن ومواطنة طاعنان في السن.

١٣٤ «صندوق الدنيا».

١٣٥ «الداماء الفلسطينية».

١٣٤



١٣٥



١٣٦

١٣٦ مدرسة قروية.

الانتاج الزراعي الفلسطيني

خلافا للدعاية الصهيونية الكاذبة في الغرب، فان الفلسطينيين هم الذين كانوا عماد الانتاج الزراعي في البلاد: يحرثون الأرض، ويزرعونها ليستخرجوا خيراتها منها. فنهاية الانتداب كان مجموع الأراضي التي أخضعها الفلاح الفلسطيني للزراعة (باستثناء مزارع الحمضيات) ٥,٤٨٤,٧٠٠ دونم (الدونم يساوي ألف متر مربع). بينما لم تتمكن المستعمرات اليهودية الثلاثة، الجماعية (كيبوتس وموشاف) وغير الجماعية، من ان تزرع أكثر من ٤٢٥,٤٥٠ دونما.[1] أما فيما يتعلق بتعمير الصحراء، فان الفلسطينيين وحدهم هم الذين عمّروها؛ ذلك بأن أسطورة تعمير اليهود للصحراء كذب في كذب، اذ ان مجمل مساحة الأراضي في صحراء النقب، التي كانت في حيازة اليهود، لم يتعد ٢١ ألف دونم، بينما زرع الفلسطينيون بالحبوب (القمح والشعير)، في صحراء النقب ذاتها، ما يزيد على مليونين و ١١٠ آلاف دونم.[2]

ولو أخذنا أصناف الزراعة بالتسلسل، لوجدنا ما يلي:[3]

١٣٧ ـ ١٤٠ زراعة الحبوب (القمح والشعير والذرة): ملك الفلسطينيون وزرعوا ٤,١٥٢,٤٣٨ دونما من أصل ٤,٣٦٧,٦٢٩ دونما تنتج هذه الحبوب.



١٣٨



١٣٩



١٣٧



١٤٠



١٤١

١٤٢





١٤٣

١٤١ زراعة الموز: ملكَ الفلسطينيون وزرعوا ٦٠٪ من المساحة المنتجة للموز.

١٤٢ زراعة العنب: ملكَ الفلسطينيون وزرعوا ٨٦٪ من مساحة أراضي الكروم.

١٤٣ زراعة البطيخ: ملكَ الفلسطينيون وزرعوا ١٢٠,٣٠٤ دونمات من أصل ١٢٥,٩٧٩ دونما تنتج البطيخ.



١٤٤

١٤٤ زراعة الزيتون: ملك الفلسطينيون وزرعوا ٩٩ ٪ من أصل ١٣٣,٦٠٠ دونما مزروعة بشجر الزيتون.

١٤٥ زراعة الخضروات: ملك الفلسطينيون وزرعوا ٢٣٩,٧٣٣ دونما من أصل ٢٧٩,٩٤٠ دونما تنتج الخضروات.

١٤٦ زراعة التبغ: ملك الفلسطينيون وزرعوا ٩٩ ٪ من الأراضي المنتجة للتبغ.



١٤٥



١٤٦

الثروة الحيوانية

١٤٧، ١٤٨ كانت ملكية الثروة الحيوانية في فلسطين تعود، في معظمها، للفلسطينيين:[٩]

	ملكية الفلسطينيين	ملكية اليهود
الماشية	٢١٩,٤٠٠	٢٨,٤٠٠
الأغنام	٢٢٤,٩٠٠	١٩,١٠٠
الماعز	٣١٤,٦٠٠	١٠,٨٠٠
الابل	٣٢,٢٠٠	–
الجياد	١٦,٩٠٠	٢,٢٠٠
البغال	٧,٣٠٠	٢,٥٠٠
الحمير	١٠٥,٤٠٠	٢,٣٠٠
الخنازير	١٢,١٠٠	–
الاجمالي	٩٣٣,٨٠٠	٦٥,٣٠٠



١٤٧

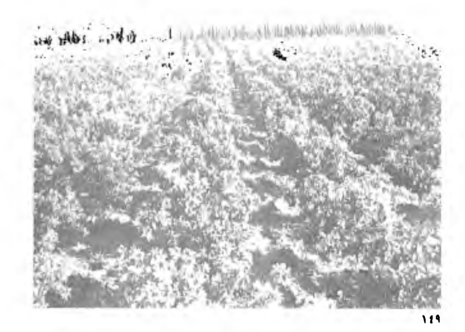


١٤٨

البرتقال اليافاوي، هبة فلسطين الى العالم

١٤٩ ــ ١٥٧ يعتبر البرتقال اليافاوي اليوم، في الأسواق الغربية، أكثر المنتوجات الزراعية تمثيلا لجودة النتاج الزراعي الاسرائيلي. والواقع ان الخبرة الفلسطينية هي التي طورت زراعة البرتقال الى المستوى المعهود قبل بدء الاستعمار الصهيوني لفلسطين. ولعل أطرف شاهد على ذلك، انه في سنة ١٨٨٦ أرسل القنصل الأميركي في القدس هنري غيلمان، تقريرا الى مساعد وزير خارجيته المستر ج. د. بورتر، أشاد فيه بالجودة العالية لبرتقال يافا، وبطرائق التطعيم المبدعة التي كان يستخدمها المزارع الفلسطيني. واقترح، في تقريره، ان يقتبس المزارعون الأميركيون في فلوريدا أساليب زراعة البرتقال الفلسطينية.(٥) هذا ولم يستطع اليهود ان يجاروا مستوى الانتاج الفلسطيني إلا في أواخر الانتداب. وعلى الرغم من ذلك، لقد بقي الانتاج الفلسطيني من الحمضيات متفوقا، كما ونوعا، وهو ما يبينه الجدول التالي لمساحة الأراضي المزروعة:(٦)

	صنف ١	صنف ٢	صنف ٣	اجمالي المساحة بالدونم
ملكية الفلسطينيين	١٠٠,٠٥٥	١٧,٤٠١	٥,٥٠٢	١٢٢,٩٥٨
ملكية اليهود	٩٣,٦٤٠	١٣,١٥٠	٧,٥٦٢	١١٤,٣٥٢



١٤٩



١٥٠



١٥١

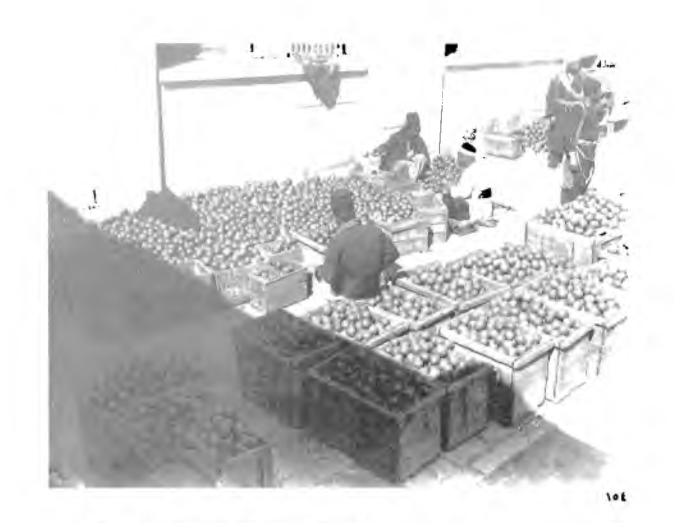


١٥٢

١٣١



١٥٣



١٥٤



١٥٥



١٥٦



١٥٧



١٥٨



١٥٩

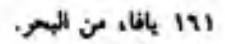


١٦٠

١٥٨ منظر عام لمدينة غزة.

١٥٩ مشهد لشارع في غزة.

١٦٠ بيت لحم، والى اليسار نرى قبة كنيسة المهد.



١٦١ يافا، من البحر.

١٦٢ يافا، منظر داخلي للمدينة باتجاه الشرق.

١٦٣ يافا، منظر على البحر. كانت يافا الميناء الرئيسي في فلسطين قبل تل ابيب وحيفا.

١٦٤ الساحة العامة في يافا، في أعقاب إعلان الانتداب البريطاني. المبنى الى اليمين هو السراي الكبير (أنظر الصورتين ٦، ٣٩٣).

١٦٥ يافا، حي النزهة السكني الفلسطيني، نحو سنة ١٩٣٥. لاحظ التطور في وسائل المواصلات بالمقارنة بالصورة السابقة.



١٦١



١٦٢



١٦٣



١٦٤



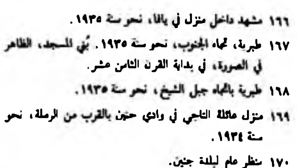
١٦٥



١٦٦



١٦٧



١٦٦ مشهد داخل منزل في يافا، نحو سنة ١٩٣٥.

١٦٧ طبرية، تجاه الجنوب، نحو سنة ١٩٣٥. بُني المسجد، الظاهر في الصورة، في بداية القرن الثامن عشر.

١٦٨ طبرية باتجاه جبل الشيخ، نحو سنة ١٩٣٥.

١٦٩ منزل عائلة التاجي في وادي حنين بالقرب من الرملة، نحو سنة ١٩٣٤.

١٧٠ منظر عام لبلدة جنين.



١٦٨



١٦٩



١٧٠



١٧١

١٧١ ـ ١٧٣ مشاهد من مدينة الناصرة.



١٧٢







١٧٤ سبيل السلسلة في حي باب السلسلة في بلدة القدس القديمة. ويعود تاريخ السبيل الى سنة ١٥٣٧م.

١٧٥ موقف لسيارات الأجرة، باب العمود في القدس، نحو سنة ١٩٢٨. بُني الباب وأسوار البلدة القديمة في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ــ ١٥٦٦م) (أنظر الصورة ١٧٦).

١٧٦ مشهد بالجاه الغرب لبلدة القدس القديمة، مأخوذ من المتحف الأثري الفلسطيني، نحو سنة ١٩٣٧. يُرى، في الساحة التي في الوسط، باب الساهرة، وفي مقدمة أقصى اليمين مدرسة الرشيدية الثانوية للبنين.

١٧٥



١٧٦



١٧٧ مشهد باتجاه الشمال الشرقي. حي سكني فلسطيني خارج باب الساهرة في القدس.

١٧٨ بلدة القدس القديمة مكسوة بالثلج، منظر باتجاه جبل الزيتون.



١٧٧



١٧٨

مشاهد لأماكن دينية

١٧٩ الفناء الداخلي لجامع الجزار في عكا، بناه سنة ١٧٨١ أحمد الجزار الذي استطاع سنة ١٧٩٩، وبمعاونة الأسطول البحري البريطاني بقيادة سير سيدني سميث، ان يصد هجوم نابليون على أسوار عكا، ويوقف زحفه في فلسطين. يضم المسجد شعرات للرسول العربي الكريم (ﷺ).

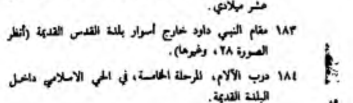
١٨٠ ضريح لائقه رضي الله عنها، زوجة النبي يعقوب عليه السلام، في مسجد ابراهيم الخليل (أنظر الصور ٢٨، ٢٩، ٣٨، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٨).



١٧٩



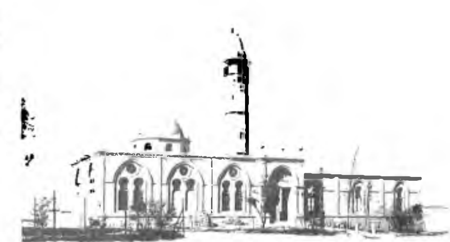
١٨٠


١٨١ مسجد في بئر السبع، بني على نمط العمارة العثمانية المتأخرة.

١٨٢ الجامع الكبير في غزة، ويرجع بناؤه أصلا الى القرن الثاني عشر ميلادي.

١٨٣ مقام النبي داود خارج أسوار بلدة القدس القديمة (أنظر الصورة ٢٨، وغيرها).

١٨٤ درب الآلام، المرحلة الخامسة، في الحي الاسلامي داخل البلدة القديمة.


١٨١


١٨٢

١٨٣





١٨٤



١٨٥


ALL
Kodak
SUPPLIES
C. RAAD
PHOTOGRAPHER & PHOTO DEALER
LANTERN SLIDES
FILMS
KODAKs

١٨٦



١٨٨



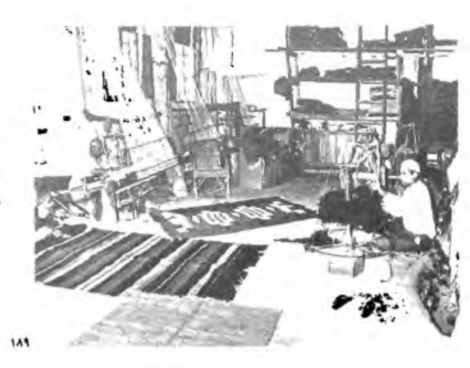
١٨٧

١٨٥ محل لبيع الخضروات.

١٨٦ متجر المصور خليل رعد، باب الخليل في القدس (أنظر الصور ٧٢، ١٢٤ ــ ١٣٦).

١٨٧، ١٨٨ محلات الصياغة في بلدة القدس القديمة (١٨٧)، وفي بلدة عكا القديمة (١٨٨).

١٨٩ ـ ١٩١ فن النسيج (١٨٩)، وصناعة الفخّار.
١٩٢ صناعة اللحف.



١٨٩

١٩٠



١٩١



١٩٢





١٩٣

١٩٣ سوق العطارين.

١٩٤ زفاف عائلة مسيحية، حيفا، سنة ١٩٣٠. العريس هو حنا عصفور محام فلسطيني من أبناء الطائفة الكاثوليكية (انظر الصورتين ٢٥٠، ٢٧٠)، والعروس هي إميل أبو فاضل.

١٩٥ زفاف عائلة اسلامية، وادي حنين بالقرب من الرملة، سنة ١٩٣٥. العريس هو نظيف الخيري وكان يتولى منصب قائمقام، وعروسه هي سامية التاجي.

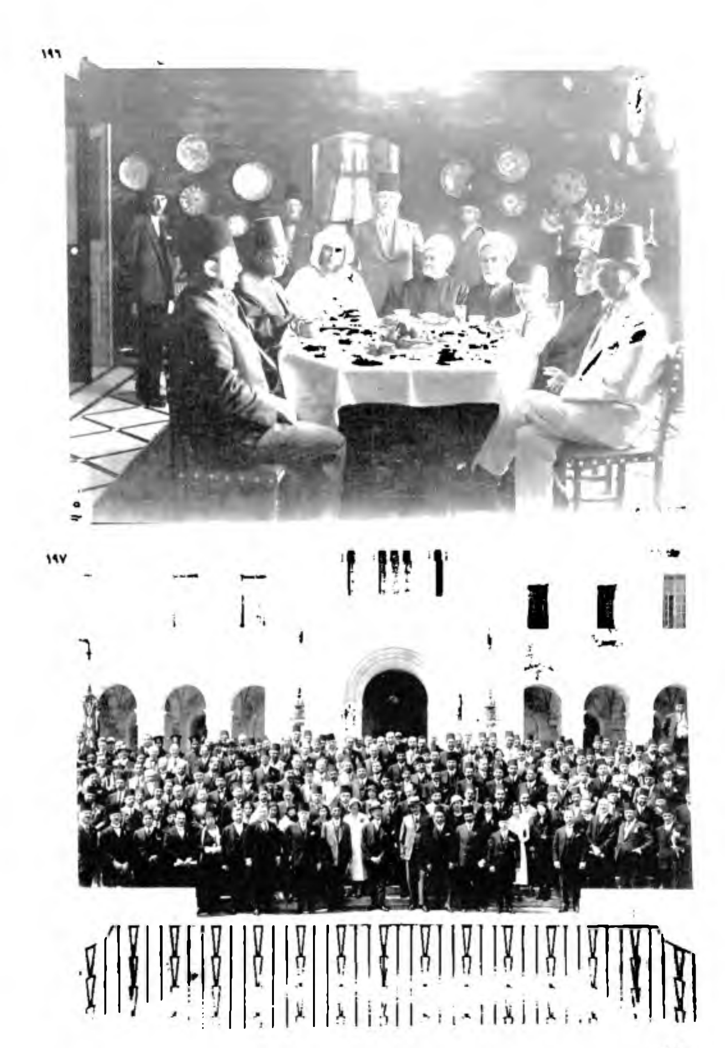


١٩٤

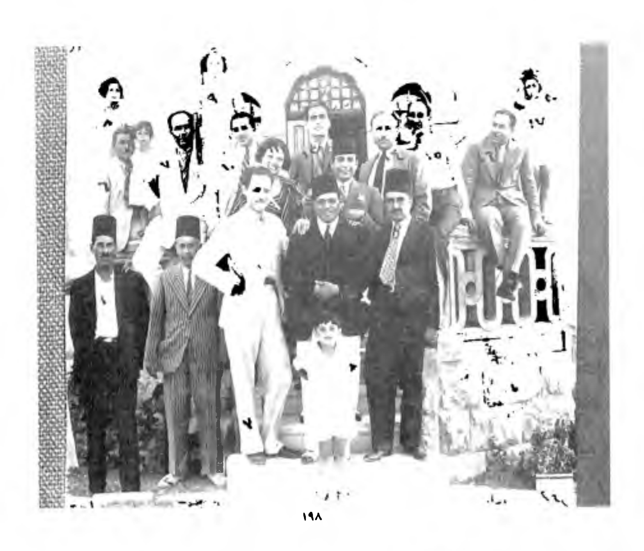


١٩٥

١٩٦



١٩٧



١٩٨



١٩٩

١٩٦ رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي (أنظر الصور ١٠٠، ٢٤٢، ٣٥٢)، واقفا في الوسط، وهو يقيم في منزله حفلا على شرف الشيخ عبد الحي الكتاني (جالسا الى يمينه) الزعيم والعلّامة الديني المغربي، خلال زيارة هذا الأخير للقدس سنة ١٩٢٠. حضر الحفل عدد من الأعيان الفلسطينيين. في أقصى اليمين يجلس عوني عبد الهادي، والطفل في الصورة هو ابن الزائر (أنظر الصورتين ١٠٠، ٢٩١).

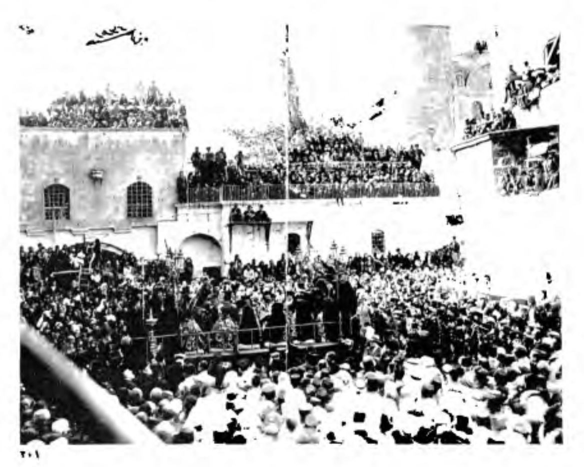
١٩٧ المؤتمر الطبي العربي المنعقد في مقر جمعية الشبان المسيحية في القدس سنة ١٩٣٣، والذي حضره أطباء من مختلف الدول العربية. افتتح المؤتمر المندوب السامي البريطاني السير آرثر واكهوب (في وسط الصف الأمامي) (أنظر الصورتين ٢٤٣ب، ٢٤٣جـ). ويُرى الى يمينه علي ابراهيم باشا عميد الجراحين المصريين، ثم راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس. الرابع من اليمين في الصف الأمامي هو الدكتور عزت طنوس (أنظر الصورة ٦٣).

١٩٨ علي الكسّار (في وسط الصف الأمامي)، الممثل الهزلي المصري الشهير، يزور أصدقاء له في القدس سنة ١٩٣٤. ويُرى جالسا في اقصى اليمين فوزي الغصين من الرملة، خريج جامعة كمبريدج في انكلترا (اختصاص حقوق).

١٩٩ موسيقيون ومطربون فلسطينيون في محطة إذاعة فلسطين، القدس، سنة ١٩٣٦.



٢٠٠

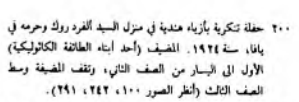


٢٠١

٢٠٢



٢٠٣



٢٠٠ حفلة تنكرية بأزياء هندية في منزل السيد ألفرد روك وحرمه في يافا، سنة ١٩٢٤. المضيف (أحد أبناء الطائفة الكاثوليكية) الأول الى اليسار من الصف الثاني، وتقف المضيفة وسط الصف الثالث (أنظر الصور ١٠٠، ٢٤٢، ٢٩١).

٢٠١ كنيسة القيامة، احتفال خميس العهد (الغسل) في ٥ نيسان / ابريل ١٩٣٤، يترأسه بطريرك الروم الأورثوذكس، ويجلس على المنصة الضيقة المرتفعة الى يمين القنطرة واصف جوهرية (مرتديا الطربوش)، صاحب المجموعة القيّمة من الصور الفوتوغرافية التي تم اختيار العديد منها لهذا الكتاب (أنظر الصورة ٧١).

٢٠٢ الحاج امين الحسيني (أنظر الصورة ٨٢)، مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى، محاطا بكبار الشخصيات المسيحية الدينية، نحو سنة ١٩٣٠. يُرى الى يمينه بطريرك الروم ومطران الأقباط على التوالي، والى يساره بطريرك الأرمن، ورئيس دير الأحباش. تعكس هذه الصورة مدى التفاهم والوئام بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين.

٢٠٣ بعض اليهود بعد عودتهم من زيارة لحائط المبكى في منتصف الثلاثينات (أنظر الصورتين ٥٥، ٩٠).

٢٠٤



٢٠٥





٢٠٦

٢٠٤ يهود من طائفة السمرة يحتفلون بـ«عيد الفطير» في نابلس، أوائل الثلاثينات. كان السمرة طائفة يهودية صغيرة، يقل عددهم عن ٢٠٠ شخص، عاش معظمهم منذ القدم في نابلس، واستخدموا اللغة العربية في الحديث اليومي وإحدى اللهجات الآرامية في طقوسهم الدينية. اعتنقوا الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم من دون غيرها. لاحظ العمائم التي يعتمرونها.

٢٠٥ مؤتمر لرجال الدين الأورثوذكس الفلسطينيين في رام الله، أيلول / سبتمبر ١٩٣٢.

٢٠٦ السيد احمد الشريف السنوسي، زعيم الطريقة السنوسية الليبية (حامل العكاز في الوسط)، يزور الحرم الشريف (أنظر الصورة ١) في القدس، نحو سنة ١٩٢٣.



٢٠٧

٢٠٨



٢٠٧، ٢٠٨ «موسم» (عيد) النبي موسى، أحد اهم الاحتفالات الدينية الشعبية التي كان المسلمون الفلسطينيون يحتفلون بها سنويا، وذلك بعد صلاة الجمعة السابقة الجمعة الحزينة عند المسيحيين، اذ يجتمع موكب ضخم مهيب يسير من القدس الى مقام النبي موسى عليه السلام بالقرب من اريحا (أنظر الصور ٢٨، ٢٩، ٣٨، ١٨٠، ١٨٣)، وينضم اليه وفود من قرى اقضية القدس والخليل ونابلس (٢٠٧)، والباب الجديد (٢٠٨) في القدس خلال الاحتفال. يُرى مفتي القدس (ممتطيا جوادا في الصورة ٢٠٨) في مقدمة الموكب. يرجع تاريخ هذا الاحتفال الى القرن الثالث عشر ميلادي.

النشاط التربوي والثقافي

اعتنى الفلسطينيون أكثر ما اعتنوا بالعلم والتعليم. وكانت مدارس فلسطين قبل الشتات على ثلاثة أنواع: حكومية، وعربية خاصة، وأجنبية خاصة. وهذه الأخيرة أسستها جمعيات اوروبية وأميركية مختلفة، منها العلمانية ومنها الدينية. وكانت المدارس الحكومية أكثر عددا من المدارس الأخرى، وضمت العدد الأكبر من الطلاب.

وبلغ عدد الطلاب الفلسطينيين في المدارس الابتدائية والثانوية، عشية النكبة سنة ١٩٤٨، ١٢٠,٠٠٠ طالب وطالبة من مجموع السكان العرب الذي بلغ ١,٢٣٨,٠٠٠. وشمل عدد الطلاب هذا ٨٥٪ من الذكور الذين كانوا في سن الدراسة في المدن، و٦٣٪ من مجموعهم في الريف. وكانت نسبة الاناث ٦٠٪ من مجموعهن في المدن، و٧,٥٪ من مجموعهن في الريف. وهذه النسب، على علاّتها، شكلت بمجملها - في حينه - أعلى نسبة في التعليم مقارنة بالدول العربية، باستثناء بعض الطوائف في لبنان. وعلى الرغم من ان المدارس الحكومية كانت تضم العدد الأكبر من طلاب البلد، فان ذلك لم يكن نتيجة سخاء الحكومة البريطانية على التعليم، بل لحرص الفلسطينيين الشديد على تحصيل العلم. أما الحكومة البريطانية، فان إنفاقها على التعليم لم يتعد - في أي يوم - ٤,٥٪ الى ٥٪ من الميزانية السنوية العامة التي كان أكبر بند للإنفاق فيها بند «حفظ النظام والأمن»، اي سياسة تنفيذ البرنامج الصهيوني بالقوة وقمع المقاومة الفلسطينية. وأكبر شاهد على تقصير حكومة الانتداب في مجال التعليم عدم توفر المدارس الحكومية الريفية، سوى في نصف مجموع قرى فلسطين العربية (نحو ٤٠٠ من ٨٠٠ قرية) مما اوصد باب التعليم في وجه عشرات الآلاف من الراغبين فيه. وحتى في القرى التي توفرت فيها المدارس الحكومية، فان نسبة قبول الطلاب لم تتعد ٦٤٪ من طلبات الانتساب لعدم توفر العدد الكافي من المعلمين، وصغر حجم المدارس. غير ان الرغبة الشعبية الجامحة في التعليم، التي تميّز بها الفلسطينيون حينذاك كما يتميزون بها اليوم، دفعت أهالي الريف الفقراء - طوعا واختيارا - الى تقديم ما أمكنهم من العون لزيادة عدد المدارس في قراهم، وذلك عن طريق تقديم قطع الأرض لتشييد المدارس عليها، او التطوع باليد العاملة لبنائها بسواعدهم، او التبرع النقدي الذي بلغ مثلا ١٨,٠٠٠ جنيه سنة ١٩٤١، وتصاعد الى ٢٩٠,٠٠٠ جنيه سنة ١٩٤٥.

«أقلّ الناس قيمة أقلهم علماء»



٢٠٩ الهيئة التدريسية وخريجو المدرسة الدستورية، نحو سنة ١٩١٩ (أنظر الصورة ٦١)، وهي احدى المدارس الخاصة في القدس. يُرى جالسا في الصف الأول الى اليسار خليل السكاكيني، مؤسس المدرسة، وخلفه جورج خميس - وهو أستاذ أورثوذكسي موهوب برع في تدريس قواعد اللغة الانكليزية للمئات من الطلبة الفلسطينيين.



٢١٠ كلية البنات في القدس، نحو سنة ١٩٢٠، أسستها احدى الارساليات البريطانية الانجيلية. يُرى أعضاء الهيئة التدريسية في الصفين الأخيرين. اغلبية الطالبات فلسطينيات مسلمات ومسيحيات.


الهيئة التدريسية
للمدرسة الثانوية الاميرية بيافا
٢٨ حزيران

٢١١


فرقة
كرة القدم الاولى للمدرسة
يافا — ١٩٢٣

٢١٢



٢١٣

٢١١ الهيئة التدريسية للمدرسة الثانوية الأميرية للبنين في يافا، سنة ١٩٢٣. يجلس في الوسط سليم كاتول، مؤلف مجموعة كتب بالعربية في العلوم الطبيعية.

٢١٢ فريق كرة القدم للمدرسة الثانوية في يافا، سنة ١٩٢٣. يُرى واقفا في أقصى اليسار سليم كاتول (أنظر الصورة ٢١١).

٢١٣ فرقة كشافة المدرسة الثانوية الأميرية مع «عدة» المخيم، بما فيها الحمار، يافا، سنة ١٩٢٤. الشاب الثالث الى اليسار في الصف الأول يحمل حقيبة كتب عليها كلمة «علاج». شاعت الحركة الكشفية في المدارس الفلسطينية، ومن أسباب شيوعها التركيز الصهيوني على حركات الشبيبة.



٢١٤



٢١٥

٢١٤ صف النجارة في المدرسة الثانوية الأميرية في يافا، سنة ١٩٢٤. وقد كتب على اللافتة المعلقة على الباب عبارة: «أقلّ الناس قيمة أقلّهم علماً».

٢١٥ يوم المباريات الرياضية بين مدارس يافا، سنة ١٩٢٤.



المنظر العمومي لاساتذة وتلامذة مدرسة العرفان الوطنية الاسلامية بنابلس

سنة ١٣٤١ / ١٩٢٤ المصور عيسى صوابيني من يافا

٢١٦

ذكرى انتهاء الدراسة في المدرسة

المصور عيسى صوابيني من يافا

٢١٧

٢١٦ تأسست مدرسة العرفان الخاصة في نابلس سنة ١٩٢٢.

٢١٧ الهيئة التدريسية، وصف الخريجين، في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس، سنة ١٩٢٤. تأسست النجاح سنة ١٩١٨، وكانت اهم المدارس الوطنية الخاصة في البلاد، ثم اصبحت نواة جامعة النجاح الحالية في الضفة الغربية المحتلة.



٢١٨

٢١٨ المنظر العمومي لأساتذة وتلامذة مدرسة النجاح الوطنية في نابلس، سنة ١٩٢٤.

٢١٩ تلامذة وأساتذة المدرسة الوطنية الجديدة الخاصة في القدس، سنة ١٩٢٥. يجلس في الوسط مؤسسها ومديرها الدؤوب خليل السكاكيني (أنظر الصورتين ٦١، ٢٠٩).

٢٢٠ أساتذة مدرسة الصلاحية الخاصة (سميت كذلك نسبة الى السلطان صلاح الدين الأيوبي) في نابلس، سنة ١٩٢٦. يُرى جالساً في الصف الأول الى اقصى اليمين، أستاذ مصري يمثل وجوده العلاقات الثقافية بين فلسطين والدول العربية المجاورة (أنظر الصورتين ٢٣٣، ٢٣٥).



٢١٩



٢٢٠



٢٢١

٢٢٢



٢٢٣



٢٢٤



٢٢٥

مهرجان كشافة فلسطين

٢٢١ بير سالم، بالقرب من الرملة، سنة ١٩٢٦.

صف الحضانة

٢٢٢ نموذج لصف الحضانة في مدرسة البروتستانت الألمانية المعروفة باسم «كلية شميدت للبنات»، القدس سنة ١٩٢٦ (أنظر الصورة ٢٤١). الأخوات اللواتي يظهرن في الصورة وكذلك الصبيان (الثاني والرابع من اليمين في الصف الأول)، جميعهم من عائلة واحدة، هي عائلة التاجي من وادي حنين بالقرب من الرملة. لاحظ الترتيب المتناسق للعب.

جمعية الشبان المسلمين في عكا

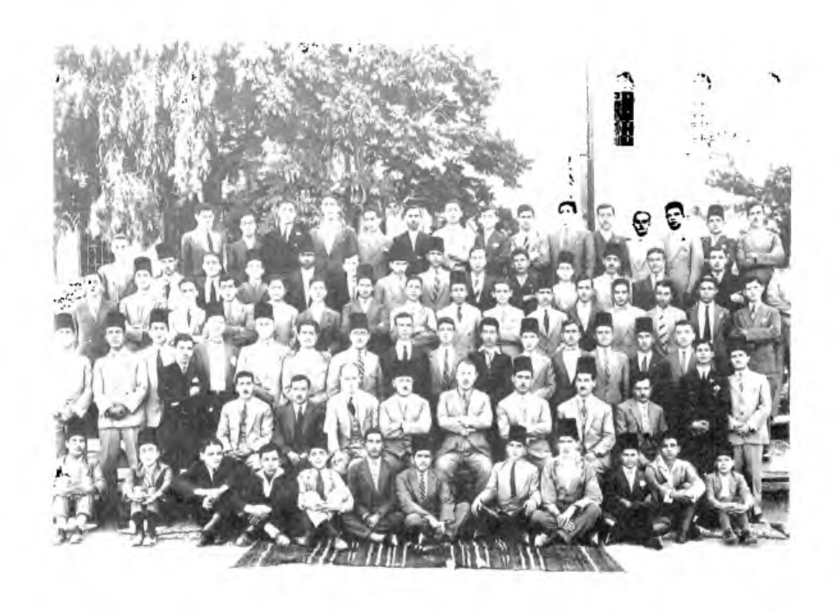
٢٢٣ الأعضاء المؤسسون لجمعية الشبان المسلمين في عكا، سنة ١٩٢٨.

النادي الرياضي في عكا

٢٢٤ أعضاء النادي الرياضي في عكا، سنة ١٩٢٨. الثالث من اليمين في الصف الثاني، هو أحمد الشقيري (أنظر الصورتين ٦٩، ١٠٥) الذي أصبح، فيما بعد، رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

خريجو الجامعات البريطانية

٢٢٥ الطلبة الفلسطينيون في الجامعات البريطانية يحتفلون بزواج زميلهم عز الدين الشوا، لندن، سنة ١٩٢٨. يجلس من اليسار الى اليمين في الصف الأول: خلوصي الخيري من الرملة (إدارة عامة، كلية الاقتصاد في لندن)، سيدة مجهولة الهوية، العريس عز الدين الشوا من غزة (زراعة، جامعة كمبريدج)، العروس، وصفي عنبتاوي من نابلس (جغرافيا، جامعة كمبريدج)، سيدة مجهولة الهوية. في الصف الثاني: واصف كمال من نابلس (قانون، جامعة لندن)، محمد حديد وطه عبد الباقي (كلاهما من العراق)، أنيس البسي من يافا (اقتصاد، جامعة كمبريدج). الصف الأخير: ضياء الدين الخطيب من القدس (تاريخ، جامعة لندن)، نظيف الخيري من الرملة (إدارة عامة، جامعة لندن)، خليل البديري من القدس (طب العيون، جامعة لندن).



٢٢٦

رأس الهرم التعليمي في فلسطين:
الكلية العربية

٢٢٦ أساتذة وتلامذة الكلية العربية في مقرها القديم، باب الساهرة في القدس، سنة ١٩٣٠. اشتهرت الكلية العربية بمتطلبات الالتحاق الصارمة، وبتركيزها المتساوي على كل من الحضارة العربية الاسلامية والفكر الأوروبي الكلاسيكي والليبرالي (أنظر الصورة ٢٤٠).

وقبل نهاية الانتداب، توسعت الكلية بحيث اصبح خريجوها مؤهلين للحصول على درجة البكالوريوس من جامعة لندن. كما حصل الكثيرون منهم على منح دراسية لتابعة دراساتهم العليا في المملكة المتحدة. أعضاء الهيئة التدريسية (جلوسا في الصف الثاني) من اليمين الى اليسار: جورج خميس، سليم كاتول، محمد الحاج مير (تاريخ، جامعة توبنغن، ألمانيا)، عميد الكلية أحمد سامح الخالدي من القدس (علم النفس، الجامعة الأميركية في بيروت)، ألف كتبا عديدة في أصول التدريس اصبحت فيما بعد من الكتب المدرسية المقررة في عدة دول عربية، كما ترجم الى العربية أعمال م. مونتيسوري (Montessori) وعالم النفس الألماني و. ستيكل (Stekel)، حبيب الخوري، ستيوارت بيرون (Stewart Perone) أستاذ بريطاني، احمد طوقان (الفيزياء، جامعة كمبريدج) اصبح فيما بعد رئيس وزراء الأردن، لطفي جوهرية.



٢٢٧

٢٢٧ أساتذة وتلامذة الكلية العربية في مقرها الجديد على جبل المكبّر، جنوبي القدس، سنة ١٩٣٨. (هذا هو الموقع الذي ألقى منه الخليفة عمر بن الخطاب، وهو في طريقه الى القدس لاستلام مفاتيح المدينة من البيزنطيين سنة ٦٣٧م، أول نظرة على المدينة ثم خرّ على الأرض ساجدا ومكبّرا).

لاحظ السترات التي يرتديها التلامذة الواقفون وقد ظهر عليها شعار الكلية، وهو عبارة عن صقر وبلاد بحيرة. يُرى واقفا الى أقصى اليسار في الصف الأخير جبرا جبرا (فيما بعد خريج جامعة كمبريدج، تخصّص أدب انكليزي)، شاعر ومؤلف له عدة كتب في النقد الأدبي والأدب القصصي، بينها رواية «الصيادون في شارع ضيق» (لندن، هاينمان، سنة ١٩٦٠) [*Hunters in a Narrow Street* (London: Heinemann, 1960)]. ترجم الى العربية عدة مسرحيات لشكسبير. يجلس مع الهيئة التدريسية (الرابع الى اليسار) وصفي عرفات من نابلس (رياضيات، جامعة لندن)، والى جانبه (الخامس الى اليسار) اسحق موسى الحسيني العالم البحّاثة من القدس (كلية الدراسات الشرقية، جامعة لندن)، ألّف العديد من الكتب في التاريخ الاسلامي والعربي بالاضافة الى رواية «يوميات دجاجة»، وهي قصة رمزية لاذعة من حبك خياله تعكس مأساة الشعب الفلسطيني في ظل حكومة الانتداب.



٢٢٨



٢٢٩

. . . والقاعدة التي كان يرتكز عليها: المدارس القروية

٢٢٨، ٢٢٩ هناك جانب آخر للتعليم الفلسطيني يتمثل في المدارس القروية. المدرستان المصورتان هما مثال حي لـ ٤٢٠ مدرسة قروية أخرى كانت موجودة في فلسطين عند نهاية الانتداب. في الصورة (٢٢٩) نرى الأولاد يمارسون تمارين الصباح قبل دخول الصفوف. لاحظ حقائبهم المدرسية على الأرض.



٢٣٠



٢٣١

كلية الفرير

٢٣٠ هيئة التدريس والخريجون من كلية الفرير في القدس، سنة ١٩٣٤. أسس هذه المدرسة الآباء الفرنسيسكان سنة ١٨٧٥.

مدرسة سان جورج مرة ثانية

٢٣١ تلامذة مدرسة سان جورج (المطران) الداخليون.



٢٣٢



٢٣٣

٢٣٤

٢٣٢ فرقة الكشافة سنة ١٩٣٥ (أنظر الصور ٦٢ – ٦٤).

تلامذة مغاربة في نابلس

٢٣٣ هيئة التدريس والخريجون في مدرسة النجاح، نابلس، سنة ١٩٣٢. يجلس في الصف الأمامي (من اليمين الى اليسار): أكرم زعيتر، المناضل الأديب والخطيب المفوّه، من نابلس، اصبح وزيرا لخارجية الأردن سنة ١٩٦٦؛ محمد عدناني، شاعر من جنين؛ قدري طوقان، استاذ رياضيات وبحّاثة من نابلس، ألّف في تاريخ العلوم عند العرب؛ الشيخ عبد الحميد السايح، اصبح فيما بعد وزيرا للأوقاف في الأردن ثم رئيسا للمجلس الوطني الفلسطيني؛ مدير المدرسة جلال زريق، شاعر وعالم رياضيات. في الصف الأخير، من اليمين الى اليسار، الطالب الأول والثاني والتاسع من المغرب، والتحاقهم بالمدرسة مثال للاتصال الثقافي بين فلسطين والعالم العربي (أنظر الصورتين ٢٢٠، ٢٣٥).

«تراسنطة»

٢٣٤ مدرسة «تراسنطة» (Terra Sancta)، أي الأرض المقدسة، للبنين، القدس، سنة ١٩٣٢. أسسها الآباء الفرنسيسكان.



٢٣٥

أساتذة فلسطينيون في العراق

٢٣٥ أساتذة فلسطينيون يعملون في التدريس في العراق، سنة ١٩٣١. في الوسط أكرم زعيتر، وكان حينئذ محاضرا في كلية المعلمين في بغداد. وتبين الصورة أيضا الارتباط الثقافي بين فلسطين والعالم العربي (أنظر الصورتين ٢٢٠، ٢٣٣).

المواهب الموسيقية في يافا

٢٣٦، ٢٣٧ التلامذة (٢٣٦) والفرقة الموسيقية (٢٣٧) في المدرسة الأورثوذكسية في يافا، سنة ١٩٣٨. هذه المدرسة أسستها الجمعية المسيحية الأورثوذكسية الخيرية سنة ١٩٢١.



١٣٦


15/6/38
Band - National Sec. Orth. School 15.6.38.
٢٣٧



٢٣٨



٢٣٩

التجديف في نهر كام

٢٣٨ عبد الرحمن بشناق الثاني من اليسار (خريج الكلية العربية في القدس)، كبير المجدفين في فريق تجديف كلية يسوع (Jesus College) في نهر كام (Cam)، جامعة كمبريدج، حيث درس الأدب الانكليزي، سنة ١٩٣٥ (أنظر الصورة ٢٢٦، محمد بشناق السادس الى اليسار، الصف الثالث). من الآثار التي نقلها الى العربية كتاب بعنوان «في سبيل التاج» (*The Splendid Spur*) لسير آرثر كويلر-كوش [Sir Arthur Quiller-Couch)، أستاذ الأدب الانكليزي في كمبريدج.

الكلية العربية في الأربعينات

٢٣٩ اللياقة البدنية.

٢٤٠ مُحاضر اللغة اللاتينية، جورج حوراني، خريج جامعة اكسفورد ومؤلف عدة كتب بينها: «الملاحة البحرية العربية في المحيط الهندي في العهد القديم وبداية العصور الوسطى» (جامعة برنستون، ١٩٥١) [*Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times* (Princeton, 1951)] وكتاب «العقلانية الاسلامية» (أكسفورد، دار كلاريندون للطباعة والنشر، ١٩٧١) [*Islamic Rationalism* (Oxford: Clarendon Press, 1971)]. لاحظ شعار الكلية (أنظر الصورتين ٢٢٦، ٢٢٧).



٢٤٠

«كلية شميدت للبنات» مرة أخرى

٢٤١ منظر عمومي لهيئة تدريس وتلميذات مدرسة «شميدت» في القدس، سنة ١٩٤٧ (أنظر الصورة ٢٢٢).

٢٤١



من «الأوذيسة» لهوميروس الى علم الكيمياء العملي

٢٤١ أ ـ ٢٤١ع مجموعة من ستة عشر كتابا لمؤلفين فلسطينيين، نُشرت قبل سنة ١٩٤٦. عناوين الكتب الثمانية الأول، بالعربية، هي:

٢٤١ أ «يقظة العرب»، بقلم جورج أنطونيوس، ١٩٣٩؛

٢٤١ب «وجهة النظر الفلسطينية العربية»، بيان اعدته الهيئة العربية العليا، ١٩٤٧؛

٢٤١جـ «الحب والقضاء والأساطير عند البدو»، بقلم عارف العارف، ١٩٣٣؛

٢٤١ د «دليل المعرض الصناعي العربي»، يافا، ١٩٤٥؛

٢٤١ هـ «قرارات مؤتمر نقابات العمال العالمي المنعقد في لندن»، تقرير اعدته جمعية العمال العرب الفلسطينية، ١٩٤٥؛

٢٤١ و «المحاكم القضائية عند بدو فلسطين»، بقلم عمر الصالح البرغوثي، ١٩٢٢؛

٢٤١ ز «فلسطين الحديثة»، بقلم قسطنطين نيودوري، ١٩٣٢؛

٢٤١حـ «التقرير السنوي الخامس عشر لسنة ١٩٤١»، البنك العربي.

The

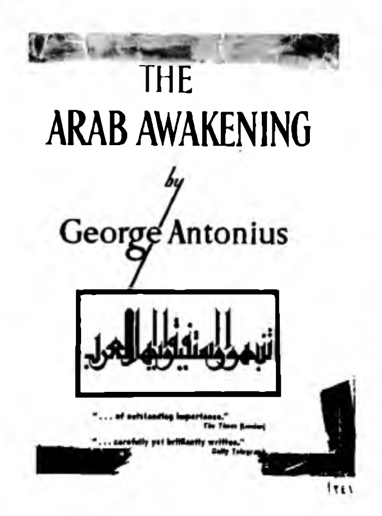
PALESTINE ARAB CASE

A STATEMENT BY

THE ARAB HIGHER COMMITTEE

APRIL 1947

٢٤١ب



٢٤١أ

ARAB
INDUSTRIAL EXHIBITION
JAFFA – PALESTINE

CATALOGUE
APRIL 1945

PUBLISHED BY:
THE PALESTINE UNITED PRESS COMPANY
JAFFA

٦٢٩

BEDOUIN LOVE
LAW AND LEGEND

AREF EL-AREF, O.B.E.,

HAROLD W. TILLEY,

٦٣٠

STUDIES IN PALESTINIAN
CUSTOMS AND FOLKLORE

JUDICIAL COURTS AMONG THE BEDOUIN
OF PALESTINE

JERUSALEM
PUBLISHED BY THE PALESTINE ORIENTAL SOCIETY

٦٣١

REPORT
of
The Palestine Arab Workers Society
on
DECISIONS
of
London World Trade Union
Conference

Haifa, August 1945

٦٣٢

The Arab Bank Ltd.

Head Office: Jerusalem, Palestine.

BRANCHES: Jaffa, Haifa, Nablus, Amman, Irbid, Damascus, Beirut and Cairo.

established 1930



FIFTEENTH ANNUAL REPORT

OF

THE BOARD OF DIRECTORS
BALANCE SHEET

AND

PROFIT & LOSS ACCOUNT

FOR THE YEAR 1944

THE NEW PALESTINE

BY

CONSTANTIN THEODORY

AUTHOR OF

"BETWEEN EGYPT & PALESTINE" "THE FUTURE OF PALESTINE" ETC.



1932

٢٤١ز

٢٤١ح



المقدمة في المسألة الشرقية

منذ نشأتها الأولى إلى الربع الثاني من القرن العشرين

تأليف المرحوم

روحي بك الخالدي

٢٤١ي

علم الكيمياء العملي

تأليف

سليم ... ب.ع

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

٢٤١ط



مطالعات
في اللغة والأدب
من قلم
خليل السكاكيني
سنة
١٩٢٥
مطبعة مدرسة الأيتام الإسلامية – القدس

٢٤١ك



رؤياي
تأليف
عارف العارف
حقوق الطبع والنقل والترجمة محفوظة للمؤلف
مطبعة الآباء الفرنسيسكان في بيت المقدس
١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ م

٢٤١ل

كلمة موجزة
في
سير العلم وسيرنا معه
نظم
إسعاف النشاشيبي

طبعت في مطبعة دار الأيتام السورية في بيت المقدس سنة ١٩١٦

٢٤١م

نقولا زياده

صور أوربية

الناشر
المكتبة العصرية ... بالارجنتين

مطبعة الحضارة – حمص

٢٤١ن



محاضرات

في

القانون التجاري

فرنسيس خياط

القاضي في محكمة الاستئناف العليا بفلسطين

طبع في مطبعة دير الروم بالقدس سنة [illegible]

٢٤١ س

الأوذيسة

نقلها الى العربية

عنبرة سلام الخالدي

عنيت بنشرها

مكتبة بيت المقدس

١٩٤٧

المطبعة العصرية — القدس

٢٤١ ع

القسم الثالث

الثورة الكبرى

١٩٣٦ - ١٩٣٩

مـقــدمــة

بحلول مطلع شهر أيار / مايو ١٩٣٦، كان الفلسطينيون في ثورة عارمة؛ ففي نيسان / ابريل، تألفت في جميع المدن والقرى الفلسطينية الكبرى لجان قومية، قُدّر لها ان تصبح القاعدة التنظيمية للثورة. وقبل انتهاء الشهر، كانت الأحزاب السياسية الفلسطينية الخمسة قد اتحدت لتشكل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني. واشتد الضغط الشعبي على الحاج امين الحسيني للتحرك، فدعا في الثامن من أيار / مايو الى عقد مؤتمر في القدس، مثلت فيه اللجان القومية جميعا. وطالب هذا المؤتمر ــ تحت شعار «لا ضرائب بلا تمثيل» ــ بالعصيان المدني، وتنظيم إضراب عام، احتجاجا على السياسات البريطانية الممالئة للصهيونية.

الطور الأول من الثورة

دامت الثورة ثلاث سنوات، ودخلت وقائعها ثلاثة أطوار. وقد استمر الطور الأول من أيار / مايو ١٩٣٦ الى تموز / يوليو ١٩٣٧، مع بقاء الإضراب العام طوال الأشهر الستة الأولى من هذه الفترة، من أيار / مايو حتى تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٦، ليصبح بذلك أطول إضراب ضد الاستعمار الغربي عرفته حركات التحرير الوطنية في النصف الأول من القرن العشرين. وقد روعي الإضراب العام مراعاة تامة، وأدى الى ايقاف النشاط التجاري والاقتصادي في القطاع الفلسطيني وقفا تاما. كما امتدت الاضطرابات الى الأرياف، حيث حمل القرويون السلاح واشتبكوا مع قوات الأمن والجيش البريطانية، في شكل حرب مقاومة مسلحة علنية.

وسارع البريطانيون الى جلب التعزيزات، ودمروا أجزاء من البلدة القديمة في يافا كإجراء عقابي. وتوافد بعض المتطوعين من الدول العربية لنجدة الثوار الفلسطينيين، لكن الفلسطينيين تحملوا العبء الأكبر من القتال. وعزز البريطانيون عملياتهم العسكرية، وأوفدوا في الوقت نفسه لجنة تحقيق برئاسة اللورد بيل، للتأكد ــ بحسب زعمهم ــ من أسباب الثورة. وبعد هذا، أهاب رؤساء الدول العربية المجاورة باللجنة العربية العليا ان توقف الإضراب العام، وأن تمثل أمام لجنة بيل. وفي ١١ تشرين الأول / أكتوبر، وافقت اللجنة العربية العليا على هذا الطلب. وقد هدأت حدة الثورة قليلا بين تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٦ وكانون الثاني / يناير ١٩٣٧، وهي الفترة التي جابت فيها اللجنة مختلف أنحاء فلسطين. غير ان التوتر تصاعد مرة اخرى الى ان انفجر ثانية في تموز / يوليو ١٩٣٧، في شكل أعمال عنف لم يسبق لها مثيل.

الطور الثاني من الثورة

دام الطور الثاني من الثورة من تموز / يوليو ١٩٣٧ حتى خريف سنة ١٩٣٨. وكان السبب الرئيسي لتصاعد العنف هو نشر تقرير لجنة بيل في تموز / يوليو ١٩٣٧، الذي أعلن بلا مواربة او تردد ان «هناك سببين كامنين وراء الاضطرابات» هما رغبة الفلسطينيين في الاستقلال، و«كراهيتهم لانشاء وطن قومي لليهود، فضلا عن توجسهم خوفا من هذا الأمر.» ومضى التقرير بعد ذلك ليوصي بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة فلسطينية تدمج مع شرق الأردن، مع الاحتفاظ ببعض جيوب تخضع للدولة المنتدبة.

واستشاط الفلسطينيون غضبا نتيجة هذه التوصيات. فهم لم يقبلوا بالوجود الصهيوني في فلسطين أصلا، فما بالك بإعطاء الصهاينة حق السيادة على التراب الفلسطيني ضمن الدولة اليهودية المقترحة؛ فبهذا الحل كان يمكن لمئات القرى الفلسطينية ان تقع في نطاق دولة يهودية، ولمئات الآلاف من الفلسطينيين ان يصبحوا أقلية محكومة فيها. كذلك، كان يمكن لمثل هذا الحل ان يتيح لدولة يهودية الاستحواذ على ٣٣٪ من مجموع مساحة البلاد (ومن ذلك مناطق الجليل ذات الأراضي الخصبة، وكلها مُلْك لفلسطينيين، فضلا عن السهل الساحلي بأسره، من الحدود اللبنانية حتى جنوبي يافا)، في وقت لم تكن الملكيات اليهودية فيه تتجاوز ٥,٦ ٪ من أراضي فلسطين.

وخشي الفلسطينيون مصادرة أراضيهم داخل الدولة اليهودية، من خلال تطبيق الخطوط العامة لسياسة الصندوق

القومي اليهودي. كذلك امتعضوا من فكرة دمج الدولة الفلسطينية المقترحة مع شرق الأردن. بل انهم، فوق ذلك كله، ارتعبوا من توصية اللجنة بإبعادهم قسرا، إذا لزم الأمر، خارج الدولة اليهودية. حتى ان اللجنة نفسها بدا عليها الارتباك عند إيجازها الأفكار الرئيسية في التقرير، حين ذكرت في نفاق انه «بالنظر الى ما يعنيه امكان إيجاد ملجأ في فلسطين لعدة آلاف من اليهود المعذبين، فهل تكون الخسارة المترتبة على التقسيم، مهما يكن عظمها، أكثر مما يتحمله الجود العربي؟»

وردّ البريطانيون على تصاعد المقاومة الفلسطينية بالتصميم على سحقها. وانتهزت بريطانيا فرصة قيام احد الفلسطينيين باغتيال موظف بريطاني كبير في الناصرة في شهر أيلول / سبتمبر ١٩٣٧، فأصدرت أمرها في الحال بحلّ اللجنة العربية العليا واعتقال أعضائها، وشمل قرار الحلّ أيضا جميع الأحزاب والمنظمات السياسية الفلسطينية. واعتقل البريطانيون العشرات من الزعماء الفلسطينيين، ونفوا خمسة من أبرزهم الى جزر سيشيل في المحيط الهادي، وألقوا بآلاف الفلسطينيين في «معسكرات اعتقال» خاصة. وكان من أولئك المعتقلين مهنيون وموظفون ورجال دين وطلبة ومزارعون. واستخدم البريطانيون طائراتهم ودباباتهم ومدفعيتهم الثقيلة ضد الثوار. وأصدرت محاكم عسكرية أحكامها السريعة، ومنها الاعدام شنقا، عند الادانة بتهمة إحراز أسلحة. وفرضت العقوبات الجماعية على المدن والقرى، وذلك بنسف أحياء سكنية بكاملها، وإغلاق الكليات والمدارس، وفرض الغرامات عينا او نقدا، وإسكان الجنود البريطانيين في بيوت المواطنين وعلى نفقتهم.

وفي الوقت نفسه، عزز البريطانيون قدرة اليهود العسكرية. فقد قاموا، بالتعاون مع الهاغاناه، وهي الجيش السري للوكالة اليهودية، بتنظيم وتدريب وتسليح فرقة خاصة تدعى «شرطة المستعمرات اليهودية»، التي بلغ عدد أعضائها - بحلول مطلع سنة ١٩٣٩ - ما يناهز ١٤,٠٠٠ شخص. وفي حزيران / يونيو ١٩٣٨، أنشأ البريطانيون وحدة أنغلو- يهودية أطلق عليها اسم «الوحدات الليلية الخاصة»، للقيام بعمليات الاغتيال والترهيب ضد القرى الفلسطينية. وفي هذا الطور الثاني من الثورة، استخدمت منظمة «ايرغون تسفائي ليئومي» (المنظمة العسكرية القومية)، وهي الفرع العسكري لـ «الحزب الصهيوني الاصلاحي»، تكتيكات جديدة تمثلت في إلقاء القنابل اليدوية وزرع الألغام الموقوتة في الأسواق المزدحمة بروادها، وهي أساليب ارهابية لم يكن المشرق العربي ليعرفها قبلا.

وفي سنة ١٩٣٨ وحدها، قُدّر عدد الفلسطينيين الذين استشهدوا في أثناء الكفاح الوطني برصاص البريطانيين، بما لا يقل عن ألف شخص - وهو تقدير متحفظ - في حين أعدم شنقا ٥٤ فلسطينيا، وسجن ٢٤٦٣. ولم يكن عدد الأهالي الفلسطينيين، في ذلك الوقت، يتجاوز مليون شخص.

وعلى الرغم من كل هذه الاجراءات، استمرت الثورة الفلسطينية بلا هوادة خلال سنة ١٩٣٨، وأصبحت مساحات كبيرة من فلسطين - ومنها البلدة القديمة في القدس - تحت سيطرة الثوار. واجتذبت المقاومة الفلسطينية شعور التأييد والتضامن من الدول العربية المجاورة. وفي أيلول / سبتمبر ١٩٣٧، انعقد مؤتمر عربي شعبي في بلودان بسوريا، وافق على المعارضة الفلسطينية لفكرة التقسيم. كذلك، وافق مؤتمر البرلمانيين العرب في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٨ على المطالب الفلسطينية، مثلما وافق عليها مؤتمر النساء العربيات. وكان المؤتمران قد عقدا في القاهرة.

نهاية الثورة

امتد الطور الثالث من الثورة من خريف سنة ١٩٣٨ حتى صيف سنة ١٩٣٩. وبدا ان البريطانيين كانوا يتحركون، في تلك الفترة، في اتجاهين: ففي مطلع نيسان / ابريل ١٩٣٨، أوفدت بريطانيا لجنة تحقيق أخرى، برئاسة السير جون وودهيد، لدراسة الجوانب الفنية لتنفيذ فكرة التقسيم - كما قيل وقتها. وقد نشرت اللجنة تقريرها في تشرين الثاني / نوفمبر من السنة نفسها، وتوصلت فيه الى ان التقسيم لم يكن عمليا. ومع هذا، دبر البريطانيون هجوما شاملا لسحق الثورة نهائيا. فقد جلبوا تعزيزات هائلة جديدة بعد ان تمت التعبئة الجزئية للقوات البريطانية المسلحة الرئيسية في بريطانيا لهذا الغرض، وسلموا إدارة شؤون فلسطين الى قادة عسكريين. وكانت الاشتباكات التي عقبت ذلك من أشد وأعنف ما حدث. فقد أعدم شنقا ٥٥ فلسطينيا في سنة ١٩٣٩، وقتل خلالها ما لا يقل عن ألف ومئتي فلسطيني في الكفاح ضد البريطانيين، في حين اعتقل أكثر من ضعف عدد معتقلي السنة السابقة (١٩٣٨)، وتم الاستيلاء من الفلسطينيين على عدد من البنادق يزيد خمسة أضعاف ما سبق ضبطه، وذلك في محاولة لنزع سلاح الفلسطينيين وتعريتهم عسكريا تعرية تامة.

ومع نشر تقرير وودهيد، أعلنت الحكومة البريطانية أيضا نيتها في عقد مؤتمر عام في لندن، يحضره زعماء صهاينة

وفلسطينيون، ومندوبون عن الدول العربية المجاورة. على ان بريطانيا كانت من قصر النظر بحيث اعترضت على اشتراك الزعيم الفلسطيني البارز الحاج أمين الحسيني، رئيس اللجنة العربية العليا المحظورة، في هذا المؤتمر. وكان الحاج امين الحسيني ــ في اثر تفاديه الاعتقال في أيلول / سبتمبر ١٩٣٧ ــ يتولى قيادة الثورة من منفاه في لبنان. ودام مؤتمر لندن من ٧ شباط / فبراير الى ٢٧ آذار / مارس ١٩٣٩، لكنه لم يتوصل الى تسوية ترضي الصهاينة والفلسطينيين.

في أيار / مايو، نشرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض جديدا، تعهدت فيه ــ بغض النظر عن اعتراض الفلسطينيين والصهاينة ــ بتنفيذ سياستها المعلنة، التي يمكن ايجازها في النقاط التالية:

- ان تعهدات بريطانيا بإقامة وطن قومي يهودي قد تحققت في معظمها.
- ان الهجرة اليهودية الجماعية بلا حدود الى فلسطين، واستحواذ اليهود على أراض فيها من دون قيد، يتناقضان مع التزامات بريطانيا تجاه الفلسطينيين.
- السماح في غضون السنوات الخمس التالية بهجرة ٧٥,٠٠٠ يهودي آخر الى فلسطين، وبعدها تخضع الهجرة اليهودية لـ «الإذعان العربي».
- لا يسمح بنقل ملكية الأراضي إلا في مناطق معينة، مع تقييدها وتحريمها في مناطق أخرى، بقصد حماية الفلسطينيين من اقتلاعهم من أراضيهم.
- إنشاء دولة واحدة مستقلة بعد مضي عشر سنوات، شرط توفر علاقات مؤاتية بين الفلسطينيين واليهود.

وقد كانت ردة فعل الكثيرين من الفلسطينيين ايجابية تجاه الكتاب الأبيض، لكنهم رفضوه بسبب غموض عبارة «الاذعان العربي» بشأن استمرار الهجرة اليهودية في المستقبل، والطابع المشروط للدولة الواحدة المستقلة الموعودة. أما الصهاينة فقد اتهموا البريطانيين بـ «استرضاء» العرب، ومراعاة مصالحهم الاستراتيجية في المنطقة، بسبب تدهور الوضع الدولي. وكان الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ بمثابة بداية النهاية للوفاق الأنغلوــ صهيوني، الذي كان قد بدأ بوعد بلفور سنة ١٩١٧.

١٩٣٦ ● ١٦ نيسان / ابريل: مقتل فلسطينيين يعيشان قرب مستعمرة بتاح تكفا اليهودية برصاص مهاجين صهاينة.

● ٢٠ ـ ٣٠ نيسان / ابريل: تأليف اللجان القومية في جميع المدن والقرى الكبرى الفلسطينية.

● ٢١ نيسان / ابريل: زعماء الأحزاب السياسية الفلسطينية الخمسة يدعون الى تنظيم إضراب عام.

● ٢٥ نيسان / ابريل: زعماء الأحزاب السياسية الفلسطينية يؤلفون لجنة عربية عليا، ويسندون رئاستها الى الحاج امين الحسيني.

● ٨ أيار / مايو: مؤتمر يضم مندوبين عن جميع اللجان القومية يعقد في القدس، ويدعو الى الأخذ بمبدأ «لا ضرائب بلا تمثيل». بدء الثورة الفلسطينية الكبرى.

● ١١ أيار / مايو: البريطانيون يجلبون التعزيزات العسكرية من مالطة ومصر الى فلسطين.

● ١٨ أيار / مايو: بريطانيا تعين لجنة ملكية للتحقيق في أسباب الثورة.

● حزيران / يونيو: البريطانيون يدمرون أجزاء من البلدة القديمة في يافا كإجراء عقابي.

● ٣٠ حزيران / يونيو: جميع الأعضاء الفلسطينيين في سلك الخدمة المدنية والقضاء يقدمون مذكرة مشتركة للمندوب السامي، يحتجون فيها على السياسة البريطانية الموالية للصهيونية.

● ٢٥ آب / أغسطس: فوزي القاوقجي، القائد العربي اللبناني الأصل، يدخل فلسطين آتيا من العراق على رأس ١٥٠ متطوعا من الدول العربية، لشد ازر الثورة ضد البريطانيين.

● ٣٠ آب / أغسطس: اللجنة العربية العليا تعلن استمرار الإضراب العام، لكنها تعلن استعدادها لقبول التوسط من جانب رؤساء الدول العربية.

● ٢٢ أيلول / سبتمبر: وصول مزيد من التعزيزات البريطانية الى فلسطين، وتنظيم عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد الثورة الفلسطينية.

● ١١ تشرين الأول / أكتوبر: اللجنة العربية العليا تقبل مناشدة ملك المملكة العربية السعودية وملك العراق وأمير شرق الأردن، لوقف الإضراب العام.

● ١١ تشرين الثاني / نوفمبر: اللجنة الملكية، برئاسة اللورد بيل، تصل الى فلسطين.

١٩٣٧ ● ١٨ كانون الثاني / يناير: اللجنة الملكية، برئاسة اللورد بيل، تغادر فلسطين.

● ٧ تموز /يوليو: صدور تقرير اللجنة الملكية، وفيه توصية بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية وأخرى عربية (يتم دمجها مع شرق الأردن)، والإبقاء على بعض جيوب في ظل الانتداب البريطاني، فضلا عن إقرار مبدأ الإبعاد القسري للأهالي الفلسطينيين ـ عند الضرورة ـ عن أراضي الدولة اليهودية.

● ٢٣ تموز / يوليو: اللجنة العربية العليا ترفض اقتراح التقسيم، وتطالب بإنشاء دولة فلسطينية واحدة مستقلة «توفر الحماية لجميع الحقوق المشروعة لليهود وغيرهم من الأقليات، وتضمن المصالح البريطانية المعقولة.» اشتداد لهيب الثورة.

● آب / أغسطس: المؤتمر الصهيوني العالمي في زوريخ يقرر «التحقق من الشروط التفصيلية لانشاء الدولة اليهودية المقترحة.»

● أيلول / سبتمبر: المؤتمر العربي العام، المنعقد في بلودان بسوريا بحضور ٤٥٠ مندوبا من الدول العربية، يرفض اقتراح اللجنة البريطانية بالتقسيم، ويطالب بإنهاء الانتداب، ووقف الهجرة اليهودية الى فلسطين، ومنع نقل ملكية الأراضي العربية الى الصهاينة.

● ٥ أيلول / سبتمبر: أفراد من منظمة «ايرغون تسفائي لئومي» (الإرغون) يلقون قنبلة على حافلة في القدس، فيقتلون فلسطينيا ويصيبون آخر بجروح.

● أول تشرين الأول / أكتوبر: بريطانيا تصدر أمرا بحل اللجنة العربية العليا وجميع التنظيمات السياسية الفلسطينية. ترحيل خمس من كبار الشخصيات الفلسطينية الى جزر سيشيل في المحيط الهندي. الحاج امين الحسيني يهرب الى لبنان.

● ١١ تشرين الثاني / نوفمبر: بريطانيا تنشىء محاكم عسكرية في جميع أنحاء فلسطين، لصد تيار الثورة المتصاعد.

● أفراد من منظمة الإرغون يلقون قنبلة في القدس، فيقتلون فلسطينيا ويصيبون ثلاثة بجروح.

● ١٤ تشرين الثاني / نوفمبر: مقتل ثلاثة فلسطينيين خلال هجوم دبّره أفراد من منظمة الإرغون على إحدى الحافلات في القدس.

١٩٣٨ ● ٤ كانون الثاني / يناير: بريطانيا تقرر إرسال لجنة تحقيق فنية، برئاسة السير جون وودهيد، لدراسة امكان التقسيم، على نحو ما ورد في مقترحات اللجنة الملكية.

● أول آذار / مارس: السير هارولد مكمايكل يخلف الجنرال سير آرثر واكهوب في منصب المندوب السامي.

● ١٧ نيسان / ابريل: أفراد من منظمة الإرغون يلقون قنبلتين على مقهى في حيفا، فيقتلون فلسطينيا ويصيبون ستة آخرين بجروح.

● ٢٧ نيسان / ابريل: لجنة التحقيق الفنية (لجنة التقسيم) تصل الى فلسطين.

● حزيران / يونيو: الضابط البريطاني أورد وينغيت ينظم «الوحدات الليلية الخاصة»، من بريطانيين ومنظمة الهاغاناه، لتنفيذ عمليات ضد القرى الفلسطينية.

● ٤ تموز / يوليو: أفراد من منظمة الإرغون يلقون قنبلة على حافلة في القدس، فيقتلون أربعة فلسطينيين ويصيبون ستة بجروح.

● ٦ تموز / يوليو: مصرع اثني عشر فلسطينيا في حادث لغم فجّره أفراد من منظمة الإرغون في سوق البطيخ بحيفا.

● مصرع ثمانية عشر فلسطينيا ويهوديين في حادث لغم فجّره أفراد من منظمة الإرغون في سوق حيفا.

● ٧ تموز / يوليو: مصرع فلسطيني واصابة خمسة آخرين بجروح في حادث لغم فجّره أفراد من منظمة الإرغون في سوق الخضروات بالقدس.

● ٨ تموز / يوليو: انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في محطة الحافلات بالقدس، مما اسفر عن مقتل ٤ فلسطينيين وإصابة ٢٧ آخرين بجروح.

● ١٥ تموز / يوليو: انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق الخضروات بالقدس (البلدة القديمة)، مما اسفر عن مقتل ١١ فلسطينيا واصابة ٢٨ آخرين بجروح.

● ١٧ تموز / يوليو: العثور على ثلاثة قتلى من الفلسطينيين في تل ابيب، والشرطة تعتقل خمسة من «الاصلاحيين» الصهاينة.

● ٢٥ تموز / يوليو: مصرع ٤٥ فلسطينيا واصابة ٤٥ آخرين بجروح في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق الخضروات بحيفا.

● ٣٠ تموز / يوليو: مصرع يهودي واحد واصابة عشرة في حادث انفجار قنبلة ألقاها فلسطينيون على احدى الحافلات في حيفا.

● ٣ آب / أغسطس: لجنة التقسيم (وودهيد) تغادر فلسطين.

● ٤ آب / أغسطس: انفجار سيارة شحن بالقرب من رامات هاكوفيش، بعد اصطدامها بلغم ارضي زرعه فلسطينيون، مما اسفر عن مقتل ستة من اليهود واصابة ثمانية آخرين بجروح.

● ١٨ آب / أغسطس: مقتل يهودي واحد واصابة اربعة آخرين في حادث انفجار قنبلة ألقاها فلسطينيون على الحدود بين يافا وتل ابيب.

● ٢٦ آب / أغسطس: مصرع ٢٣ فلسطينيا وإصابة ٣٠ آخرين في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق الخضروات بيافا.

● تشرين الأول / أكتوبر: مؤتمر البرلمانيين العرب بخصوص فلسطين، المنعقد في القاهرة، يوافق على المطالب الثلاثة للحركة الوطنية الفلسطينية، على نحو ما أبرزها المؤتمر العربي العام في بلودان بسوريا في أيلول / سبتمبر ١٩٣٧ (أنظر أعلاه).

● المؤتمر النسائي العربي، المنعقد في القاهرة، يوافق على مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية.

● ١٨ تشرين الأول / أكتوبر: القادة العسكريون البريطانيون يتولون مباشرة الشؤون الإدارية في جميع أنحاء فلسطين، بقصد تصعيد الضغط على الثورة الفلسطينية، وجلب تعزيزات عسكرية جديدة من انكلترا.

● ١٩ تشرين الأول / أكتوبر: القوات البريطانية تسترد البلدة القديمة في القدس من يد الثوار الفلسطينيين.

● ٩ تشرين الثاني / نوفمبر: لجنة التقسيم (وودهيد) تنشر تقريرا يفيد بانعدام الأسس العملية لتنفيذ اقتراح اللجنة الملكية بالتقسيم. بريطانيا تدعو الى عقد مؤتمر عام في لندن (مؤتمر المائدة المستديرة) للبحث في موضوع فلسطين، يحضره مندوبون من العرب والفلسطينيين والصهاينة.

● كانون الأول / ديسمبر: الإفراج عن الزعماء الفلسطينيين الذين سبق ان رُحّلوا الى جزر سيشيل، مع حرمانهم من العودة الى فلسطين.

١٩٣٩ ● ٢٠ كانون الثاني / يناير: مصرع يهودي واصابة خمسة آخرين، في حادث انفجار لغم زرعه فلسطينيون في إحدى الورش في حيفا.

● ٧ شباط / فبراير: افتتاح مؤتمر لندن في قصر سانت جيمس.

● ٢٦ شباط / فبراير: مقتل ٢٤ فلسطينيا واصابة ٣٧ آخرين بجروح في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق حيفا.

● مصرع أربعة فلسطينيين واصابة خمسة آخرين بجروح في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق الخضروات بالقدس.

● مصرع يهوديين في حادث انفجار قنبلة ألقاها فلسطينيون على سيارة شحن في حيفا.

● ٢٧ آذار / مارس: انتهاء مؤتمر لندن من دون التوصل الى اتفاق.

● ١٧ أيار / مايو: مالكولم ماكدونالد، وزير المستعمرات البريطانية، يصدر كتابا ابيض لسنة ١٩٣٩ يشرح تصوّر بريطانيا لحل المشكلة الفلسطينية: استقلال مشروط لدولة فلسطينية واحدة بعد مضي عشر سنوات، والسماح لـ ١٥,٠٠٠ مهاجر يهودي بدخول فلسطين كل سنة لمدة ٥ سنوات، وحماية حقوق الفلسطينيين في ارضهم من استحواذ الصهاينة عليها.

● ٢٢ ـ ٢٣ أيار / مايو: مجلس العموم البريطاني يوافق، بأغلبية ٢٦٨ صوتا ضد ١٧٩ صوتا، على الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩.

● ٢ حزيران / يونيو: مصرع ٥ فلسطينيين واصابة ١٩ آخرين في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في احدى محطات الحافلات بالقدس.

● ٣ حزيران / يونيو: مصرع ٩ فلسطينيين واصابة ٤٠ آخرين، في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في القدس.

● ١٩ حزيران / يونيو: مصرع ٩ فلسطينيين واصابة ٢٤ آخرين، في حادث انفجار لغم زرعه أفراد من منظمة الإرغون في سوق حيفا.

● ٢٩ حزيران / يونيو: مصرع ١١ فلسطينيا في ٦ هجمات شنّها أفراد من منظمة الإرغون على حافلات بالقرب من تل ابيب.

● ٣ تموز / يوليو: مصرع فلسطيني واحد واصابة ٣٥ آخرين بجروح، في حادث انفجار قنبلة ألقاها أفراد من منظمة الإرغون داخل احد مقاهي حيفا.

● أول آب / أغسطس: منظمة الإرغون تدعو الى فتح فلسطين بالقوة.

● أول أيلول / سبتمبر: اندلاع شرارة الحرب العالمية الثانية.

● تشرين الأول / أكتوبر: تأسيس عصابة شتيرن، بقيادة أبراهام شتيرن ومشاركة منشقين عن منظمة الإرغون، احتجاجا على سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ ودعوتها الى إقامة تحالف مع دول المحور، لشن الحرب ضد البريطانيين.



٢٤٢

اللجنة العربية العليا

تألفت اللجنة العربية العليا في ٢٥ نيسان / ابريل ١٩٣٦، وقد ضمت ممثلين من جميع الأحزاب الفلسطينية. وكان أول عمل قامت به هو الدعوة الى الإضراب العام والعصيان المدني، على ان يستمرّا حتى يتم ايقاف الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي الى الحيازة اليهودية، وتتألف حكومة وطنية مسؤولة تجاه مجلس تشريعي تمثيلي.

٢٤٢ الصف الأمامي (من اليسار الى اليمين): راغب النشاشيبي، الرئيس السابق لبلدية القدس ورئيس حزب الدفاع (انظر الصور ١٠٠، ١٩٦، ٣٥٢)؛ الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس ورئيس اللجنة العربية العليا؛ أحمد حلمي، رئيس بنك الأمة واحد اعضاء حزب الاستقلال العربي (أنظر الصورتين ١٠٢، ١٠٥)؛ عبد اللطيف صلاح، رئيس الكتلة الوطنية؛ الفرد روك، من افراد الطائفة الكاثوليكية في يافا، كان ينتمي الى الحزب العربي الفلسطيني (أنظر الصور ١٠٠، ٢٠٠، ٢٩١). الصف الثاني (من اليسار الى اليمين): جمال الحسيني، رئيس الحزب العربي الفلسطيني؛ الدكتور حسين الخالدي، رئيس بلدية القدس وأمين سر حزب الاصلاح؛ يعقوب الغصين، رئيس مؤتمر الشباب العربي؛ فؤاد سابا، أحد أعيان الطائفة البروتستانتية وسكرتير اللجنة العربية العليا (أنظر الصور ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٩١، ٣٤٤).



٢٤٣

٢٤٣ سكان قرية ابو غوش، غربي القدس (أنظر الصورة ١١٨)، يؤدون قسم الولاء للجنة العربية العليا، نيسان / ابريل ١٩٣٦.

«لا ضرائب بلا تمثيل»، أيار / مايو ١٩٣٦

٢٤٣أ نموذج للملصقات السياسية التي ظهرت في بداية الإضراب العام.

لا ضرائب بلا تمثيل

الى الامة العربية الباسلة

٢٤٣أ

الانتداب بعد ١٩ سنة

After 19 Years of British Mandate



واكهوب في القدس سنة ١٩٣٦

Wauchope in Jerusalem – 1936



اللنبي في القدس سنة ١٩١٧

Allenby in Jerusalem – 1917

٢٤٣ب



Jemal Pasha to Sir Wauchope

« Many many thanks... The Arabs have now forgotten my tyranny and bless my memory. »

روح جمال باشا تناجي السر واكهوب :-

[illegible]

٢٤٣جـ

بعد ١٩ عاما

٢٤٣ب، ٢٤٣جـ هذه الرسوم الكاريكاتيرية ظهرت في الصحيفة اليومية «فلسطين» التي كانت تصدر في يافا، نيسان / ابريل ١٩٣٦. في الصورة (٢٤٣ب) يقابل الرسام سلوك الجنرال اللنبي عند دخوله القدس سنة ١٩١٧ (أنظر الصورتين ١٥، ١٦) واستقبال الفلسطينيين له حينئذ، بسلوك خلفه المندوب السامي سنة ١٩٣٦ السير آرثر واكهوب. أما في الصورة (٢٤٣جـ)، فيشاهد جمال باشا السفّاح (أنظر الصورة ٨) يشكر واكهوب على جعله الفلسطينيين يترحّمون عليه. تبين هذه الرسوم مدى يأس الفلسطينيين من السياسة البريطانية الصهيونية.



٢٤٤

عمليات التفتيش

٢٤٤ ـ ٢٤٦ أفراد القوات البريطانية بالخوذ الفولاذية يفتشون الفلسطينيين في يافا (٢٤٤) وفي القدس (٢٤٥)، عسى ولعلّ الطرابيش اخفت سلاحا! في الصورة (٢٤٦) كلب بوليسي جُلب من جنوب افريقيا للمساعدة في التفتيش والملاحقة. استعرنا الصورة الأخيرة مع شرحها من مجلة *Illustrated London News*، حزيران / يونيو ١٩٣٦.

٢٤٦



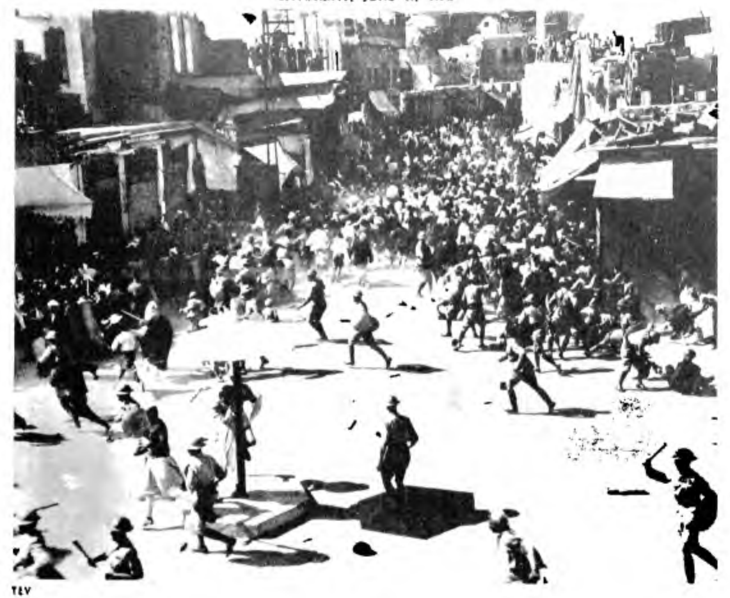
THE POLICE DOG USED IN AN ATTEMPT TO TRACK ONE OF THE ARABS WHO ATTACKED CAPTAIN SIGRIST: ONE OF TWO TRAINED ANIMALS IMPORTED FROM SOUTH AFRICA.



٢٤٥

THE ILLUSTRATED LONDON NEWS

SATURDAY, JUNE 13, 1936.



٢٤٧

التظاهرات

٢٤٧ البوليس البريطاني يتصادم مع المتظاهرين الفلسطينيين. لقد تصدرت أخبار هذا الاشتباك الصفحات الأولى من صحف لندن؛ يافا، الساحة العامة، حزيران / يونيو ١٩٣٦.



٢٤٨

معسكرات الاعتقال

اعتقل الآلاف من الفلسطينيين، من مختلف الطبقات، في معسكرات الاعتقال خلال هذه الفترة. لمعرفة أعداد الفلسطينيين الذين اعتقلوا منذ سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٣٩، أنظر الصورة (٢٨٢).

٢٤٨ معتقلون يمضون الوقت بالمطالعة والكتابة.

٢٤٩ راهب أورثوذكسي معتقل، جنبا الى جنب مع رجال الدين المسلمين. ويجلس متربعا على الأرض ميشيل متري (من الطائفة الأورثوذكسية)، رئيس اتحاد عمال يافا.

٢٥٠ يُرى في أقصى اليسار حنا عصفور، وهو من الطائفة الكاثوليكية. كان يعمل مستشارا قانونيا لجمعية العمال العرب في حيفا (أنظر الصورتين ١٩٤، ٢٧٠). يرتدي المعتقلون الزي التقليدي تحديا لسلطات الانتداب.



٢٥٠

٢٤٩



MEMORANDUM

SUBMITTED BY

ARAB SENIOR GOVERNMENT OFFICIALS

ON JUNE 30TH, 1936,

TO HIS EXCELLENCY
THE HIGH COMMISSIONER FOR PALESTINE

ON THE PRESENT SITUATION
IN THE COUNTRY.

١٢٥٠

كبار الموظفين المدنيين يؤيدون الثورة

١٢٥٠أ ـ ١٢٥٠ز «السلطة تعني العدالة للجميع، وعندما تغيب العدالة...». وقّع جميع كبار الموظفين الفلسطينيين الحكوميين، بلا استثناء، عريضة قدموها في ٣٠ حزيران / يونيو ١٩٣٦ الى المندوب السامي البريطاني. وقد أيدت العريضة المطالب الوطنية الفلسطينية كما صاغتها اللجنة العربية العليا (أنظر الصورة ٢٤٢). وتبيّن قائمة الموقّعين ومناصبهم، في مختلف دوائر الحكومة الادارية والفنية، الكفاءات الفلسطينية المتوفرة في منتصف الثلاثينات. كذلك تبيّن مدى تبلور الحركة الوطنية الفلسطينية في ذلك الوقت.

the Colonies. In view, however, of the seriousness of the situation and the difficult position in which we find ourselves, we would request Your Excellency to cable the substance of this memorandum to the Secretary of State and favour us with a reply at your [illegible]

We have the honour to be,

Your Excellency's Obedient Servants,

SIGNATORIES:-

JUDICIAL DEPARTMENT.

1. Mustafa Bey El Khalidi C.B.E. Puisne Judge, Supreme Court, Jerusalem.
2. Fuad Khayat — Puisne Judge, Supreme Court, Jerusalem.
3. Majid Bey Abdul Hadi—Puisne Judge, Supreme Court, Jerusalem.
4. Abdul Aziz Shaker El Daudi—Judge, District Court, Jaffa.
5. Issa Nasser — Judge, District Court, Haifa.
6. Ali Hasna — Judge, District Court, Jerusalem.
7. Mohammed Yusef El Khalidi — Judge, District Court, Nablus.
8. Mohammed Said Bey Tuqan — Judge, District Court, Nablus.
9. Mohammed Ramadan — Senior Magistrate, Jerusalem.
10. Antone Atalla — Senior Magistrate, Jerusalem.
11. Rafiq Abu Ghoshah — Senior Magistrate, Haifa.
12. Sheikh Omar Saleh — Magistrate, Hebron.
13. Taher Alghoul — Magistrate, Hebron and Beersheba.
14. Sheikh Ismail Kamal — Magistrate, Tulkarm.
15. Nafeh Munib Bey Tuqan — Magistrate, Jenin.
16. Musa Nasser — Magistrate, Jaffa.
17. Sheikh Mohiddin El-Mallah — Magistrate, Nablus.
18. Amin Nur — Magistrate, Bethlehem and Ramallah.
19. Jamil Habibi — Magistrate, Haifa.
20. Iskander George Khoury — Magistrate, Jerusalem.
21. Jamal ed-Din Dabbagh — Magistrate, Majdal.
22. Khalil Shihadeh — Magistrate, Jaffa.
23. Zaki Tamimi — Magistrate, Haifa.
24. Ali Zein el-Abidin — Magistrate, Jerusalem.
25. Aziz Jerjura — Magistrate, Safad, Tiberias and Khalsa.
26. Saleh Abdul Ghani — Magistrate, Gaza.
27. Hussein Husseini — Magistrate, Jerusalem.

28. Sam'an Daoud — Magistrate, Acre.
29. Elias Khoury — Magistrate, Nazareth and Beisan.

CHIEF SECRETARY'S OFFICE.

30. Ruhi Bey Abdul Hadi O.B.E. — Assistant Secretary, Jerusalem.
31. I. F. Kazbari — Acting Chief Interpreter (Arabic), Jerusalem.

LEGAL DEPARTMENT.

32. Musa El Alami O.B.E. — Acting Solicitor General, Jerusalem.
33. Fuad Ghussein — Acting Government Advocate, Jerusalem.
34. Omar Wa'ari — Junior Government Advocate, Jerusalem.

PERSONAL STAFF.

35. Ibrahim Hadawy — Private Secretary, Jerusalem.

TREASURY.

36. M. F. Abcarius, O.B.E. — Senior Assistant Treasurer, Jerusalem.
37. J. Gress — Senior Assistant Treasurer, Jerusalem.
38. A. K. Saba — Assistant Treasurer, Jerusalem.
39. S. Jeasy — Assistant Treasurer, Jerusalem.
40. Rajai Husseini — Assistant Treasurer, Jerusalem.

DISTRICT ADMINISTRATION.

41. Nimshi Bey Beydas, M.B.E. — Administrative Officer, Jerusalem.
42. M. Nasir — Administrative Officer, [illegible]
43. Rafiq Bey Beydas, M.B.E. — Administrative Officer, Haifa.
44. Abdul Razzak Kleibo, M.B.E. — Administrative Officer, Gaza.
45. A. J. Mansour — Administrative Officer, Jerusalem.
46. N. Saba — Administrative Officer, [illegible]
47. D. Faraddy — Administrative Officer, Ramallah.
48. A. Kardus, M.B.E. — Administrative Officer, Hebron.
49. W. Bourashi, M.B.E. — Administrative Officer, Acre.
50. W. Issawi — Administrative Officer, Nazareth.
51. B. Nasir, M.B.E. — Administrative Officer, Gaza.
52. Aref Al-Aref, M.B.E. — Administrative Officer, Beersheba.
53. H. Husseini, M.B.E. — Administrative Officer, Tulkarm.
54. H. Boulos — Administrative Officer, Tiberias.
55. T. Yasdi — Administrative Officer, Nablus.
56. J. A. R. Tuqan — Administrative Officer, Ramle.
57. A. Nashashibi, — Administrative Officer, Jaffa.

58. N. Khoury — Administrative Officer, Jerusalem.
59. I. Shawa — Administrative Officer, Jenin.
60. K. Khoury — Administrative Officer, Jerusalem.
61. F. Sa'ad — Administrative Officer, Nazareth.
62. A. Khayr — Administrative Officer, Beisan.
63. R. Shawa — Administrative Officer, Haifa.

HEALTH DEPARTMENT.

64. D. Boulos, M.B.E. — Assistant Senior Medical Officer, Jerusalem.
65. Z. Haddad, M.B.E. — Assistant Senior Medical Officer, Jaffa.
66. M.K. Mahshey — Medical Officer, Jaffa.
67. J. Tachtoch — Medical Officer, Nazareth.
68. F. K. Abla — Medical Officer, Jerusalem.
69. A. Abdul Al, O.B.E. Medical Officer, Hebron.
70. K. Eid — Medical Officer, Nablus.
71. Farid Haddad — Inspector of Pharmacies, Jerusalem.
72. F. I. Haddad — Medical Officer, Haifa.
73. Y. Hajjar, M.B.E. — Medical Officer, Jerusalem.
74. I. Hawari — Medical Officer, Ramallah.
75. H. S. Khalidi — Medical Officer, Jaffa.
76. Taher El Khatib — Medical Officer, Jenin.
77. A. A. Shihadeh — Medical Officer, Acre.
78. F. Shahwish — Medical Officer, Jaffa.
79. E. Salhaneh — Medical Officer, Safad.
80. K. M. Abu Ghazaleh — Medical Officer, Gaza.
81. Nail A. Hamzeh — Medical Officer, Haifa.
82. M. A. Shukair — Medical Officer, Jerusalem.
83. A. I. Haddad — Medical Officer, Ramle.
84. A. M. Shihadeh — Medical Officer, Jerusalem.
85. I. Iasyim — Medical Officer, Gaza.
86. S. Saleem, O.B.E. — Medical Officer, Beersheba.
87. W. Iasyim — Assistant Analyst, Jerusalem.
88. S. Shihab — Medical Officer, Hebron.
89. M. S. Dabbagh — [illegible]
90. A.K. Khorshid — Medical Officer, Tulkarm.
91. A.A. Samri — Medical Officer, Nablus.
92. S. Bishara — Medical Officer, Nablus.
93. S.N. Barakat — Medical Officer, Tiberias.
94. I. Ali Ahmad Din — Medical Officer, Jerusalem.
95. Rafat Amin Faris — Medical Officer, Jerusalem.
96. A. Bishara — Medical Officer, Jerusalem.

97. Said Dajani — Medical Officer, Haifa.
98. S. M. Kalbouni — Medical Officer, Jerusalem.

DEPARTMENT OF CUSTOMS, EXCISE & TRADE.

99. F.A. Mansour — Surveyor, Jerusalem.
100. R. Cassel — Surveyor, Haifa.
101. J. Ayoub — Surveyor, Haifa.

COMMISSIONER FOR LANDS & SURVEYS.

A. LAND REGISTRATION.

102. Said 'Ala ed Din — Land Officer, Jerusalem.
103. Y.J. Anllah — Land Officer, Jerusalem.
104. A. Nashesh — Land Officer, Jerusalem.

B. LANDS & SURVEYS.

105. T. Khalidi — Assistant Settlement Officer, Field.
106. A. [illegible] — Assistant Settlement Officer, Tulkarm.
107. Rasem Es-Said — Assistant Settlement Officer, Jaffa.

PALESTINE RAILWAYS.

108. N.G. Tleihani — Assistant District Traffic Superintendent, Haifa.

OFFICE OF THE REGISTRAR OF CO-OPERATIVE SOCIETIES.

109. R. [illegible] — Inspector, Jerusalem.

DEPARTMENT OF ANTIQUITIES.

110. N. Makhouly — Inspector, Acre.
111. D.C. Baramki — Inspector, Jerusalem.
112. J. Baramki — Assistant Keeper, Jerusalem.
113. S.A.S. Husseini — Inspector, Jerusalem.

BROADCASTING STATION.

114. Ibrahim Tuqan — Sub-Director, Arabic Programmes, Jerusalem.

DEPARTMENT OF AGRICULTURE & FORESTS.

115. Ahmad Khairy — Veterinary Officer, Tiberias.
116. F. Taha — Agricultural Lecturer, Tulkarm.

EDUCATION DEPARTMENT.

117. Ahmad Samih al Khalidi, M.B.E.—Principal, Government Arab College, Jerusalem.
118. Ismail Kazal, M.B.E.—Senior Inspector Arab Schools, Jerusalem.
119. Habib Khury, M.B.E.—Vice Principal Government Arab College, Jerusalem.
120. Sheikh Husameddin Jarallah, M.B.E. Headquarters Inspector.
121. Sherif Shah District Inspector, Jerusalem.
122. Ismail Zamairi— District Inspector, Haifa.
123. Mahmud M. Hammuda—Headquarters Inspector, Jerusalem.
124. Muhiddin Dabbagh District Inspector, Haifa.
125. Ahmad Khalifa—District Inspector, Tulkarm.
126. Khalil Sakakini Assistant Inspector, Jerusalem.
127. Wasfi Anabtawi- Lecturer, Government Arab College, Jerusalem.
128. Sherif Nashashibi—Headmaster, Acre.
129. George Khamis Lecturer, Government Arab College, Jerusalem.
130. Sabri Kamal Lecturer Government Arab College, Jerusalem.
131. Aziz Shihadeh—Headmaster, Haifa.
132. Mohammad Haj Mir—Headmaster, Jerusalem.
133. Ishaq Abu al-Hamid—Lecturer, Jerusalem.

PUBLIC WORKS DEPARTMENT.

134. A. Toukan—Assistant Engineer, Jerusalem.

DEPARTMENT OF MIGRATION.

135. N. Nashashibi Inspector of Migration, Jerusalem.

OFFICE OF STATISTICS.

136. F.S. Khoury—Junior Statistician, Jerusalem.
137. S.W. Dajani Junior Statistician, Jerusalem.

N.B. The following officials, who at time of signing were absent, have recorded their solidarity in confirming the contents of the Memorandum:-

JUDICIAL DEPARTMENT.

1. Salim Shehadeh George—Senior Magistrate, Jaffa.

DISTRICT ADMINISTRATION.

2. N. Anabtawi District Officer, Jaffa.

LANDS AND SURVEYS.

3. Misri Hasan — Land Officer, Jerusalem.
4. T. Nur — Assistant Settlement Officer, Field.
5. J. K. Awad — Assistant Settlement Officer, Field.

EDUCATION DEPARTMENT.

6. Afif 'Asi — District Inspector, Nablus.
7. Rafiq Tamimi — Headmaster, Jaffa.
8. Nuruddin Abbasi — Assistant District Inspector, Nablus.
9. Abaddin Halawa — Headmaster, Tulkarm.

DEPARTMENT OF AGRICULTURE AND FORESTS.

10. Abdel Fattah Sabawi — Veterinary Officer, Gaza.
11. Mohammad Sidky — Veterinary Officer, Nablus.
12. Jamal Hasan Hamad — Agriculture Officer, Jerusalem.
13. R. Q. Khuwan — Science Master, Tulkarm.

BROADCASTING STATION.

14. Yahia Lababidi Sub-Director, Arabic Music, Jerusalem.



٢٥١



٢٥٢

بعد ان طفح الكيل!

٢٥١ أهل القرى يرحبون بظهور الثوار المسلحين، صيف سنة ١٩٣٦.

نسف القطارات

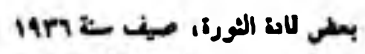
٢٥٢ قطار قام الثوار بنسفه في صيف سنة ١٩٣٦.



٢٥٣







بعض قادة الثورة، صيف سنة ١٩٣٦

٢٥٣ عبد القادر الحسيني (في الوسط) مع زميلين له. تخرج عبد القادر من الجامعة الأميركية في القاهرة (تخصص كيمياء). والده كان موسى كاظم باشا الحسيني (أنظر الصور ٧٨، ٨٤ ـ ٨٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١١، ١١٢). قاتل عبد القادر وصحبه في منطقتي القدس والخليل، وجرح خلال الثورة، وتولى فيما بعد قيادة قوات الجهاد المقدس في المنطقتين نفسيهما خلال حرب ١٩٤٨ (أنظر الصور ٣٩٦، ٤٠٩ ـ ٤١١).

٢٥٤ الثاني من اليمين عبد الحليم الجولاني، قائد الثوار في منطقة الخليل. الراية المرفوعة هي علم فلسطين.

٢٥٥ حمد زواتا، من قادة الثوار في منطقة نابلس.



٢٥٥



٢٥٦

فلسطين والنفط

٢٥٦ الثوار ينسفون خط أنابيب النفط الممتد من العراق الى حيفا، صيف سنة ١٩٣٦. كانت هذه العملية من أولى العمليات التي تدل على تأثير القضية الفلسطينية في تدفق النفط الى الغرب. يُرى في الأمام عضوان في شرطة المستعمرات اليهودية، التي قام البريطانيون بتنظيمها وتسليحها لمحاربة الفلسطينيين. استمرت هذه الشرطة قائمة حتى نهاية الانتداب (أنظر الصورتين ٢٧٩، ٢٨٠).

معاقبة يافا، حزيران / يونيو ١٩٣٦

قام الجيش البريطاني بنسف أجزاء كبيرة من البلدة القديمة في يافا، بحجة «إعادة تخطيطها»، وذلك كتدبير «تأديبي» الفلسطينيين. ولقد وقف قاضي القضاة البريطاني، مايكل مكدونل (Michael McDonnell) موقفا نبيلا من هذا الحادث، اذ استنكر محاولة الحكومة ذرّ الرماد في العيون بالادّعاء ان دوافعها كانت «تجميلية اوشبه خيرية». ولم تلبث الحكومة البريطانية ان أقالت القاضي الشريف من منصبه في فلسطين. (أنظر الصورة ٢٨٣)

٢٥٧ البريطانيون يحاصرون البلدة القديمة في يافا قبل أن تبدا عمليات الهدم.

٢٥٨ ــ ٢٦١ مشاهد الدمار.

٢٥٧





٢٥٨



٢٥٩



٢٦١



٢٦٠



٢٦٢ لكنهم أنقذوا قطا ميتا.

متطوعون من دول عربية

٢٦٣ في ٢٥ آب / أغسطس ١٩٣٦، تمكن فوزي القاوقجي (الثالث من اليمين) من التسلل الى فلسطين، على رأس ١٥٠ متطوعا من دول عربية مجاورة. كان فوزي، وهو مناضل من أصل لبناني، قد حارب الغزو الفرنسي لسوريا سنة ١٩٢٠، وبعد ذلك ساهم في تنظيم المقاومة ضد سلطات الانتداب الفرنسي هناك. نفاه الفرنسيون من سوريا، فعمل مستشارا عسكريا للمملكة العربية السعودية قبل ذهابه الى العراق، حيث تولى منصب محاضر في الكلية العسكرية في بغداد. وكانت بغداد نقطة تحركه الى فلسطين. ويعتبر اشتراكه في ثورة فلسطين أول تدخل عربي عسكري غير رسمي لنصرة الفلسطينيين. تولى فوزي، فيما بعد، قيادة وحدات «جيش الانقاذ» غير النظامية خلال حرب ١٩٤٨.



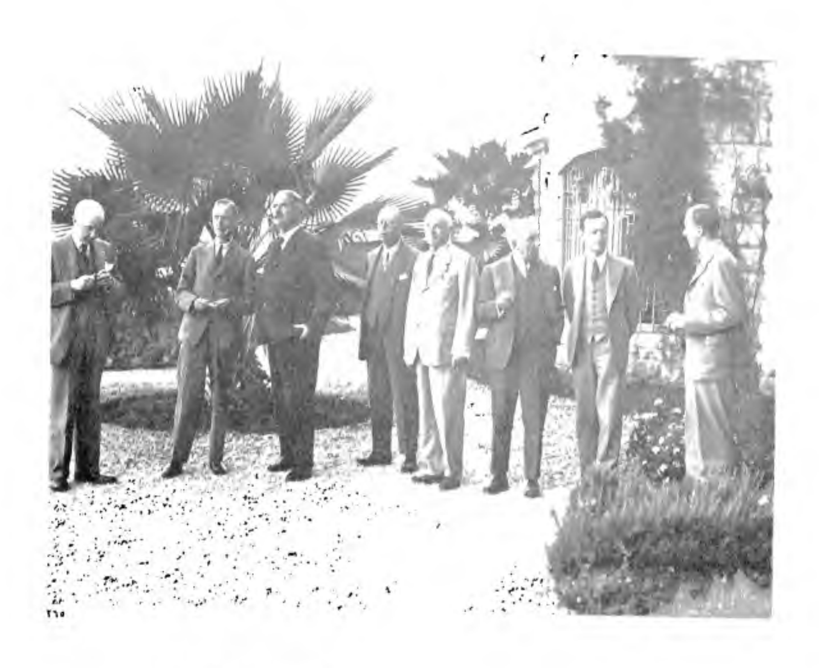
٢٦٣

٢٦٤ نظم القاوقجي الثوار الفلسطينيين في المناطق الوسطى من فلسطين، وقادهم في معارك عنيفة مع القوات البريطانية، التي استخدمت الطائرات والدبابات والمدفعية الثقيلة. هنا يؤدي التحية لطابور من الثوار، نحو أيلول / سبتمبر ١٩٣٦. غادر القاوقجي ورفاقه البلاد بعد اعلان اللجنة العربية العليا تعليق الإضراب الكبير كخطوة موقتة (أنظر الصورة ٢٤٢)، نزولا عند رغبة رؤساء الدول العربية الذين استندوا في طلبهم هذا الى وعد بريطاني بإرسال لجنة تحقيق أخرى لتقصي الحقائق ومعرفة الأسباب المؤدية الى الثورة.

منذ نيسان / ابريل ١٩٣٦، استشهد «أكثر من ألف فلسطيني، توفي معظمهم في صدامات مع أفراد الجيش والبوليس البريطانيين»، بحسب الاحصاءات الرسمية البريطانية.(١) لاحظ عبارة: «أكثر من ألف...».

٢٦٤





لجنة بيل (Peel) للتحقيق واقتراح التقسيم

٢٦٥ أعضاء اللجنة الملكية عند وصولهم الى فلسطين، في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٦، التحقيق في أسباب الثورة. يقف اللورد بيل، رئيس اللجنة، الثالث من اليسار. نُشر تقرير اللجنة في تموز / يوليو ١٩٣٧، وقد ذكر فيه ان الأسباب التي ادت الى الثورة تكمن في رغبة الفلسطينيين في تحقيق الاستقلال الوطني، وفي تخاوفهم من اقامة وطن قومي لليهود؛ ومع ذلك اوصت اللجنة بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية، ودولة فلسطينية يتم دمجها مع شرق الأردن، مع بقاء مناطق معينة من البلاد (القدس، والنقب، وغيرهما) في ظل الانتداب البريطاني. وحصل اليهود ـ بموجب هذا المشروع ـ على ٣٣ ٪ من أراضي فلسطين، في الوقت الذي لم يكن في حيازتهم أكثر من ٥,٥ ٪ منها فقط. وقد أضافت لجنة التحقيق توصية بطرد الفلسطينيين من المناطق المخصصة للدولة اليهودية، «عند الاقتضاء».. استقبل الفلسطينيون هذا التقرير بغضب ومرارة شديدين، وما لبثت الثورة المسلحة ان انفجرت بعنف متزايد.



٢٦٦

التعزيزات البريطانية

٢٦٦، ٢٦٧ السيارات المصفحة التابعة لسلاح الج
الملكي (٢٦٦)، وقاعدة للجيش خارج كنيسة المهد في بو
لحم (٢٦٧). في اثر صدور توصية اللجنة الملكية بالتقـ
واندلاع الثورة الفلسطينية ثانية، دفع البريطانيـ
بالتعزيزات العسكرية الى فلسطين.



٢٦٧

٢٦٨



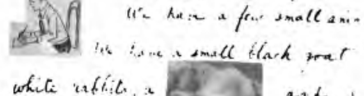
تحطيم البنية السياسية الفلسطينية

٢٦٨ في ١ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٧، تم حل اللجنة العربية العليا (أنظر الصورة ٢٤٢). يُرى جالسا اربعة من اعضائها: الدكتور حسين الخالدي وأحمد حلمي (الأول والثاني من اليسار)، ويعقوب الغصين وفؤاد سابا (الصف الخلفي). وقد تم نفيهم الى جزر سيشيل في المحيط الهندي، حيث التقطت لهم هذه الصورة في ١٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٨. أما رئيس اللجنة الحاج امين الحسيني، ومجموعة من صحبه، فقد أفلتوا من الاعتقال ولجأوا الى البلاد العربية المجاورة. ومن الذين نفوا الى سيشيل رشيد الحاج ابراهيم من حيفا (جالسا، الأول من اليمين)، عضو حزب الاستقلال (أنظر الصورة ١٠٥). ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذتها السلطات البريطانية حل جميع الأحزاب السياسية وشبه السياسية، والقبض على زعمائها (أنظر الصور ٢٨٩ ــ ٢٩١).

٢٦٩ رسالة بعث بها فؤاد سابا (أنظر الصورة ٣٤٤) الى أولاده في القدس.



We have a few small ani



We have a small black goat

white rabbit

little

for papa's return home

٢٦٩

الأحكام العرفية

٢٧٠ في ١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٧، تم انشاء محاكم عسكرية لمحاكمة المتهمين بحمل الأسلحة وغيرها من المخالفات التي أصبحت عقوبتها الاعدام. وفي الفترة الواقعة بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٣٩، اعدم البريطانيون شنقا ١١٢ فلسطينيا بموجب التشريعات الجديدة. الشخص الذي يرتدي لباس المحكمة ــ في الصورة السفلى من اليمين ــ هو حنا عصفور، المحامي الفلسطيني الذي كان قد اعتقل هو أيضا (أنظر الصورتين ١٩٤، ٢٥٠).

٢٧٠

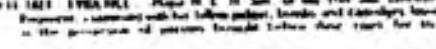
BRITISH MILITARY COURTS AT WORK IN PALESTINE

Army Officers Who Can Impose the Death Sentence On Those Taking Part in the Campaign of Terrorism















٢٧١

مشاهد من تصاعد الثورة، ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩

٢٧١ الثوار في عرض.

٢٧٢ عرض آخر للثوار. لاحظ المدفع الرشاش الخفيف (لويس)، الوحيد على الأرض.

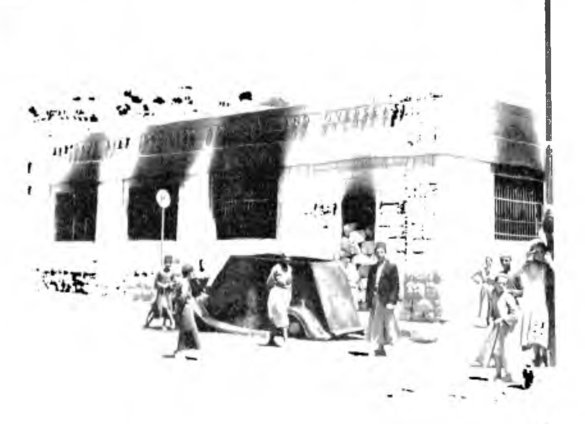


٢٧١

٢٧٣

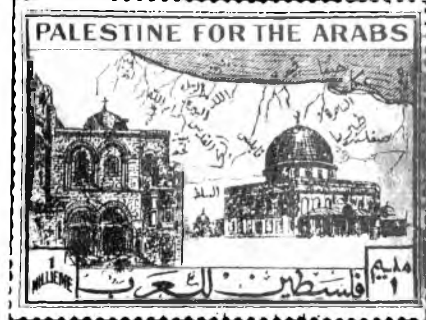


٢٧٤





٢٧٥



٢٧٦

٢٧٣ نسف قطارات اخرى.

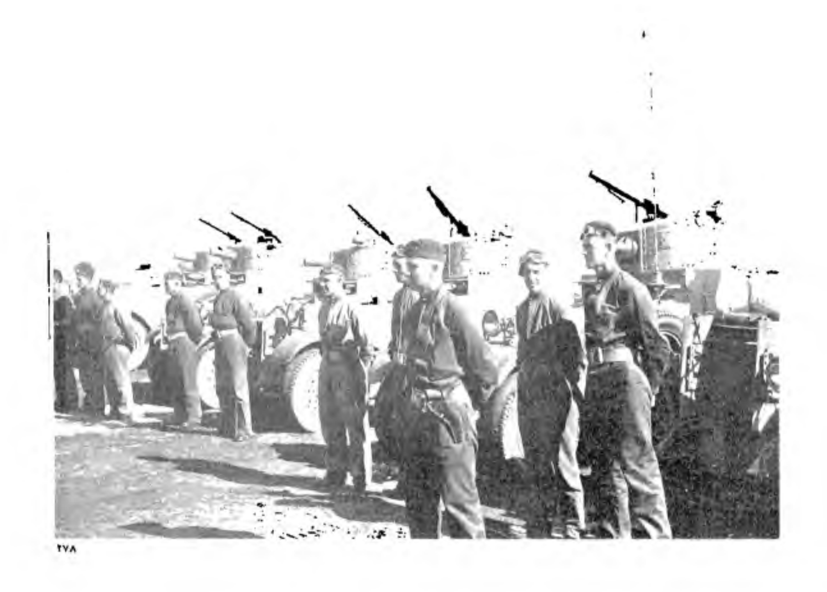
٢٧٤ سيارة مصفحة بريطانية وفرع لبنك باركليس البريطاني، بعد تعرضها للهجوم.

٢٧٥ عبد الرحيم الحاج محمد (في وسط الصف الأمامي)، من ابرز قادة الثوار وألمعهم. استشهد في احدى المعارك ضد الجيش البريطاني بتاريخ ٢٨ آذار / مارس ١٩٣٨.

٢٧٦ اصدر الثوار هذا الطابع سنة ١٩٣٨، وتظهر فيه كنيسة القيامة وقبة الصخرة المشرفة.



٢٧٧ جمع التبرعات لإعانة عائلات الشهداء، عند باب الخليل في القدس. لاحظ فندق «فاست» الى اليسار.


٢٧٨

مزيد من التعزيزات البريطانية

٢٧٨ تعزيزات بريطانية مكثفة أرسلت لمحاربة الفلسطينيين في ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩. تولى بعض كبار الضباط البريطانيين الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية مراكز قيادية في فلسطين آنذاك، ومنهم: الجنرال ديل (Dill)، والجنرال ويفل (Wavell)، والجنرال مونتغومري (Montgomery) الذي هزم رومل فيما بعد في معركة العلمين، والقائد الطيار هاريس (Harris) الذي وضع خطط الغارات الجوية الكبرى لتحطيم الاقتصاد الألماني خلال الحرب العالمية الثانية.

تسليح طرف وتجريد طرف آخر من السلاح

٢٧٩ التدريب على اطلاق النار تحت الاشراف البريطاني في المستعمرة اليهودية عين عيف، في أيلول / سبتمبر ١٩٣٨.
قامت السلطات البريطانية، بصورة منظمة، بتجريد السكان الفلسطينيين من السلاح في الوقت الذي قامت فيه ببناء القوة العسكرية اليهودية وتنميتها. في بداية سنة ١٩٣٩، بلغ عدد قوات شرطة المستعمرات اليهودية (أنظر الصورة ٢٥٦)، بقيادة البريطانيين، ١٤,٠٠٠ شخص.[٢] في الفترة ما بين ١ أيلول / سبتمبر ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٥، بلغ عدد البنادق التي صودرت من اليهود ١٣٥ بندقية، في مقابل ٧٦١٧ بندقية صودرت من الفلسطينيين.[٣] (في سنة ١٩٤٥، كان اليهود في فلسطين يشكلون نصف سكان البلاد تقريبا).

٢٨٠ قام البريطانيون، في ١٩٣٨ – ١٩٣٩، بتشكيل «الوحدات الليلية الخاصة» من الجنود البريطانيين و«شرطة المستعمرات اليهودية»، لمهاجمة القرى الفلسطينية المجهلة عن مناطق القتال. في هذه الصورة، نرى احدى هذه الوحدات بقيادة الضابط البريطاني السفاح الشاذ، أورد وينغيت (Orde Wingate)، الذي قام بتأسيس هذه الوحدات الليلية. وقد جرّب ونمّت أساليب هذه الفرق الوحشية ضد الفلسطينيين قبل استخدامها في الحرب العالمية الثانية ضد الايطاليين في الحبشة، وضد اليابانيين في بورما. وعلى حد قول موشيه دايان، «ان كل قائد في الجيش الاسرائيلي الى يومنا هذا هو تلميذ من تلاميذ وينغيت.»[٤]


٢٧٩

٢٨٠



مزيد من القمع

٢٨١ قوات البوليس والجيش البريطانيين تقوم بتفتيش الفلسطينيين في البلدة القديمة بالقدس، نحو سنة ١٩٣٦.



٢٨١



٢٨٢

٢٨٢ الاعتقالات الجماعية خارج باب الساهرة، القدس، أيلول / سبتمبر ١٩٣٨. اوقف البريطانيون ٨١٦ فلسطينيا في معسكرات الاعتقال سنة ١٩٣٧، و٢٤٦٣ سنة ١٩٣٨. واعتقلوا ٥٦٧٩ سنة ١٩٣٩.(*) وبما ان مجموع السكان الفلسطينيين حينئذ بلغ المليون تقريبا، فان عدد المعتقلين سنة ١٩٣٩ يعادل اعتقال ١,٢٨٣,٤٥٤ أميركيا، اذ يبلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو ٢٢٦ مليونا.

٢٨٣ كان «عقاب» السلطات البريطانية المفضل نسف بيوت «المشتبه فيهم» وحتى بيوت أقاربهم. هنا أنقاض بيت «مشتبه فيه»، جنين، أيلول/ سبتمبر ١٩٣٨. (أنظر الصور ٢٥٧ ـ ٢٦٢)

٢٨٤ واجراء «عقابي» مفضل آخر، هو تضييق الخناق على المؤسسات التعليمية الفلسطينية، واحتلالها من قبل القوات البريطانية. في هذه الصورة نرى القوات البريطانية وقد أقامت معسكرا لها داخل الكلية العربية بالقدس، في صيف سنة ١٩٣٨ (أنظر الصور ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٠). قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٦٧ باتباع هذه الأساليب (نسف المنازل، والتضييق على المؤسسات التعليمية) بحجة ان القوات البريطانية سبقتها الى ذلك.



٢٨٣



٢٨٤

بريطانيا تعيد غزو فلسطين، ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩

خلال هذه الفترة، وقعت مناطق شاسعة من فلسطين تحت سيطرة الثوار، مما دفع البريطانيين الى غزو هذه المناطق مرة اخرى لاستعادتها من الفلسطينيين، تماما كما فعلوا في الحرب العالمية الأولى عندما اغتصبوا البلاد بأسرها من العثمانيين.

بلدة القدس القديمة، التي كانت خاضعة لسيطرة الثوار، استعادها البريطانيون من الفلسطينيين في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٨.

٢٨٥ أفراد من القوات البريطانية عند بدء الهجوم لاستعادة البلدة القديمة.

٢٨٦، ٢٨٧ البلدة القديمة من الداخل، بعد استعادتها من أيدي الثوار الفلسطينيين.

٢٨٨ الجنود البريطانيون، بعد إحكام سيطرتهم على البلدة القديمة، يسمحون لسكانها بالحصول على الماء.



٢٨٥

٢٨٦





٢٨٧ ـ



٢٨٨

من القمع الى المفاوضات

بنهاية سنة ١٩٣٩ تمكن الجيش البريطاني من إخماد الثورة بعد ثلاثة أعوام من القتال. ويقدر عدد الضحايا الفلسطينيين في هذه الفترة -بتحفظ شديد- بخمسة آلاف قتيل، و ١٤ الف جريح. وتعادل هذه الأرقام نحو ١,١٠٠,٠٠٠ قتيل أميركي، و٣,٠٠٠,٠٠٠ جريح (أنظر الصورة ٢٨٢ لمرتلة عدد المعتقلين الفلسطينيين)، وهي أضعاف ما خسره الأميركيون في الحرب العالمية الثانية.

٢٨٩ في كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٨، أفرجت بريطانيا عن الزعماء الفلسطينيين المنفيين في سيشيل (أنظر الصورتين ٢٦٨، ٢٦٩)، مع أنها لم تسمح لهم بالعودة الى فلسطين. هنا نراهم في حفل أقيم تكريما لهم في القاهرة، بعد الافراج عنهم. الأول بين الجالسين من اليسار هو عبدالحميد شومان، مؤسس البنك العربي (أنظر الصورة ٩٢).

٢٩٠ نظرا الى اشتداد المقاومة الفلسطينية، وحرصا على مصالحها في الشرق الأوسط عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر بلندن في شباط / فبراير ١٩٣٩، لمناقشة قضية فلسطين، دعي اليه مندوبون عرب ويهود. وضمت الوفود العربية ممثلين عن فلسطين، ومصر، واليمن، والسعودية، والعراق، وشرق الأردن. عارض البريطانيون حضور الحاج أمين الحسيني (أنظر الصور ٨٢، ٨٨، ١٠٠، ٢٠٢، ٢٤٢). تبين الصورة اجتماعا في السفارة المصرية بلندن، حضره المندوبون العرب الى المؤتمر. يجلس في الصف الأمامي، الثالث والرابع من اليمين، الأمير فيصل (فيما بعد الملك فيصل) والأمير خالد (فيما بعد الملك خالد). الى يسار الأمير فيصل علي ماهر باشا، السياسي المصري. أول الجالسين من اليسار الشيخ حافظ وهبة، سفير السعودية بلندن، ثم الدبلوماسي المصري عبدالرحمن عزام.



٢٨٩

٢٩٠

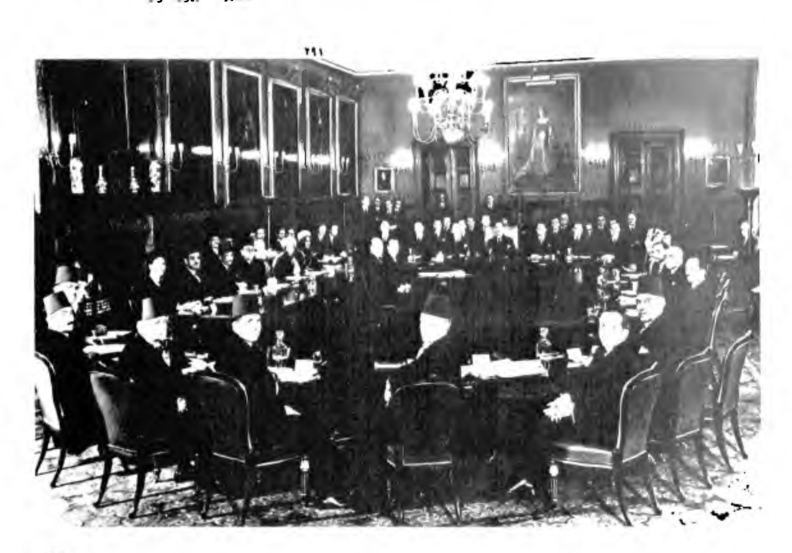


مؤتمر لندن وصدور الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩

٢٩١ مؤتمر لندن، قصر سانت جيمس، شباط / فبراير ١٩٣٩: اجتماع عقد بين الوفود البريطانية والعربية. أعضاء الوفد الفلسطيني يجلسون في المقدمة، من اليسار الى اليمين: فؤاد سابا (أنظر الصور ٢٤٢، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٤٤)، يعقوب الغصين (أنظر الصورتين ٢٤٢، ٢٦٨)، موسى العلمي (أنظر الصورتين ٦٧، ٣٤٣)، أمين التميمي، جمال الحسيني (أنظر الصورة ٢٤٢)، عوني عبد الهادي (أنظر الصورتين ١٠٠، ١٩٦)، جورج أنطونيوس (أنظر الصورة ٣٦٤)، ألفرد روك (أنظر الصور ١٠٠، ٢٠٠، ٢٤٢). يحيط بالوفد الفلسطيني الوفود العربية الأخرى، ويجلس مواجها له اعضاء الوفد البريطاني برئاسة السير نيفيل تشامبرلين رئيس الوزراء، والى يمينه اللورد هاليفاكس وزير الدولة للشؤون الخارجية، والى يساره مالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات.

بعد مؤتمر لندن، اصدرت الحكومة البريطانية «كتابا ابيض» وعدت فيه بصون حقوق ملكية الفلسطينيين في أجزاء معينة من فلسطين. كذلك حدد الكتاب الأبيض الهجرة اليهودية بـ ٧٥,٠٠٠ مهاجر خلال السنوات الخمس التالية، على ان تكون الهجرة بعد ذلك مرهونة بموافقة الفلسطينيين. كما أشار الكتاب الى قيام دولة موحّدة مستقلة في فلسطين بعد عشر سنوات من إصداره، شرط ان تكون العلاقات الفلسطينية – اليهودية مؤاتية.

٢٩١



القسم الرابع
من مؤتمر لندن
الى توصية هيئة الأمم
بتقسيم فلسطين
١٩٣٩ - ١٩٤٧

مقدمة

تنقسم الفترة الواقعة ما بين نهاية الثورة الفلسطينية الكبرى واحداث سنة ١٩٤٨، الى مرحلتين: الأولى هي سنوات الحرب (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، في حين تتمثل الثانية في السنتين اللاحقتين لانتهاء الحرب (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧). وكان الفلسطينيون خلال المرحلة الأولى هادئين بصورة عامة. ويمكن ان تنسب سلبيتهم الى وحشية القمع البريطاني للثورة من جهة، والى ما نصّ عليه الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ من عبارات مطمئنة نسبيا، بشأن الهجرة اليهودية والاستحواذ على الأراضي، من جهة ثانية. ومن الدواعي الأخرى، أيضا، ما صاحب الحرب من ازدهار اقتصادي، تمثل في ازدياد مستوى الانفاق من جانب قوات بريطانيا والحلفاء في الشرق الأوسط، وما فاه به وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن من تصريحات محبذة للوحدة العربية بعد ان تضع الحرب أوزارها؛ وهي قضية لها جاذبيتها في أنظار الوطنيين الفلسطينيين والعرب الآخرين.

سنوات الحرب

طوال سنوات الحرب، وعلى الرغم من الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، وتصريحات إيدن، فقد واصلت بريطانيا حظرها المفروض على اللجنة العربية العليا، وجميع الأنشطة السياسية الفلسطينية الأخرى. وظل كبار الزعماء الفلسطينيين مختبئين او منفيين او معتقلين. فقد تمكن الحاج أمين الحسيني من الافلات من الاعتقال وما هو أسوأ (في نظر البريطانيين الذين تآمروا على اغتياله وهو في منفاه في العراق)، انه فرّ سنة ١٩٤١ الى دول المحور، حيث امضى بقية سنوات الحرب. وبالاضافة الى ذلك، واصل البريطانيون احتجازهم للآلاف من المجاهدين الفلسطينيين في معسكرات الاعتقال، واستمروا في حملتهم لنزع سلاح الأهالي الفلسطينيين.

وفي تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٤، جرت محادثات تمهيدية للبحث في موضوع الوحدة العربية، في مدينة الاسكندرية. وبعد ذلك بخمسة أشهر، اي في آذار / مارس ١٩٤٥، تشكلت جامعة الدول العربية، من مصر والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وسوريا وشرق الأردن واليمن. وقد تعهدت الجامعة بحماية عروبة فلسطين. ومع اقتراب الحرب من نهايتها، تطلع فلسطينيون كثيرون الى الجامعة طلبا للعون منها في الأيام التالية.

وقد توترت العلاقات الأنغلو ـ صهيونية بصورة عامة زمن الحرب، نتيجة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩. لكن التهديدات النازية، ولا سيما الحملة الألمانية في شمال افريقيا ضد مصر، خففت حدة العداء الصهيوني لبريطانيا، باستثناء ما ظهر في حالة المنظمة الارهابية المنشقة المعروفة بعصابة شتيرن. وقد انضم نحو ٢٧,٠٠٠ يهودي من فلسطين الى القوات البريطانية، واتسعت القاعدة الصناعية اليهودية في فلسطين كثيرا لتفي بحاجات بريطانيا زمن الحرب.

وقد ظل الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ هدفا لنيران الاستراتيجية السياسية الصهيونية، سواء عند بداية المرحلة الأولى، او طوال المرحلة الثانية. ففي بواكير سنوات الحرب، حاولت الزعامة الصهيونية زعزعة مضمون الكتاب الأبيض، من خلال السعي لتنظيم الهجرة غير الشرعية الى فلسطين على نطاق واسع، اي من دون التقيد بالحصص التي حددها الكتاب الأبيض. وكان رد بريطانيا على ذلك تقديم فرص الاقامة البديلة للمهاجرين غير الشرعيين، خارج فلسطين، طوال مدة الحرب. لكن هذا الاجراء أثار حفيظة الصهاينة، الذين زعموا ان الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ قد حال دون إنقاذ اليهود من همجية النازية. على انه كما سبق ان أوضحنا،[1] لم تهتم استراتيجية الهجرة الصهيونية في فترة ما قبل الحرب قط بالضغط على الدول ذات القدرة الاستيعابية الكبيرة (مثل الولايات المتحدة وبريطانيا ومستعمراتها)، من أجل السماح للعدد الأقصى من اللاجئين اليهود من أوروبا بدخول أراضيها. وبالاضافة الى ذلك، نجد ان سرعة وتيرة التطورات العسكرية في أوروبا، وعواقبها الفظيعة على الجاليات اليهودية في الدول الأوروبية، قد ادت الى عدم تمكن الزعامة الصهيونية ـ في وقت

لاحق ــ من الاستفادة حتى من تأشيرات الدخول التي أجاز الكتاب الأبيض العمل بها طوال السنوات الخمس من نيسان / ابريل ١٩٣٩ حتى نيسان / ابريل ١٩٤٤. ولهذا السبب قررت بريطانيا، في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٣، تمديد فترة السنوات الخمس الى ما بعد نيسان / ابريل ١٩٤٤، من دون الحصول على «موافقة» الفلسطينيين كما نص على ذلك الكتاب الأبيض. وعلى هذا، فان تأشيرات الدخول التي بلغت ٧٥,٠٠٠ تأشيرة، والتي تم السماح بها بمقتضى نصوص الكتاب الأبيض، لم تكن كلها قد استخدمت حتى كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٥.

ولعل ابرز الدلائل على انهيار الوفاق الأنغلو ــ صهيوني ما حدث في أثناء سنوات الحرب؛ ففي مستهل الحرب، قررت الزعامة الصهيونية في فلسطين تحريك مشاعر اليهود الأميركيين، كوسيلة لاجتذاب تأييد الحكومة الأميركية للقضية الصهيونية. ولذا سافر دافيد بن ــ غوريون الزعيم الصهيوني العمالي، مندوباً عن الوكالة اليهودية، الى الولايات المتحدة، حيث عقد في أيار / مايو ١٩٤٢ مؤتمراً في فندق بلتمور بنيويورك. ودعا هذا المؤتمر، الذي شهده عدد من كبار الصهاينة الأميركيين، الى تحويل فلسطين بكاملها الى «كومنولث يهودي»؛ وهو تعبير ملطف بديل من تعبير «الدولة اليهودية». وقد اشتمل هذا البرنامج المتطرف على هجوم مباشر ضد الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، بل ضد وعد بلفور أيضاً، الذي اقتصر على الاشارة الى إقامة وطن يهودي «في» فلسطين. ومع انحسار موجة الحرب عن مصر وشمال افريقيا، لكن قبل هزيمة هتلر، شنت منظمتا إيرغون تسفائي ليئومي وشتيرن حملة ارهاب ضد البريطانيين. ولم يكن في تزايد الشعور العدائي الصهيوني ضد بريطانيا ما يعكس التأييد الأميركي المتعاظم فحسب، وإنما أظهر هذا التطور أيضاً تحولاً متراكماً في ميزان القوى المحلي، في مصلحة الصهاينة على حساب الفلسطينيين، وهو التحول الذي رعته بريطانيا على مدى العقود الثلاثة السابقة. ولئن كان الصهاينة معتمدين اعتماداً كلياً على بريطانيا سنة ١٩١٧، فان اعتمادهم هذا لم يعد مقتصراً على بريطانيا سنة ١٩٤٥.

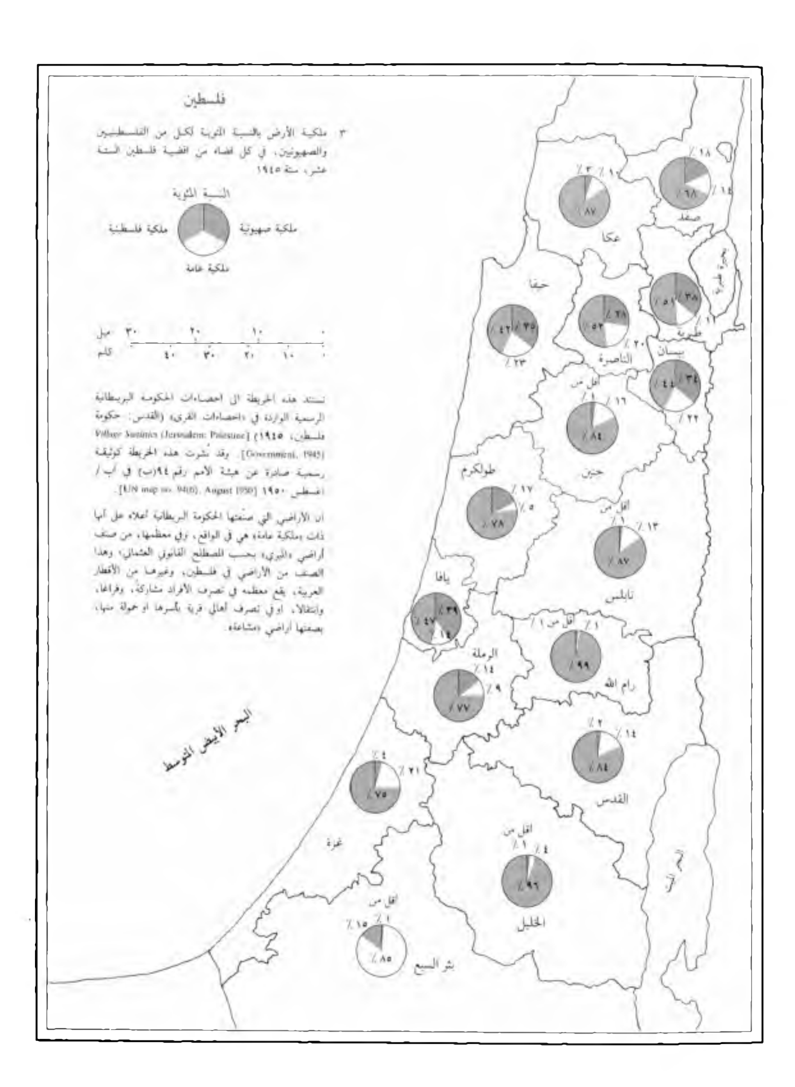
الحملة الصهيونية ضد بريطانيا

شهدت المرحلة الثانية، وهي مرحلة ما بعد الحرب (١٩٤٥ ــ ١٩٤٧)، تصعيد الصهاينة لحملة المواجهة مع البريطانيين، وفَتْح المجال للأحداث التي ادت ببريطانيا الى إحالة المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة، كمقدمة لتخلي بريطانيا المخزي عن الانتداب.

وقد شنت الحملة الصهيونية ضد البريطانيين على ثلاثة مستويات: الدبلوماسي والعسكري والدعائي. فعلى المستوى الدبلوماسي، وجد الصهاينة حليفاً قوياً في شخص الرئيس الأميركي هاري ترومان، بمجرد تنصيبه في اثر وفاة الرئيس فرانكلين روزفلت الفجائية. فقد سعى ترومان، أول الأمر، للضغط على الحكومة البريطانية في موضوع الهجرة، ودعا مراراً وتكراراً (في آب / أغسطس ١٩٤٥، وحزيران / يونيو ١٩٤٦، وتموز / يوليو ١٩٤٦، وتشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٦) الى السماح الفوري، وبلا شروط، بهجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودي الى فلسطين، وبهذا قضى تماماً على نص الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩. وقد عزا ترومان دوافعه الى اعتبارات انسانية. لكن كان يجدر ان تظهر هذه الاعتبارات أيضاً، لو كانت هي الدافع الحقيقي، في شكل مجهودات عاجلة ومتزامنة، تضرب المثل والقدوة، بالسماح لعدد متناسب من المهاجرين اليهود بدخول الولايات المتحدة ذاتها، وهذا ما لم يحدث طبعاً.

وفي آب / أغسطس وتشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٦، خطا ترومان خطوة اوسع في تأييده للصهيونية، بأن وافق على خطة الوكالة اليهودية الرامية الى تقسيم فلسطين الى دولتين: إحداهما يهودية، والأخرى فلسطينية. وانطوت الخطة على إدخال نحو ٦٠٪ من فلسطين ضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة، في وقت لم تكن الملكية اليهودية للأرض تتجاوز ٧٪ من مساحة فلسطين. وكان من شأن تأييد ترومان لتطلعات الصهيونيين الى توسيع رقعة دولتهم، ان دمّر ما تبقى من آمال (ولم تكن وفيرة على اية حال) بالتوصل الى حلول فيدرالية او اقليمية بطريق التفاوض، بحسب ما كانت بريطانيا تطرحه في ذلك الوقت.

واتخذ الهجوم العسكري الصهيوني شكل هجمات ارهابية ضد الأفراد البريطانيين والمنشآت البريطانية. واستندت هذه الهجمات بشدة الى استعمال الألغام وغيرها من المتفجرات، فضلاً عن الاغتيال أيضاً. ففي هذه المرحلة الثانية بدأ أول مرة في تاريخ الشرق الأوسط استخدام السيارات الملغومة او المحشوة بالقنابل، وذلك من قبل منظمة ايرغون تسفائي ليئومي. وساهمت الهاغاناه، لبعض الوقت، في هذه الهجمات، وكان معظمها ضد منشآت (مثل الجسور والموانىء ومرافق المواصلات... الخ). لكنها قررت التوقف، في مطلع صيف سنة ١٩٤٦، خشية القصاص البريطاني على نطاق واسع. غير ان الحذر العسكري الذي أظهرته الهاغاناه تجاه البريطانيين،


فلسطين
٣ ملكية الأرض بالنسبة المئوية لكل من الفلسطينيين والصهيونيين، في كل قضاء من أقضية فلسطين الستة عشر، سنة ١٩٤٥
النسبة المئوية
ملكية صهيونية
ملكية فلسطينية
ملكية عامة
ميل ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠
كلم ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠
تستند هذه الخريطة الى احصاءات الحكومة البريطانية الرسمية الواردة في «احصاءات القرى» (القدس: حكومة فلسطين، ١٩٤٥) [Village Statistics (Jerusalem: Palestine Government, 1945)]. وقد نُشرت هذه الخريطة كوثيقة رسمية صادرة عن هيئة الأمم رقم ٩٤(ب) في آب / اغسطس ١٩٥٠ [UN map no. 94(b), August 1950].
ان الأراضي التي صنّفتها الحكومة البريطانية أعلاه على أنها ذات «ملكية عامة» هي في الواقع، وفي معظمها، من صنف أراضي «الميري» بحسب المصطلح القانوني العثماني؛ وهذا الصنف من الأراضي في فلسطين، وغيرها من الأقطار العربية، يقع معظمه في تصرف الأفراد مشاركةً، وفرادى، وانتقالاً، او في تصرف أهالي قرية بأسرها او محولة منها، بصفتها أراضي «مشاعة».
البحر الأبيض المتوسط
صفد
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
يافا
الرملة
رام الله
القدس
غزة
الخليل
بئر السبع

لم يمنعها من استغلال المزايا السياسية والنفسية، التي نجمت عن العمليات المتواصلة لكل من منظمتي الإرغون وشتيرن.

وواقع الأمر يدل على ان ردة الفعل البريطانية على حملة الإرهاب الصهيوني كانت خفيفة على نحو يبعث على الدهشة، استنادا الى ثلاثة عوامل: أحدها الإعياء الذي أصاب بريطانيا بعد الحرب، والثاني ما تلقته الصهيونية من دعم في الولايات المتحدة، والثالث عزوف بريطانيا عن استخدام الاجراءات الوحشية ضد اليهود الأوروبيين، كالتي استخدمتها ضد الفلسطينيين الأميين. وعلى هذا نجد، مثلا، ان اللجنة العربية العليا ظلت محظورة قانونا لمدة ثماني سنوات، لكن أعضاء الوكالة اليهودية الذين كانوا قد اعتقلوا يوم ٢٩ حزيران / يونيو ١٩٤٦ ما لبث ان أفرج عنهم في ٥ تشرين الثاني / نوفمبر من السنة نفسها. ويتضح الانضباط البريطاني تجاه اليهود، على أفضل وجه، بعرض أرقام الضحايا من الجانبين؛ فقد قتل ١٦٩ بريطانيا على يد اليهود في مقابل ٣٧ صهيونيا إرهابيا على يد البريطانيين.[٢] ولعل هذه نسبة فريدة في العلاقة بين الضحايا من أفراد قوات الأمن والمهاجمين في تاريخ الثورات.

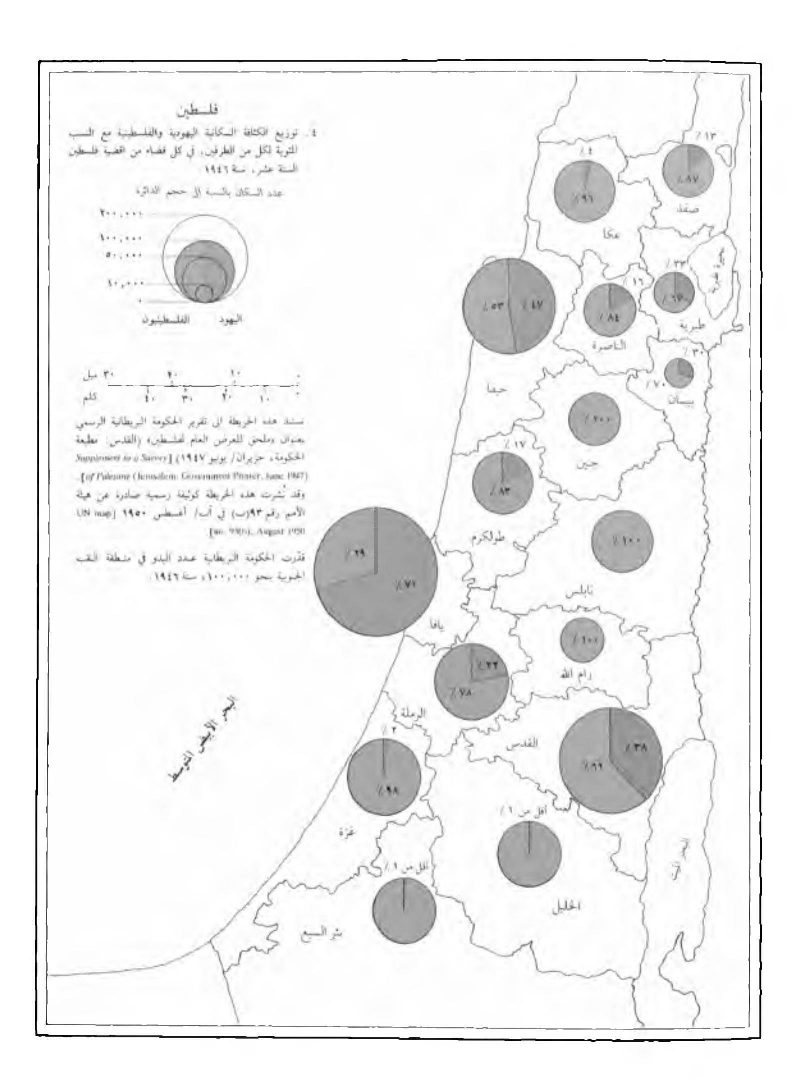
لكن أشد التكتيكات الدعائية الصهيونية أثرا وفعالية، خلال مرحلة ما بعد الحرب، كان تنظيم عمليات الهجرة غير المشروعة على نطاق واسع؛ فقد استخدمت عشرات السفن (وكانت في أغلب الأحوال متداعية) لنقل اللاجئين اليهود من عدة موانىء أوروبية، بإشراف وحدات خاصة من الهاغاناه، لتفرغ حمولاتها على شواطىء فلسطين. وكانت هذه العمليات تهدف الى النيل من الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، فيما لو نجحت تلك السفن في تفادي الدوريات البحرية البريطانية. أما اذا تصدت القوات البحرية البريطانية للوافدين الجدد، فكان يمكن إبراز هذا العمل (وقد أبرز فعلا) أمام العالم باعتباره محاولة غير إنسانية لحرمان «البقايا التعسة» الناجية من معسكرات الاعتقال النازية مما وصف كذبا بأنه أملها الوحيد بالبقاء.

غير ان الحرب كانت قد انتهت، وأنقذ من معسكرات الاعتقال النازية من بقوا في قيد الحياة، ووضعوا تحت الرعاية الانسانية للحلفاء في أوروبا. ولقد توفرت وقتها فرص كبيرة أمام الدول الغربية المعنية حقا ــ على أساس إنساني ــ للمساهمة في تخفيف محنة الناجين اليهود، عن طريق رفع القيود المفروضة على هجرة اللاجئين عبر حدود هذه الدول الغربية الكبرى القادرة، كل القدرة، على استيعابهم. وكانت الحكومة البريطانية قد تراجعت في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٥ عن مضمون كتابها الأبيض لسنة ١٩٣٩، بالسماح بالهجرة اليهودية المستمرة الى فلسطين (بعد استنفاد حصة السنوات الخمس)، بمعدل شهري مقداره ١٥٠٠ شخص، على الرغم من عدم توافر «الموافقة» الفلسطينية المنصوص عليها في هذا الكتاب.

الولايات المتحدة تلقي بثقلها في الكفة الصهيونية

نظر الفلسطينيون والدول العربية المجاورة لفلسطين الى هذه التطورات بانزعاج متزايد. وقد أثيرت الآمال في وقت مبكر بشأن إنصاف السياسة الأميركية، على أساس الاجتماع الذي عقد في منطقة قناة السويس في شباط / فبراير ١٩٤٥، بين الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت والملك عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية. ففي ذلك اللقاء أكد روزفلت للملك عبد العزيز ان الولايات المتحدة لن تتخذ اي إجراء بخصوص المشكلة الفلسطينية «يكون معاديا للعرب». ومع هذا، فلم يكد يمضي بضعة اشهر، حتى شرع الرئيس ترومان، في اثر وفاة الرئيس روزفلت في ربيع سنة ١٩٤٥، في حملة ضد الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، وما لبث ان أعلن تبنيه للمطالب الصهيونية في الاستحواذ على المزيد من الأراضي ضمن الدولة اليهودية الموسعة في مشروع التقسيم الذي تبناه. وبسلوكه هذا بدأ «حوار الطرشان» فيما يتعلق بفلسطين؛ وهو حوار دام حتى هذه الساعة بين الولايات المتحدة والعالم العربي، ودفع العرب الى السير في طريق الجفاء المتزايد يوما بعد يوم مع الولايات المتحدة.

ومع ان الدول العربية كانت قد انتظمت ــ بحلول ذلك الوقت ــ في إطار جامعة الدول العربية، غير أنها كانت ابعد ما تكون قدرة على العمل الجماعي. وكانت الجامعة نفسها عبارة عن رابطة كونفيدرالية فضفاضة، ما زالت في طور طفولتها المبكرة. وكانت الأسرتان المالكتان، في المملكة العربية السعودية ومصر، في نزاع مع الأسرتين المالكتين في العراق وشرق الأردن. كما كان امير شرق الأردن، حينذاك، يطالب بحقوق السيادة على سوريا ولبنان. ولم تتمكن سوريا ولبنان إلا في سنة ١٩٤٦ من تخليص نفسيهما من آخر جندي فرنسي تبقى منذ نظام الانتداب. كما كانت مصر والعراق وشرق الأردن مرتبطة ببريطانيا بمعاهدات غير متكافئة، قيّدت كثيرا قدرتها على التحرك في الميادين العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية. ومع ان العراق كان ينتج النفط منذ بعض الوقت، إلا ان عائداته



فلسطين
٤. توزيع الكثافة السكانية اليهودية والفلسطينية مع النسب المئوية لكل من الطرفين، في كل قضاء من أقضية فلسطين الستة عشر، سنة ١٩٤٦
عدد السكان بالنسبة إلى حجم الدائرة
٢٠٠,٠٠٠
١٠٠,٠٠٠
٥٠,٠٠٠
١٠,٠٠٠
٠
اليهود
الفلسطينيون
٣٠ ميل ٢٠ ١٠ ٠
كلم ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠
تستند هذه الخريطة الى تقرير الحكومة البريطانية الرسمي بعنوان «ملحق للعرض العام لفلسطين» (القدس: مطبعة الحكومة، حزيران/ يونيو ١٩٤٧) [Supplement to a Survey of Palestine (Jerusalem: Government Printer, June 1947)].
وقد نُشرت هذه الخريطة كوثيقة رسمية صادرة عن هيئة الأمم رقم ٩٣(ب) في آب/ أغسطس ١٩٥٠ [UN map no. 93(b), August 1950].
قدّرت الحكومة البريطانية عدد البدو في منطقة النقب الجنوبية بنحو ١٠٠,٠٠٠، سنة ١٩٤٦.
صفد
٪ ١٣
٪ ٨٧
عكا
٪ ٤
٪ ٩٦
طبرية
٪ ٣٣
٪ ٦٧
الناصرة
٪ ١٦
٪ ٨٤
حيفا
٪ ٤٧
٪ ٥٣
بيسان
٪ ٣٠
٪ ٧٠
جنين
٪ ١٠٠
طولكرم
٪ ١٧
٪ ٨٣
نابلس
٪ ١٠٠
يافا
٪ ٢٩
٪ ٧١
رام الله
٪ ١٠٠
الرملة
٪ ٢٢
٪ ٧٨
القدس
٪ ٣٨
٪ ٦٢
غزة
٪ ٢
٪ ٩٨
الخليل
أقل من ١ ٪
بئر السبع
أقل من ١ ٪
البحر الأبيض المتوسط

النفطية كانت طفيفة، بسبب الاتفاقيات غير المنصفة المعقودة مع شركات النفط الغربية. أما المملكة العربية السعودية، فكانت تقف وقتها على عتبة الانتاج النفطي. ومع كل هذا، كانت دول الجامعة العربية كلها تشعر بقلق عميق نتيجة التطورات في فلسطين. كما تعاطفت الشعوب العربية بغريزتها مع القضية الفلسطينية، وطالبت بإجراءات حكومية فعالة لتأييدها.

وكان حجر الزاوية في استراتيجية جامعة الدول العربية، طوال فترة ما بعد الحرب، يتمثل في الضغط على بريطانيا لالتزام الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩. وقد مورس هذا الضغط، أساسا، من خلال الدبلوماسية والمفاوضات الهادئة. وطالب بعض الدول العربية (كما طالب الرأي العام العربي عامة) بفرض عقوبات اقتصادية ضد المصالح النفطية الغربية، انتقاما من السياسة الأميركية المناصرة للصهيونية وردعا لها، لكنْ تعذر التوصل الى اجماع عربي رسمي في شأن هذا الموضوع. وكانت استراتيجية الجامعة العربية تقضي بتحاشي التورط في القتال داخل فلسطين بين الصهاينة والبريطانيين، وتشجيع المصالحة والمهادنة بين الفئات الفلسطينية، ودعم اللجنة العربية العليا التي اعيد تشكيلها بعد ان وافق البريطانيون أخيرا على السماح لها بممارسة نشاطها سنة ١٩٤٥. كذلك انشأت الجامعة صندوقا زراعيا لتقديم السلف الى المزارعين الفلسطينيين، ومن ثم كبح حركة الاستحواذ على الأراضي من قبل الصهاينة. وعلى نقيض الاستراتيجية الصهيونية، كان هناك افتقار كامل في الجانب العربي الى اي استعداد اوتخطيط عسكري. وقد واجهت الجامعة العربية هذا الأمر، أول مرة، في أيلول / سبتمبر ١٩٤٧، لكن حتى في ذلك الوقت لم تكن الاجراءات التي تقررت وافية اوجدية. وكان إغفال العرب للبعد العسكري يعود الى اعتقاد في غير محله، ان بريطانيا لن تتخلى عن مسؤولياتها المعنوية كدولة منتدبة على فلسطين وكـ «حليفة» لعدة دول عربية.

لكن بريطانيا وجدت نفسها عند مفترق عدة ضغوط تمارسها الولايات المتحدة والصهاينة من جانب، وجامعة الدول العربية من جانب آخر. وإذا بها الآن تجني حصاد وعد بلفور سنة ١٩١٧. ولما كانت عازفة عن سحق التمرد الصهيوني، وعاجزة اوغير راغبة في تطبيق أحكام الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ (بسبب المعارضة الصهيونية)، اوتنفيذ سياسة التقسيم (بسبب المعارضة الفلسطينية والعربية)، فقد اخذت تقترب بسرعة من نهاية امكاناتها لحل المشكلة. وحاولت بريطانيا، أول الأمر، إشراك الولايات المتحدة في اتخاذ قرار بشأن فلسطين، كوسيلة لتخفيف التحيز الأميركي الى مصلحة الصهيونية. وفي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٥، اقترحت تأليف لجنة تحقيق أنغلو ـ أميركية، فضلا عن لجنة مشتركة اخرى من الخبراء، لمتابعة نتائج لجنة التحقيق. وفشل هذا المسعى، لأن الرئيس الأميركي ترومان لم يوافق إلا على تلك التوصيات الواردة في تقرير اللجنة الأنغلو ـ أميركية (الصادر في أيار / مايو ١٩٤٦)، والتي ايدت وجهة النظر الصهيونية. كما ان خطة اللجنة المشتركة (الصادرة في تموز / يوليو ١٩٤٦) لايجاد حل فيدرالي للمشكلة الفلسطينية، وهو الحل الذي رفضه العرب والصهاينة معا، قد تلقت الضربة القاضية عندما اعتمد الرئيس ترومان في آب / أغسطس ١٩٤٦ خطة الصهيونية الرامية الى التقسيم. وحين تقدمت بريطانيا بخطة اخرى في شباط / فبراير ١٩٤٧، اعتمادا على مفهوم الاستقلال الذاتي الإقليمي ـ وهي خطة رفضها الصهاينة والعرب أيضا ـ لم تر بدا من إحالة الأمر كله على الأمم المتحدة.

وبحلول ذلك الوقت، اصبح واضحا ان خطة التقسيم، التي تنص على إنشاء دولة يهودية في القسم الأكبر من فلسطين، هي الحل الوحيد المقبول لدى الصهاينة. كما اتضح أيضا، طوال عشر سنوات سابقة، ان مثل هذا «الحل» كان بغيضا في نظر الفلسطينيين، للأسباب نفسها التي دعتهم الى شن قتالهم المستبسل ضد التقسيم بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٣٩. وكانت بريطانيا هي الحائل الوحيد دون الاصطدام المباشر بين الطرفين المتنازعين.

وفيما بين نيسان / ابريل وأيار / مايو ١٩٤٧، عقدت الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة جلسة خاصة، قررت فيها إيفاد لجنة تحقيق اخرى الى فلسطين. وفي شهر أيلول / سبتمبر من السنة نفسها، اصدرت اللجنة تقريرا وافق عليه أعضاؤها بالأغلبية، يؤيد فكرة التقسيم، وتقريرا آخر وافقت عليه الأقلية من أعضاء اللجنة، يوصي بالأخذ بالحل الفيدرالي. وفي ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٧، اوضحت بريطانيا أنها ستسحب قواتها من فلسطين في غضون ستة أشهر، إذا لم يتم التوصل الى تسوية مقبولة من جانب الصهاينة والفلسطينيين، وهي المدركة أكثر من غيرها لاستحالة تحقيق هذا الشرط. وبذا كانت بريطانيا تفسح الطريق لانفجار عام في فلسطين بينما تبتعد هي نفسها عن ساحة المعركة الفاصلة القادمة، والتي خلقت ظروفها وعناصرها بالسياسة التي اتبعتها في البلاد منذ اعلانها وعد بلفور سنة ١٩١٧.

١٩٤٠ ● ٢٨ شباط / فبراير: نُشِر قانون الأراضي الجديد، بحسب ما هو وارد في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، يمنع هذا القانون انتقال ملكية الأراضي الى اليهود في جزء من البلاد، ويسمح بذلك في جزء ثان منها، بينما ينيط الأمر بقرار المندوب السامي البريطاني في جزء ثالث من فلسطين.

● آب / أغسطس: وفاة فلاديمير جابوتنسكي، مؤسس الحركة «الاصلاحية» الصهيونية، وهي حركة يمينية متطرفة انبثقت منها منظمة ايرغون تسفاي ليئومي (الإرغون) الارهابية.

● تشرين الثاني / نوفمبر: السلطات البريطانية تغلق أبواب الهجرة اليهودية غير المشروعة الى فلسطين لأسباب امنية، وتنوي المهاجرين غير الشرعيين في أمكنة أخرى خارج فلسطين خلال فترة الحرب.

● ارهابيون صهيونيون ينسفون سفينة «إس. إس. باتريا»، المقلة لمهاجرين يهود غير شرعيين، في أثناء قيام السلطات البريطانية بنقلهم الى أماكن اخرى خارج فلسطين. عملية النسف تسفر عن مقتل ٢٥٢ شخصا من اليهود وأفراد الشرطة البريطانيين.

١٩٤٢ ● شباط / فبراير: أبراهام شتيرن، مؤسس عصابة شتيرن الارهابية، يلقى مصرعه على يد البوليس البريطاني.

● نسف واغراق سفينة «إم. في. ستروما» في البحر الأسود، خلال نقلها للمهاجرين اليهود القادمين من رومانيا، مما تسبب بمقتل ٧٦٠ شخصا.

● أيار / مايو: انعقاد مؤتمر «بلتمور» الصهيوني في فندق «بلتمور» بمدينة نيويورك. حضر المؤتمر قادة الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وفلسطين. وضع المؤتمر سياسة جديدة تهدف الى خلق «كومنولث يهودي» على كامل التراب الفلسطيني، والى انشاء جيش يهودي.

● كانون الأول / ديسمبر: عدد من أعضاء الكونغرس الأميركي ومن مشاهير الشخصيات الأميركية، يقدم مذكرة الى الرئيس روزفلت تتضمن تأييد الطلب الصهيوني بإقامة جيش يهودي.

١٩٤٣ ● آذار / مارس: السلطات البريطانية تكتشف شبكة واسعة مرتبطة بـ«الهاغاناه»، وظيفتها سرقة الأسلحة والمتفجرات من المنشآت العسكرية البريطانية.

● ٢٠ آذار / مارس: دافيد بن ـ غوريون يعلن ان انتهاء الحرب العالمية الثانية يشكل بداية الكفاح الصهيوني في فلسطين.

● تشرين الثاني / نوفمبر: السلطات البريطانية تقوم بتمديد فترة الخمس سنوات (التي كانت ستنتهي في نيسان / ابريل ١٩٤٤) المنصوص عليها في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، كحد للهجرة اليهودية نظرا الى وجود ٣١,٠٠٠ تأشيرة دخول غير مستعملة.

١٩٤٤ ● كانون الثاني / يناير: عصابة شتيرن الارهابية تنضم الى عصابة الإرغون للقيام بعمليات ارهابية مشتركة ضد البريطانيين.

● الكونغرس الأميركي يتخذ قرارا مشتركا يؤيد فيه برنامج بلتمور.

● ١٤ شباط / فبراير: ارهابيون صهيونيون يقتلون بالرصاص شرطيين بريطانيين في مدينة حيفا.

● ٢٣ آذار / مارس: مصرع ثمانية من رجال البوليس البريطاني على يد الارهابيين الصهيونيين في حيفا ويافا وتل ابيب والقدس.

● أيار / مايو: حزب العمل البريطاني يعتمد قرارا يوصي فيه بوجوب «تشجيع» الفلسطينيين على مغادرة وطنهم، لافساح المجال أمام المهاجرين اليهود.

● صيف سنة ١٩٤٤: البرنامج الانتخابي للحزب الجمهوري وللحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة ينادي بفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه، وبإقامة «كومنولث يهودي» على ارض فلسطين بأكملها.

● ٨ آب / أغسطس: فشل المحاولة التي قام بها الارهابيون الصهيونيون لاغتيال المندوب السامي، السير هارولد ماكمايكل، وزوجته في القدس.

● أيلول / سبتمبر: السلطات البريطانية تقرر تشكيل مجموعة لواء يهودي (أكبر عددا من اللواء العادي) داخل الجيش البريطاني، على ان يتم تجنيد عناصرها من داخل فلسطين.

● تشرين الأول / أكتوبر: رئيس أركان القوات البريطانية في الشرق الأوسط يعلن ان الارهابيين اليهود «يعطلون تعطيلا مباشرا المجهود الحربي البريطاني»، و «يساعدون العدو».

● المؤتمر التمهيدي لمحادثات الوحدة العربية الذي انعقد في مدينة الاسكندرية بمصر، والذي حضره ممثلون عن شعب فلسطين، يقترح تشكيل دولة في فلسطين يتمتع فيها المواطنون غير العرب بجميع حقوق المواطنة وامتيازاتها.

● ٦ تشرين الثاني / نوفمبر: ارهابيو عصابة شتيرن يغتالون اللورد

والترموين، وزير الدولة وممثل الحكومة البريطانية، المقيم في القاهرة.

١٩٤٥ ● كانون الثاني / يناير: مجلس النواب الاميركي يطلب من الحكومة الأميركية تسهيل الهجرة اليهودية غير المحدودة الى فلسطين، بهدف تحويل البلد الى «كومنولث يهودي».

● ١٤ شباط / فبراير: الرئيس روزفلت يجتمع بالملك ابن سعود على متن بارجة أميركية في بحيرة التمساح في منطقة قناة السويس، ويؤكد له ان الولايات المتحدة لن تقوم بـ «اي عمل عدائي» ضد الشعوب العربية.

● ٢٢ آذار / مارس: ممثلون عن مصر والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وسوريا وشرق الأردن واليمن، يوقعون ميثاق جامعة الدول العربية في القاهرة. يؤكد الميثاق عروبة فلسطين.

● ٨ أيار / مايو: انتهاء الحرب في أوروبا.

● ١ تموز / يوليو: بن ـ غوريون يجتمع، خلال زيارة له للولايات المتحدة، مع ١٩ شخصا من كبار الشخصيات الصهيونية الأميركية. تعهد هؤلاء بشراء الأسلحة والمصانع الحربية داخل الولايات المتحدة لحساب «الهاغاناه».

● ٣١ آب / أغسطس: الرئيس ترومان يطلب من رئيس الوزراء البريطاني، كليمنت اتلي، منح ١٠٠,٠٠٠ يهودي تأشيرات هجرة الى فلسطين.

● أيلول / سبتمبر: إعادة تكثيف الهجرة الصهيونية غير المشروعة الى فلسطين على نطاق واسع.

● ٢ أيلول / سبتمبر: استسلام اليابان للحلفاء.

● ٢٨ أيلول / سبتمبر: شرطي بريطاني يلقى مصرعه في تل ابيب على يد الارهابيين الصهيونيين.

● ٣١ تشرين الأول / أكتوبر: تعطيل خطوط سكة الحديد في فلسطين، في ٢٤٢ موقعا مختلفا، على يد وحدات مشتركة من الهاغاناه والإرغون وشتيرن.

● ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر: جامعة الدول العربية تحتج، لدى الحكومتين البريطانية والأميركية، على استمرار الهجرة الصهيونية الواسعة الى فلسطين.

● ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر: وزير الخارجية البريطاني، ارنست بيفن، يعلن (الكتاب الأبيض لسنة ١٩٤٥) وجوب استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد استنفاد الحصة النسبية (الكوتا) المنصوص عليها في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩. ويقترح، أيضا، تأليف لجنة تحقيق بريطانية ـ أميركية.

● ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر: تشكيل الهيئة العربية العليا لتحلّ مكان اللجنة العربية العليا، التي حلتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٧.

● ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر: مصرع ستة من اليهود في اشتباكات مع القوات البريطانية في مستعمرة غفعات حاييم.

● ٥ كانون الأول / ديسمبر: الأمين العام لجامعة الدول العربية يحتج على استمرار الهجرة الصهيونية الى فلسطين بعد استنفاد الكوتا المنصوص عليها في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩، ويستفسر عن الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة وبريطانيا في بلديهما لتخفيف ازمة المهاجرين اليهود في أوروبا بعد الحرب.

● ٢٧ كانون الأول / ديسمبر: عصابة الإرغون تقتل خمسة من أفراد الجيش والبوليس البريطانيين في القدس ويافا وتل ابيب.

١٩٤٦ ● ١٦ كانون الثاني / يناير: الملك ابن سعود والملك فاروق يصدران بيانا مشتركا في القاهرة، يعربان فيه عن تأييدهما للشعب الفلسطيني.

● ١٩ كانون الثاني / يناير: مصرع ضابطين بريطانيين في اثر هجوم شنته عصابة الإرغون على سجن القدس المركزي.

● شباط / فبراير: الشعب الفلسطيني يضرب احتجاجا على قرار الحكومة البريطانية بالسماح بمواصلة الهجرة الصهيونية بمعدل ١٥٠٠ مهاجر شهريا، على الرغم من استنفاد الكوتا التي حددها الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩.

● ٦ آذار / مارس: لجنة التحقيق البريطانية ـ الأميركية تصل الى فلسطين.

● ٢٨ آذار / مارس: جامعة الدول العربية تقيم صندوقا لحماية المزارعين الفلسطينيين من المحاولات الصهيونية الرامية الى الاستيلاء على أراضيهم.

● ٢٥ نيسان / ابريل: مقتل سبعة من الجنود البريطانيين في اثر هجوم شنه أفراد عصابة الإرغون الارهابية على مرآب عسكري في تل ابيب.

● أيار / مايو: لجنة التحقيق البريطانية ـ الأميركية تنشر تقريرها الذي توصي فيه بإدخال ١٥٠,٠٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين، والغاء قانون انتقال ملكية الأراضي الذي كان هدفه المحافظة ـ ولو جزئيا ـ على حقوق أصحاب الأراضي العرب (أنظر ٢٨ شباط / فبراير ١٩٤٠).

● أبناء فلسطين يضربون احتجاجا على توصيات لجنة التحقيق البريطانية ـ الأميركية.

● الهاغاناه تضع «خطة أيار / مايو ١٩٤٦» العسكرية، تمهيدا لاحتلال فلسطين بالقوة.

● ٢٨ ـ ٢٩ أيار / مايو: الرؤساء العرب يعقدون أول اجتماع قمة لهم في أنشاص بمصر. وقد حرصوا في الاجتماع على تأكيد ان دعم بريطانيا وأميركا للهجرة الجماعية الصهيونية، ولمحاولات اليهود استملاك الأراضي في فلسطين، يشكل عملا عدائيا ضد جميع

الدول العربية. كما طالبوا باستقلال فلسطين، وبتأليف حكومة وطنية ترعى حقوق المواطنين كافة، بصرف النظر عن جنسهم او لونهم او عقيدتهم.

● ٦ حزيران / يونيو: الرئيس ترومان يطالب بالهجرة الفورية لـ ١٠٠,٠٠٠ يهودي الى فلسطين.

● ١١ ـ ١٢ حزيران / يونيو: أعضاء جامعة الدول العربية يعتمدون، في اجتماع لهم في بلودان بسوريا، مجموعة من القرارات السرية، يحذرون فيها بريطانيا وأميركا من النتائج السلبية التي ستترتب على سياستهما الجائرة تجاه شعب فلسطين، مشيرين الى الضرر الذي ستلحقه هذه السياسة بمصالحهما النفطية والتجارية في العالم العربي.

● ١٧ حزيران / يونيو: وقوع اعتداءات متزامنة، من قبل الهاغاناه، على ثماني سكك حديد رئيسية وجسور على طرق عامة.

● ١٨ حزيران / يونيو: عصابة الإرغون الارهابية تخطف ستة ضباط بريطانيين في تل ابيب والقدس.

● ٢٩ حزيران / يونيو: ردا على الارهاب الصهيوني، القوات البريطانية تعتقل ٢٦٧٥ يهوديا، بينهم اربعة أعضاء من الوكالة اليهودية.

● ٢ تموز / يوليو: الرئيس ترومان يعلن ان الولايات المتحدة ستتولى مسؤولية نقل ١٠٠,٠٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين.

● ٢٢ تموز / يوليو: عصابة الإرغون الارهابية تنسف جناحا في فندق الملك داود بالقدس. العملية تسفر عن مقتل ٩١ مدنيا. كان الجناح مقرا للادارة المدنية البريطانية.

● ٢٤ تموز / يوليو: الحكومة البريطانية تصدر كتابا ابيض عن الارهاب في فلسطين، وفيه تتهم الوكالة اليهودية بالاشتراك مع عصابة الإرغون وعصابة شتيرن في عمليات الارهاب.

● ٢٥ تموز / يوليو: الحكومة البريطانية تدعو الزعماء العرب واليهود الى التفاوض في شأن فلسطين.

● ٣١ تموز / يوليو: انعقاد المؤتمر البريطاني ـ الأميركي في لندن. وقد اقترح المؤتمر نظاما فيدراليا لحل القضية الفلسطينية. ورفض الزعماء العرب واليهود هذا الاقتراح، الذي عرف باسم مشروع موريسون ـ غرادي (نسبة الى رئيسي الوفدين البريطاني والأميركي على التوالي).

● ٥ آب / أغسطس: الوكالة اليهودية تطالب بإقامة دولة يهودية في فلسطين ضمن الحدود التي اقترحتها لجنة (بيل) الملكية سنة ١٩٣٧، مضافا اليها النقب بكامله.

● ١٤ آب / أغسطس: الرئيس ترومان يرسل الى الحكومة البريطانية خطة لتقسيم فلسطين على أساس الخطة التي اقترحتها الوكالة اليهودية في ٥ آب / أغسطس.

● أيلول / سبتمبر: الممثلون العرب، الذين اشتركوا في المؤتمر المنعقد في لندن، يقترحون اقامة دولة موحدة في فلسطين، يتمتع فيها اليهود بسائر الحقوق المدنية. لم يكتب النجاح لهذا المؤتمر الذي قاطعه الزعماء الفلسطينيون العرب واليهود.

● ٩ أيلول / سبتمبر: الصهيونيون الارهابيون ينسفون بيت احد ضباط الأمن البريطانيين في تل ابيب، مما يؤدي الى مقتل الضابط وزوجته.

● ٥ تشرين الأول / أكتوبر: الرئيس ترومان يحثّ على السماح بالهجرة اليهودية الفورية المكثفة الى فلسطين.

● ٦ تشرين الأول / أكتوبر: حاكم ولاية نيويورك، ديوي، يعرب عن تأييده للهجرة اليهودية الى فلسطين، مطالبا بالهجرة «لا لـ ١٠٠,٠٠٠ يهودي فقط بل لمئات الآلاف من اليهود أيضا.»

● ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر: القيادة الصهيونية تعلن ان اقامة دولة يهودية هي الطريقة الوحيدة لحل مشكلة الشعب اليهودي ومشكلة فلسطين.

● ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر: عصابة الإرغون الارهابية تهاجم بالقنابل محطة سكة الحديد في القدس. الهجوم يسفر عن مصرع جنديين بريطانيين وشرطي واحد، وجرح ١٢ جنديا.

● ٥ تشرين الثاني / نوفمبر: اطلاق الزعماء اليهود الذين اعتقلوا في ٢٩ حزيران / يونيو.

● ٩ تشرين الثاني / نوفمبر: عصابة الإرغون الارهابية تزرع الألغام في احد البيوت، فتسبب مقتل اربعة من أفراد البوليس البريطاني.

● ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر: مصرع ستة من أفراد البوليس، وجرح عشرة آخرين، في هجوم شنته عصابة الإرغون الارهابية على قطار على خط سكة الحديد بين اللد والقدس.

● ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر: مقتل ثلاثة من أفراد البوليس البريطاني بالقرب من تل ابيب في اثر انفجار لغم بسيارتهم زرعته عصابة الإرغون الارهابية.

● ٢ كانون الأول / ديسمبر: مقتل اربعة جنود بريطانيين في اثر انفجار لغم بسيارتهم زرعته عصابة الإرغون الارهابية.

● ٤ كانون الأول / ديسمبر: الوكالة اليهودية تناشد الجالية اليهودية الكف عن الأعمال الارهابية.

● ١٢ كانون الأول / ديسمبر: جامعة الدول العربية تطالب الحكومة البريطانية بتسليح الفلسطينيين كي يدافعوا عن انفسهم في وجه الارهاب الصهيوني.

● ٢٤ كانون الأول / ديسمبر: المؤتمر الصهيوني العالمي يقرر، في اجتماعه المنعقد في بازل، عدم ارسال اي ممثلين الى مؤتمر لندن.

● ٢٩ كانون الأول / ديسمبر: عصابة الإرغون الارهابية تخطف ضابطا بريطانيا وثلاثة ضباط صف، وتجلدهم انتقاما لقيام السلطات البريطانية بجلد احد أعضاء عصابة الإرغون المعتقل من قبلها.

١٩٤٧ ● ١٢ كانون الثاني / يناير: عصابة الإرغون الارهابية تفجّر سيارة ملغومة في مقر الادارة البريطانية في حيفا، مما يؤدي الى مقتل اثنين من أفراد البوليس البريطاني واثنين من أفراد البوليس الفلسطينيين، وجرح أكثر من ١٠٠ شخص.

● ٢٦ كانون الثاني / يناير: مؤتمر لندن يواصل مباحثاته.

● ٢٦ كانون الثاني / يناير: عصابة الإرغون الارهابية تخطف رجل أعمال بريطانيا في القدس.

● ٢٧ كانون الثاني / يناير: عصابة الإرغون الارهابية تخطف احد كبار القضاة البريطانيين في تل ابيب.

● ٢٨ ــ ٢٩ كانون الثاني / يناير: تم اخلاء سبيل اثنين من المخطوفين البريطانيين، بعد ان وجهت السلطات البريطانية إنذارا الى عصابة الإرغون.

● ٧ شباط / فبراير: وزير الخارجية البريطاني، ارنست بيفن، يقدم مشروعا جديدا مستوحى من مشروع موريسون ــ غرادي الفيدرالي، الى مؤتمر لندن والوكالة اليهودية.

● ٩ ــ ١٠ شباط / فبراير: الوكالة اليهودية والوفود العربية الى مؤتمر لندن ترفض اقتراح بيفن.

● ١٨ شباط / فبراير: بيفن يعلن قرار الحكومة البريطانية بإحالة القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة.

● ٢٨ شباط / فبراير: عصابات الارهاب الصهيونية تقوم بقتل ٢٠ شخصا (من المدنيين ومن أفراد الجيش والشرطة)، بالاضافة الى تدمير نادي الضباط البريطاني في القدس.

● ٢٤ آذار / مارس: جامعة الدول العربية تحمّل كلا من بريطانيا والولايات المتحدة مسؤولية تردي الأوضاع في فلسطين.

● ١٦ نيسان / ابريل: إعدام اربعة ارهابيين صهيونيين في سجن عكا.

● ٢٦ نيسان / ابريل: عصابة الإرغون الارهابية تقوم بتفجير سيارة ملغومة في معسكر ساروانا البريطاني بالقرب من تل ابيب، مما يؤدي الى مقتل ضابط بريطاني واحد وخمسة من رجال الأمن.

● ٢٨ نيسان / ابريل: الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة تفتتح الجلسة الخاصة بقضية فلسطين.

● ١٥ أيار / مايو: الجمعية العامة تختتم جلستها بتأليف لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP). وهذه اللجنة المؤلفة من ١١ عضوا هي لجنة التحقيق الحادية عشرة التي تم تشكيلها منذ سنة ١٩١٩.

● ٢١ أيار / مايو: الهاغاناه تقتل فلسطينيَّين وتجرح سبعة آخرين، في عمليتين ارهابيتين بالقرب من تل ابيب.

● ٥ حزيران / يونيو: عصابة شتيرن الارهابية تعلن مسؤوليتها عن الرسائل الملغومة التي أرسلت الى كبار المسؤولين البريطانيين في لندن.

● ١٤ حزيران / يونيو: وصول أعضاء لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين الى البلاد.

● ٢٠ تموز / يوليو: وصول لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين الى بيروت للاستماع الى شهادات ممثلي الدول العربية.

● ٣٠ تموز / يوليو: عصابة الإرغون الارهابية تعلن قيامها بـ «اعدام» رقيبين عسكريين بريطانيين كانا مخطوفين منذ ١٢ تموز / يوليو.

● ١٥ آب / أغسطس: الهاغاناه تهاجم احدى البيّارات العربية بالقرب من تل ابيب، مما يؤدي الى مقتل ١٢ شخصا بينهم ام وستة أطفال.

● أيلول / سبتمبر: إرسال ممثلين عن الهاغاناه الى تشيكوسلوفاكيا لعقد صفقة أسلحة مع شركة سكودا المختصة بصناعة الأسلحة.

● ٨ أيلول / سبتمبر: نشر تقرير لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين. اوصت أغلبية الأعضاء بالتقسيم، بينما اوصى الأعضاء الباقون بحل فيدرالي.

● ١٦ ــ ١٩ أيلول / سبتمبر: جامعة الدول العربية تعين، في اثر اجتماعها في صوفر بلبنان، لجنة عسكرية فنية، وتحمّلها مسؤولية الاشراف على حاجات شعب فلسطين الدفاعية، وترفض اقتراح التقسيم الصادر عن لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين.

● ٢٦ أيلول / سبتمبر: وزير المستعمرات البريطاني، آرثر كريتش جونز، يعلن قرار الحكومة البريطانية بإنهاء انتدابها على فلسطين.

● ٢٩ أيلول / سبتمبر: الهيئة العربية العليا ترفض اقتراح التقسيم.

● ٢ تشرين الأول / أكتوبر: الوكالة اليهودية تعلن قبولها بالتقسيم.

● ٣ تشرين الأول / أكتوبر: الشعب الفلسطيني يدعو الى إضراب عام لمدة ثلاثة أيام.

● ٧ ــ ١٥ تشرين الأول / أكتوبر: جامعة الدول العربية تؤكد، في اجتماعها المنعقد في عاليه بلبنان، قرارات مؤتمر بلودان السرية المتعلقة بمصالح الغرب النفطية، وتخصص مليون جنيه استرليني للجنة العسكرية الفنية.

● ١١ تشرين الأول / أكتوبر: الولايات المتحدة توافق على التقسيم.

● ١٣ تشرين الأول / أكتوبر: الاتحاد السوفياتي يوافق على التقسيم.

● ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر: الحكومة البريطانية تعلن عزمها على مغادرة فلسطين في غضون ستة اشهر، اذا لم يتم التوصل الى حل يقبله العرب والصهيونيون.



۲۹۳

الفلسطينيون يحاربون قوات دول المحور

۲۹۲ على الرغم من استيائهم الشديد من وحشية القمع البريطاني لثورتهم، فقد قام نحو تسعة آلاف فلسطيني بالتطوع خلال الحرب العالمية الثانية للقتال الى جانب القوات البريطانية ضد دول المحور. يُرى عرض لبعض هؤلاء المتطوعين في نابلس، أيار / مايو ١٩٤١.

عصابة شتيرن الارهابية تغتال اللورد موين

۲۹۳ اللورد والتر موين (١٨٨٠ — ١٩٤٤)، صديق حميم لونستون تشرشل، ووزير للمستعمرات البريطانية (١٩٤١ — ١٩٤٢)، وبعدها وزير مقيم في الشرق الأوسط. في ٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٤، اغتيل اللورد موين في القاهرة على يد شخصين ينتميان الى المنظمة الارهابية «لوحامي حيروت يسرائيل — ليحي» (المقاتلون من أجل حرية اسرائيل)، المعروفة باسم عصابة شتيرن نسبة الى مؤسسها أبراهام شتيرن. كان يتسحاق شمير، الرئيس الأسبق للكنيست ورئيس وزراء اسرائيل حاليا، أحد قادة العصابة الثلاثة الذين أصدروا أمر الاغتيال.[١]

۲۹۲



ארגון צבאי לאומי



IRGUN ZWAÍ LËUMI BE-EREZ JISRAËL
ORGANISATION MILITAIRE NATIONALE JUIVE D'EREZ JISRAËL
JEWISH NATIONAL MILITARY ORGANISATION OF EREZ JISRAËL

٢٩٤

الإرغون وأطماعها في شرق الأردن

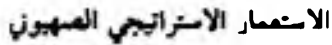
٢٩٤ ملصق لـ «ايرغون تسفائي لئومي» (المنظمة العسكرية القومية) واختصارها الإرغون. بدأت العصابة حملتها الإرهابية ضد الفلسطينيين في أيلول / سبتمبر ١٩٣٧، وكانت المنظمة الأم «عصابة شترن». الحروف العبرية داخل المربع معناها «الحل الوحيد». وهذا الحل، كما توضحه الخريطة والبندقية المرسومة فوقها، هو اقامة اسرائيل بالقوة على ضفتي نهر الأردن ـ اي في فلسطين وشرق الأردن. يرجع تاريخ هذا الملصق الى سنة ١٩٤٦ تقريبا.

مناحم بيغن وأستاذه فلاديمير جابوتنسكي

٢٩٥ مناحم بيغن، رئيس وزراء اسرائيل سابقا، يخطب، في اجتماع حاشد فور اقامة دولة اسرائيل. لاحظ التشابه بين الملصق في هذه الصورة والملصق في الصورة السابقة. الكلمات العبرية معناها «الوطن والحرية». وصل بيغن الى فلسطين قادما من الاتحاد السوفياتي في أيار / مايو ١٩٤٢، وكان عضوا في القوات البولندية التي ترأسها الجنرال فلاديسلو اندرز (Wladyslaw Anders)، وهي في طريقها لمحاربة الألمان في الغرب. هرب بيغن من فرقته ليلتحق بالإرغون (التي اصبح رئيسا لها فيما بعد) من أجل محاربة البريطانيين ثم الفلسطينيين. بدأ بيغن حملته الارهابية ضد البريطانيين في شباط / فبراير ١٩٤٤، قبل ان يمنى هتلر بهزيمته النهائية. الصورة على الحائط هي صورة فلاديمير جابوتنسكي (Vladimir Jabotinsky)، وهو صهيوني من بولندا، تشبّع بيغن بفكره الصهيوني المتطرف. كان جابوتنسكي قائدا لحركة الصهيونيين «الاصلاحية» (Revisionist) التي دعت، منذ العشرينات، الى تعديل صك الانتداب على نحو يمكن الصهاينة من الاستعمار القسري للضفة الشرقية لنهر الأردن، بالإضافة الى فلسطين.



٢٩٥



الاستعمار الاستراتيجي الصهيوني

٢٩٦ ــ ٢٩٨ نحو ثلاثمئة مستعمرة صهيونية ريفية جماعية (كيبوتس وموشاف) وغير جماعية، أنشئت خلال سنوات ١٨٨٢ ــ ١٩٤٨ في فلسطين. ومع ذلك، فان الأغلبية العظمى من السكان اليهود (اي ٧٥٪ من اليهود في سنة ١٩٤٨) كانت تعيش في ثلاث مدن رئيسية: القدس وحيفا وتل ابيب. أما المستعمرات الجماعية، فلم تؤسس إلا في العقد الأول من هذا القرن. وفي سنة ١٩٤٨، لم يكن اليهود يملكون أكثر من ٧٪ من أراضي فلسطين، معظمها لمصلحة المنظمة الصهيونية المركزية المسؤولة عن حيازة الأراضي، والتي تعرف باسم الصندوق القومي اليهودي (كيرين كايمت). وكان اختيار معظم المستعمرات يتم على أساس اعتبارات استراتيجية عسكرية، وبعضها ــ كما هو مبين في هذه الصور التي أخذت نحو سنة ١٩٤٦ ــ كان مراكز عسكرية بحتة. والسواد الأعظم من السكان الريفيين من الذكور، خصوصا في المستعمرات الجماعية، كان ينتمي الى المنظمة العسكرية الصهيونية الرسمية: الهاغاناه (أنظر الصور ٣٠٨، ٣٩٤، ٤٠٩، وما يليها).(٢)

الهجرة غير الشرعية

٢٩٩، ٣٠٠ عند نهاية الحرب العالمية الثانية، قررت القيادة الصهيونية زعزعة الحكم البريطاني في فلسطين، تمهيدا لتأسيس دولة يهودية. ومن الأساليب التي اتبعتها، تشجيع الهجرة اليهودية الجماعية غير الشرعية الى البلاد، بحيث يزيد عدد المهاجرين على العدد الرسمي الذي حدده الانكليز بعد الحرب، اي ١٨,٠٠٠ مهاجر يهودي سنويا، علما بأن تحديد مثل هذا العدد من المهاجرين اليهود من دون موافقة الفلسطينيين يخل بالوعود التي قطعتها بريطانيا الى الوفود العربية في مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ (أنظر الصورة ٢٩١). وفي سنوات ١٩٤٦ ــ ١٩٤٨، نقل عشرات الآلاف من اليهود بطريقة غير شرعية الى فلسطين. التقطت هاتان الصورتان في حيفا، صيف سنة ١٩٤٦.

٢٩٦



٢٩٧



٢٩٨



٢٩٩



٣٠٠



٣٠١



٣٠٢

فندق الملك داود

٣٠١، ٣٠٢ كان الارهاب أسلوبا آخر من الأساليب التي اتبعها الصهاينة؛ ففي ٢٢ تموز / يوليو ١٩٤٦ اصدر مناحم بيغن، قائد عصابة الإرغون (أنظر الصورة ٢٩٤)، أمرا بتفجير الجناح الجنوبي من فندق الملك داود في القدس. وكان الجناح المقر الرئيسي للإدارة البريطانية المدنية في فلسطين. قتل في هذا الحادث ٩١ موظفا وزائرا من المدنيين، بينهم ٤١ عربيا و٢٨ بريطانيا و١٧ يهوديا. عصابة الإرغون هي أول من لجأ الى استخدام المتفجرات على نحو متواصل ضد الأهداف المدنية في فلسطين منذ سنة ١٩٣٧. على ان التفنن في استخدام المتفجرات بلغ ذروته عندما استحدثت الإرغون، بقيادة بيغن، أسلوب السيارات المفخخة الذي أدخله بيغن الى الشرق الأوسط في ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

مخازن الأسلحة في المستعمرات الصهيونية

٣٠٣، ٣٠٤ كان معظم المستعمرات الصهيونية (أنظر الصور ٢٩٦ ـ ٢٩٨) يحوي مخازن سرية للأسلحة، مقامة داخل المنشآت المدنية والسكنية اليهودية. تبين هاتان الصورتان احدى المحاولات النادرة والقصيرة الأمد التي قامت بها القوات البريطانية للكشف عن بعض هذه المخازن.



٣٠٣



٣٠٤





الجامعة العربية تحذرا

٣٠٥ اجتماع مجلس الجامعة في بلودان، بسوريا، حزيران/ يونيو ١٩٤٦. اتخذ المجلس مقررات سرية تحذر الولايات المتحدة وبريطانيا من دعمها الصهيونية وأثره على مصالحها في العالم العربي. الجالسون من اليسار: محمود النقراشي ومحمد حسين هيكل (مصر)، فوزي الملقي (الأردن)، عبد الرحمن عزام (الجامعة العربية). وفي صدر الصورة الى اليمين صائب سلام والى يساره فيليب تقلا فسعدي المنلا (لبنان)، ثم جميل مردم بك وفارس الخوري وسعد الله الجابري (سوريا). الواقف الى اقصى اليسار هو احمد الشقيري.

تفجير محطة سكة حديد حيفا

٣٠٦ محطة سكة حديد حيفا بعد أن فجرها الارهابيون الصهاينة، خريف سنة ١٩٤٦.

الإرغون تحتجز الرهائن وتقتلهم

٣٠٧ احتجاز الرهائن وقتلهم، أحيانا، هما من أساليب الارهاب التي أدخلتها الإرغون بقيادة بيغن الى فلسطين. في الصورة جثتان: (الى اليسار) جثة الجاويش البريطاني كليفورد مارتن (Clifford Martin) وميرفن بيس (Mervyn Paice)، بعد ان خطفتها الإرغون في تموز/ يوليو ١٩٤٧ وشنقتها ولغمت جثتيها لقتل من يقدم على إنقاذها.

٣٠٨ «بيّارة» آل ابو لبن، قرب بتاح تكفا. في ١٥ آب / أغسطس ١٩٤٧، هاجمت الهاغاناه المنزل ونسفته بمن فيه، فقتل ١٢ مدنيا (أنظر الصور ٢٩٦ ـ ٢٩٨)، بينهم الأم وستة أولاد. وهذه أول عملية ارهابية رئيسية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ضد المدنيين العرب، قامت بها الهاغاناه التابعة لقيادة دافيد بن ـ غوريون (أنظر الصورتين ٣٩٤، ٤٠٩).



٣٠٧



٣٠٨



٣٠٩

٣٠٩ عكا، الى الجنوب باتجاه البلدة القديمة، والضواحي الجديدة التي خلفها. بلغ مجموع سكانها، عند نهاية الانتداب، ١٢,٣٦٠ نسمة بينهم ٥٠ يهوديا. استولت القوات الصهيونية على عكا في ١٧ أيار / مايو ١٩٤٨ (انظر الصورتين ٤١٦، ٤١٧).

٣١٠ مدينة صفد في الجليل الشمالي. في مقدمة الصورة نرى أقراص التين التي كانت تجفف بأشعة الشمس (كانت توضع تحت أوراق الطيخ لمنعها من الاتصال المباشر بالنار). عند نهاية الانتداب، بلغ مجموع سكان صفد نحو ١١,٩٣٠ نسمة، بينهم ٢٤٠٠ يهودي تقريبا. استولت القوات الصهيونية على المدينة في ١١ أيار / مايو ١٩٤٨.

٣١١ بيوت وحدائق في رام الله. عند نهاية الانتداب، بلغ مجموع سكان رام الله نحو ٥٠٠٠ نسمة، كلهم فلسطينيون ومعظمهم من المسيحيين. احتلتها اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧.



٣١٠



٣١١



٣١٢

٣١٢ سكان نابلس (٢٣,٠٠٠ نسمة تقريبا عند نهاية الانتداب) كلهم فلسطينيون. وقد احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧.

٣١٣ الخليل (خليل الرحمن) من الشرق، بلغ عدد سكانها نحو ٢٥,٠٠٠ نسمة عند نهاية الانتداب، كلهم فلسطينيون. احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧.

٣١٤ غزة هاشم، من جبل منطار، سنة ١٩٤٣. بلغ عدد سكانها، عند نهاية الانتداب، نحو ٣٤,٠٠٠ نسمة، كلهم فلسطينيون. احتلتها اسرائيل مرتين: الأولى سنة ١٩٥٦، والثانية سنة ١٩٦٧.



٣١٣



٣١٤



٣١٥

٣١٥ بيت جالا، بالقرب من بيت لحم، من الجو. عند نهاية الانتداب، بلغ عدد سكانها نحو ٤٠٠٠ نسمة، كلهم فلسطينيون ومعظمهم من المسيحين. احتلت اسرائيل هذه القرية سنة ١٩٦٧.



٣١٦

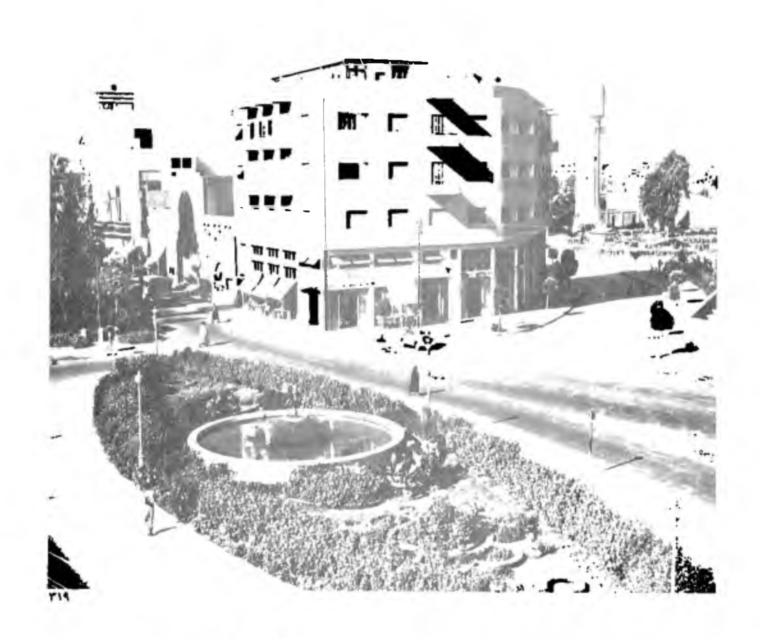
٣١٦ أسوار عكا القديمة، بنيت في القرن التاسع الميلادي.



٣١٧



٣١٨



٣١٩

٣١٧ مبنى بلدية غزة.

٣١٨ مستشفى الدجاني الخاص، يافا، اسسه الدكتور فؤاد الدجاني سنة ١٩٣٣.

٣١٩ يافا في منتصف الأربعينات. بلغ عدد سكانها ـ عند نهاية الانتداب ـ ١٠٠,٠٠٠ نسمة، ٣٠٪ منهم يهود والباقي فلسطينيون. احتلتها القوات الصهيونية في ١٠ أيار / مايو ١٩٤٨ (أنظر الصور ٤١٢ ـ ٤١٥).

٣٢٠ صورة عن قرب لسينما الحمرا في يافا.

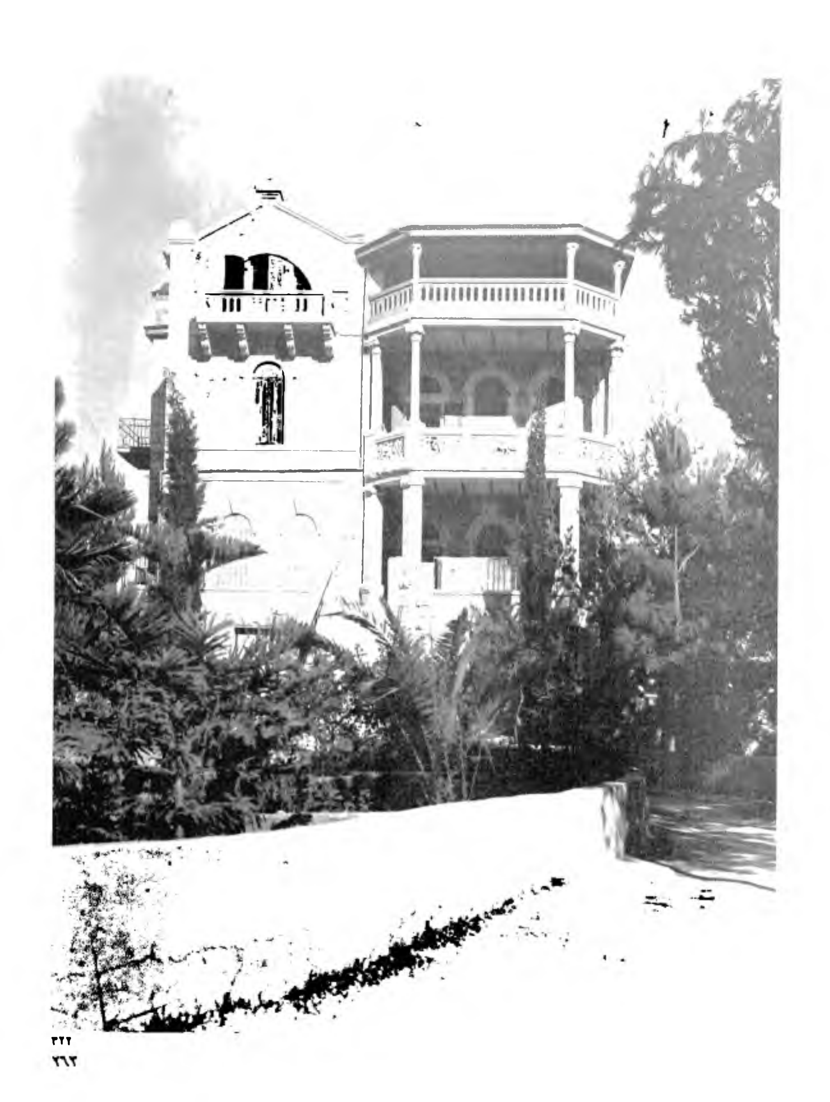
٣٢١ مدرسة «الفريندز» للبنين، رام الله.

٣٢٢ نموذج من الفن المعماري الفلسطيني، رام الله.

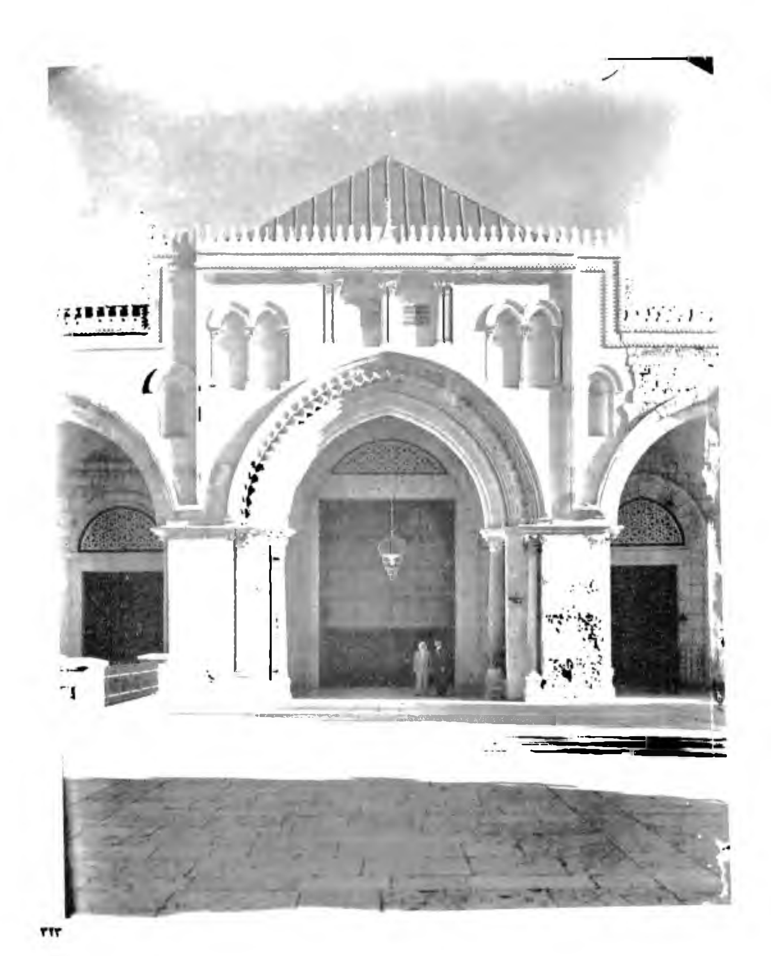


٣٢٠


٣٢١



٣٢٢
٢٦٢



٣٢٣

٣٢٤



٣٢٥

٣٢٣ البوابة الرئيسية للمسجد الأقصى، القدس، سنة ١٩٤٣.

٣٢٤ منظر للأعمدة داخل المسجد الأقصى. لاحظ النوافذ الزجاجية الملونة.

٣٢٥ محراب المسجد الأقصى ومنبره.

٣٢٦ منظر لشارع في القدس خارج باب الخليل، أوائل الأربعينات.

٣٢٧ بناية طنّوس (تملكتها عائلة فلسطينية بروتستانتية)، القدس الجديدة (أي خارج أسوار البلدة القديمة)، حيث كان معظم الأراضي والعقارات ملكا للفلسطينيين، أوائل الأربعينات.

٣٢٨ منزل في الحي السكني الفلسطيني – الطالبية – في القدس الجديدة، أوائل الأربعينات.



٣٢٦



٣٢٧



٣٢٨

٣٢٩ ـ ٣٣١ نماذج من الفن المعماري الفلسطيني، القدس، أوائل الأربعينات.



٣٢٩



٣٣٠



٣٣١





٣٣٢

٣٣٢ منظر عام لحي الطالبية، القدس الجديدة، أوائل الأربعينات. في ٣٠ نيسان / ابريل ١٩٤٨، استولت القوات الصهيونية على هذا الحي وعلى جميع الأحياء السكنية الفلسطينية الواقعة في القسمين الغربي والجنوبي من القدس الجديدة، بما في ذلك أحياء البقعة الفوقا، والبقعة التحتا، والقطمون، و«الكولونية» اليونانية، و«الكولونية» الألمانية.

التجارة والصناعة

امتازت الجالية اليهودية على السكان الفلسطينيين، في مجال الصناعة خاصة، لعدة أسباب لعل أهمها ان ٨٠٪ من السكان اليهود حينذاك جاؤوا فلسطين من دول اوروبية صناعية، وخاصة بولندا وألمانيا. وكان معظمهم ينتمي الى الطبقة الوسطى ذات الخبرات الادارية والصناعية والمصرفية، ومن ذوي الطاقة البشرية الفنية بالكفاءات الفنية والعلمية. يضاف الى ذلك ان رأس المال، الصناعي وغير الصناعي، كان متوفرا ليهود فلسطين من مصادر يهودية عالمية، وخصوصا من الولايات المتحدة. وزاد في القدرة الصناعية اليهودية في فلسطين عاملان آخران: لقد عقدت الحركة الصهيونية في أواسط الثلاثينات اتفاقا مع السلطات الألمانية النازية يسمح لليهود النازحين من ألمانيا بتصدير الآلات الصناعية الألمانية الى فلسطين في مقابل تخليهم عن ممتلكاتهم في ألمانيا؛ أما العامل الآخر، فقد كان التشريعات التي سنتها حكومة الانتداب لصالح الصناعة اليهودية الناشئة، وعلى رأسها الحماية الجمركية لها. ورغم ذلك فقد حافظ الفلسطينيون على صناعاتهم التقليدية (الزيت والصابون) وطوروها، ثم ولجوا مجالات صناعية جديدة برزوا فيها، مثل صناعة السجائر والكبريت والنسيج والورق والاسمنت. ورافق النشاط الصناعي نشاط تجاري متزايد تمركز في المدن الكبرى: القدس ويافا وحيفا. ودعم هذا كله نظام مصرفي وطني رائع، تزعمه البنك العربي من مقره في القدس وفروعه في أرجاء البلد كافة.

٣٣٣ المعرض العربي عند اقامته أول مرة في القدس، سنة ١٩٣٣.

٣٣٤ الجناح العراقي في المعرض العربي بالقدس، سنة ١٩٣٣.

٣٣٥ صناعة الصابون.

٣٣٦ تغليف الصابون في مصنع حسن الشكعة في نابلس، نحو سنة ١٩٤٠.



٣٣٣.

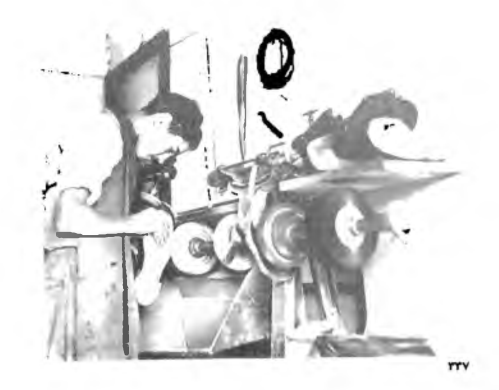


٣٣٤

٣٣٥



٣٣٦



٣٣٧

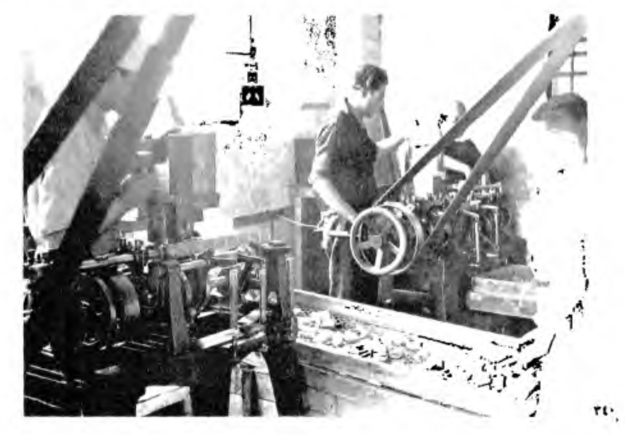
٣٣٧ عمل للأحذية، سنة ١٩٤٢.
٣٣٨ مطاحن الناعمة، نابلس، سنة ١٩٤٠.
٣٣٩ قسم الماكينات التابع لمطاحن الناعمة، نابلس، سنة ١٩٤٠.
٣٤٠ مصنع للكبريت، نابلس، سنة ١٩٤٠.



٣٣٨



٣٣٩



٣٤٠

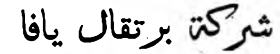
٣٤١ بالات التبغ في المخزن، الناصرة، نحو سنة ١٩٤٠.
٣٤٢ تغليف السجائر في شركة السجاير والتبغ العربية، الناصرة، نحو سنة ١٩٤٠.





٣٤٢

٣٤٢أ – ٣٤٢ف مجموعة من الاعلانات التجارية، كما ظهرت في الصحف الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨.



٩٤ – شارع اسكندر عوض رقم ٨ تلفون ١٤١٦ – ص.ب ٢٨٩

لاصحابها :

توفيق واحمد ابو لبن وشركاهم.

تنتج وتصدر جميع انواع الاثمار الحمضية لسوق الاقطار المجاورة وما وراء البحار وخاصة للمملكة المتحدة ومن اشهر ماركاتها المسجلة :

GOLD-APPLE	GOLD-BEAM
J. O. C.	DIANA
TOP-DOG	HEROS
GOLD-KIST	ABDULLA

JAFFA ORANGE Co.

JAFFA. Howard Street No. 8 Telephone 1416 P. O. B. 289

Props. : T. & A. ABU-LABAN & CO.

Growers & Exporters of all kind of Citrus Fruits to all parts of near by countries & Europe, especially U. K. Its famous registered brands :

GOLD-APPLE	GOLD-BEAM
J. O. C.	DIANA
TOP-DOG	HEROS
GOLD-KIST	ABDULLA

٣٤٢جـ

The ARAB BANK Ltd.

It is the first ARAB BANK established in Palestine with Capital purely subscribed by Arabs, and it is altogether managed by Arab hands. It enjoyed the utmost confidence and success owing to the co-operation of the Arab Nationalists both at Home and in America. Its customers were multiplied in number and it established two branches, one in Jaffa and the other in Haifa, while a third branch will be shortly established at Amman.

The Bank receives short term and long term deposits, with a high rate of interest. It gives credit on commercial and financial papers. It discounts Commercial Bills whether they are sight or time drafts. It accepts Promissory Notes on collection and issues Inland and Foreign Checks. It buyes Financial Papers and different Notes of the Foreign currencies. In general it performs all the Banking Business.

Its moto in its work, has always been, Righteousness, faithfulness, and sincerity. Its stimulus is work and perseverance.

We, therefore request every Arab and Nationalist to serve his country by dealing with this Bank and co-operating with it for Nations are never built without Co-operation.

٣٤٢أ

THE JAFFA PRESS CO.

JAFFA Bistrus Kassab St. P. O. Box 182 Teleph. 1078 Teleg.: JAPCO



٣٤٢د

Arab Citrus Line, Jaffa

The Arab-Line for Jaffa Citrus Fruits, is the unique national Arab Company, was formed two years ago for the purpose of shipping Jaffa oranges. It has a board consisted of 8 merchants whose duties are: To fix ships' destinations & to classify & designate sale-market.

The shipment charges of this company since its being established have been 1 S. 2 d. per box, whereas the fees of other Companies are 1 S. 7 d. The 5 d. difference is economized to the Interest of the shipper.

٣٤٢ب

VITAFRUT LTD.



فيتا فروت لمتد

Producers of Fruit Juices concentrates, ... Marmalade, Citrus Essential Oils etc.

JAFFA, ... P.O.B. 695, Phone 1078

An up to date factory equipped with modern machinery for the production of concentrated Citrus Fruit Juice under high vacum.

The total processing of the concentration is carried out at the factory where freshly picked fruit is squeezed and the juice immediately concentrated and put into new wooden barrels.

This method of juice concentration ensures to our product the flavour, freshness and total contents of vitamine C in the fresh juice.

يافا (فلسطين) لاصحابها : جورج وموريس زماريا ص.ب ١٢٥ - تلفون ١٠٧٨

معمل عصري حديث مجهز بالالات الفنية لانتاج عصير الحمضيات المكثف من عصيات فلسطين الطازجة والحارة؛ بعد العصير بطرق فنية رصية تحفظ ما به من الفيتامينات وخصوصا «فيتامين سي»

Sansour Cigarettes Co.

Phone 246

Factory : Bethlehem — Phone 7130

Established since more than 25 years in America & Palestine.

The best virginia blend Cigarette Manufacturers

---

(١٨٦)

سعيد وعبد الرحيم الحاج على ابو كـ

تجارة تصدير واستيراد جلود معامل احذية

مستعدون لاخذ وكالات جميع الاصناف التجارية وتلبية جميع

الطلبات في الداخل والخارج

وكالات واعمال كومسيون لجميع اصناف التجارة

يافا فلسطين شارع بسترس ١٠٣ وشارع النشية نمرو ١٢

المكتب الرئيسي بسترس

ANWAR. A ARAFAT B. A.

President of
Arab Labour Society
&
Retailers' Trade - Union
&
Secretary of
Copy-Books & Cardboard Boxes Manufacturers' Federation
Building & Sanitary Materials Merchants' Society
Haberdashery and Cloth Merchants' Association
Chamber of Commerce and Economic Affairs
'Tuemith' Co-operative Society' Ltd.
'Talkin' Co-operative Society, Ltd.
Cattle Importers' Association, etc
Tel. No 164
P. O. B. No. 33
Salahiya Road
Nablus
Member of Regional Safety Council

---

(١٨٧)

خليل عيد وشركاه

K. EAD & CO. P.O.B. 782 Telephone 4783 Allenby Road 7 Haifa.

Branches : Jerusalem, Jaffa & «Tel Aviv» Amman «Transjordan»

Representations in all Arab countries

Import Export Manufacturers Representatives Shipping

Forwarding Clearing Insurance

References: Barclays Bank «D.C.&O.» Haifa. The Arab Bank Haifa.

The Arab chamber of Commerce of Haifa and District

محلات

عيسى فريج واولاده

القدس . يافا حيفا

اسماعيل ص.ب ٦١٥ - سوق بسترس تلفون ٢٥٢٥ شارع الملوك ٣٣

تلفون ٢٥٣٣

يتعاطون تجارة الاقمشة الصوفية

والالبسة الجاهزة

بالجملة والمفرق

The Arab Union Cigarette & Tobacco Co. Ltd., Haifa

HEAD OFFICE: ... HAIFA, P.O.B. 738, TEL. ... CABLES: ...



فؤاد - زعيم - اكسترا - صباح

السجاير المسرطة من اجود انواع

مزيج الدخان التركي والفلسطيني

* * *

Fouad, Zaim, Extra, Sabah.

Blended of Finest Turkish and Palestinian Tobacco.



* * *





لاصحابها : ايوب داود السروجي واخوانه

يافا — شارع البطه — تلفون ١٧١٤

Jaffa, Butmeh Street — Tel. 1714

مصنع عربي حديث كامل المعدات الفنية

لانتاج اجسام سيارات الباص والوريات والتراكات

عمال عرب يتقنون كل صناعة لانتاج اجسام السيارات

ماركتنا المسجلة في صدر كل « باص » تركب

Manufacturers of Bodies for Busses, Trucks & Lorries

THE BIGGEST ARAB FACTORY OF IT'S KIND IN PALESTINE & TRANSJORDAN.
OUR MANUFACTURES RUNNING ON ALL ROUTES IN PALESTINE.

٣٤٢ط

شركة التموين الاقتصادي الزراعي

فاروقي و غصين

يافا (فلسطين) — شارع طريفه   ص.ب ١٠٨ — تلفون ١٠

الوكلاء الوحيدون بيافا

لمعامل الكيماوية الامبراطورية (الشرق) ليمتد للاسمدة الكيماوية والادوية الزراعية

تزويد المزارعين بكافة الحاجات الزراعية

١ — الاسمدة الكيماوية والادوية الزراعية   ٢ — البذور الزراعية والاشتال والاغراس

٣ — الادوات والآلات الزراعية ولوازم تربية النحل والدواجن

القيام بالمشاريع والاعمال الزراعية

١ — مشروع انتاج الحليب   ٢ — مشروع مناحل منتجات الالبان

٣ — حراثة الاراضي بالآلات الحديثة والاعمال الزراعية الاخرى

Economic Agricultural Supply Co.

Zarifeh St., JAFFA (Palestine) — P.O.B. 108, Tel. 10

Sole Agents for:

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES (LEVANT) LTD. IN JAFFA
FOR CHEMICAL FERTILIZERS & PLANT PRODUCTION PRODUCTS

Manufacturing of Dairy Products.

SUPPLY FARMERS WITH AGRICULTURAL REQUISITS.
AGRICULTURAL IMPLEMENTS & MACHINERY.
AGRICULTURAL SEEDS - SEEDING & PLANTATIONS.

٣٤٢ي

صناعة جميع منتجات الالبان على احدث الطرق الصحية والفنية

حليب

لبن — لبنه

قشطه — زبده

اجبان طرية

بلدي وقاسية

استانبولي — كشكوان

وجميع الانواع الاوروبية

مصانع الالبان العربية

ARAB DAIRY PRODUCTS MANUFACTORIES

ECONOMIC AGRICULTURAL SUPPLY CO.

Manufacturing of Milk Products under the Most Hygienic & Scientific Conditions

MILK,
LABAN, LABNEH,
CREAM, BUTTER,
SOFT & HARD
CHEESES.
DUTCH, SWISS,
FRENCH & ITALIAN
VARIETIES.

احمد عبد اللطيف اسليم واولاده

حارة الدرج — غزة

اجود وامتن واجمل انواع الاواني الفخارية الفنية ، صناعة عربية محلية منتشرة

في سائر انحاء فلسطين

تلبي الطلبات بسرعة وامانة واتقان

٣٤٢ك



محمد جودت ملص

MOHAMED J. MALAS

شهر زاد

٣٤٢ل

مناسج ومعامل لصناعة الاقمشة الصوفية والقطنية

القدس ـ المخزن العام للشركة سوق الدباغة ـ ص.ب ٥٦٦ ـ تلفون ٣٥٩٨

شركة النسيج الوطنية العربية المحدودة



THE ARAB NATIONAL TEXTILE Co. Ltd

MANUFACTURERS OF WOOLLEN AND COTTON

Wholesalers – Dabbagha Store, Jerusalem – Tel. 3598, P.O.B. 569

٣٤٢ن

THE PALESTINE SYRIAN TEXTILE CO. LTD.

MANUFACTURERS & EXPORTERS

Head Office: I, Corniche El-Ajami St., Jaffa, Phone 17, P.O.B 113.



Manufacturers of Silk, Rayon, Linen, Cotton & Mixed-weave Fabrics in Modern shades & Designs. Fast colours. Washable & Fadeless.

Ladies & Mens Suitings, Plain & Fancy shirtings, striped & plain Flannelette & poplin for Pyjamas Table Cloths Mattress covers



٣٤٢م

ASAD'S STORES, Jaffa

Trustworthy Stores for furnishing the reliable best manufactured articles. Equipments & outfittings for Toilet-appliables. Ready Made Costumes & Dresses for Ladies & Gentlemen: Grand Dep: for Sporting Implements & Instruments. Scouting Necessialies. GRAND Dep: for

soap
Palmolive & Cammy

Prices are Reasonably Fixed.

محلات اسعد بيافا

هي المحلات التي تمتد من حيث جودة الاصناف، وفيها جميع لوازم العائلة للكبار والصغار من ملبوس وادوات زينة (تواليت) فساتين جاهزة للسيدات وبدلات للرجال ومعاطف فاخرة

محلات اسعد اكبر مستودع الادوات الرياضية ولوازم الكشافة وكذلك لصابون

بالموليف وكمي

اسعار محلات اسعد محدودة وهي في غاية الاعتدال



٣٤٢س

شركة السكب الفلسطينية

المحدودة الاسهم

يافا - شارع القدس تلفون ٧٧١

١ تأسست سنة ١٩٣١ لسد حاجة عرب فلسطين الى مؤسسة وطنية تتولى صنع ما يحتاج اليه الصانع والاوساط العربية في البلاد .

٢ تصنع الشركة ، في معاملها الخاصة ، أجزاء الموتورات والمكينات وقواعد « شاسي » لموتورات ديزل البحرية ، والطلمبات والمكابس والكسارات والطواحين وغيرها من الأدوات الميكانيكية الممتازة المتقنة الصنع .

٣ لدى الشركة كل التجهيزات العصرية اللازمة لصهر الحديد وسكبه وخراطته ولحمه واخراجه آلات حديثة ، دقيقة الصنع ، متينة .

٤ في الشركة تسعون عامل عربي فني يقومون بهذه الاعمال الفنية تحت اشراف مدير علم هو السيد موسى عبد... ، خريج جامعة اريزونا في الولايات المتحدة الاميركية.

PALESTINE IRON AND BRASS FOUNDRY LTD.

Jerusalem Road, JAFFA — Tel. 771

An Arab institution founded in 1931 by Arab industrialists who appreciated the importance of mechanised industry in the economic future of the country.

It has since helped to cover the ever increasing need for Hydraulic Press, Pumps, Stone Crushers, Irrigation Booster Pumps, Flour Mills etc.

The Palestine Iron and Brass Foundry Company employs ninety skilled Arab workers highly experienced. The Company has succeeded into securing customers even from Transjordan, Syria and Lebanon.

The Palestine Iron and Brass Foundry Company is actually the largest of its kind in Palestine.

Opposite: Samples of mechanised articles produced by the Company for use in industrial, agricultural and all sorts of constructive schemes in Palestine.

٣٤٦ف



٣٤٢ع



٣٤٣

٣٤٣ فيضي العلمي مع زوجته وابنه موسى، القدس، سنة ١٩١٩ (أنظر الصورة ٦٧). حاز موسى على شهادة الحقوق من جامعة كمبريدج. خلال الثلاثينات، كان معاون المدّعي العام في إدارة الانتداب. وعمل فترة وجيزة سكرتيرا خاصا للمندوب السامي البريطاني، مع محافظته على علاقاته بقيادة الحركة الوطنية. وفي سنة ١٩٣٩، كان عضوا في الوفد الفلسطيني الى مؤتمر لندن (أنظر الصورة ٢٩١). قام موسى بتمثيل الأحزاب السياسية الفلسطينية في المحادثات التمهيدية التي جرت في الاسكندرية سنة ١٩٤٤، قبل تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥. وقد وافق المؤتمر، بناء على اقتراحه، على إنشاء مكاتب للاعلام العربي في عدة عواصم اوروبية وفي نيويورك، وعلى إنشاء صندوق خاص لمساعدة المزارعين الفلسطينيين على الاحتفاظ بأراضيهم. بعد سنة ١٩٤٨، أسس موسى العلمي جمعية المشروع الانشائي العربي التي تبنت عدة مشاريع، بينها إنشاء مدرسة نموذجية للتدريب الزراعي للبنين في أريحا.

٣٤٤ القس صالح سابا وعائلته، القدس، نحو سنة ١٩٢٢. كان فؤاد سابا (الأول من اليسار في الصف الثاني) أول فلسطيني يحصل على ترخيص لممارسة مهنة تدقيق الحسابات أيام الانتداب البريطاني. توسعت شركة سابا بحيث اصبح لها، عند حلول سنة ١٩٤٨، فروع في شرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر. كان فؤاد عضوا في اللجنة العربية العليا. نفي الى جزر سيشيل (أنظر الصور ٢٤٢، ٢٦٨، ٢٦٩)، وحضر مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ (أنظر الصورة ٢٩١).

٣٤٥ بعض أساتذة مدارس يافا، نحو سنة ١٩٢٣. يُرى جالسا ثابت الخالدي، مؤلف كتاب لتدريس الكيمياء. اصبح سفيرا للأردن لدى الأمم المتحدة، وبعدها سفيرا لدى ايران. يُرى واقفا (من اليسار الى اليمين): وصفي عنبتاوي، مؤلف العديد من الكتب المدرسية في الجغرافيا ووزير المالية في الأردن فيما بعد (أنظر الصورة ٢٢٥)، وسامي العبد اللدي اصبح مديرا لاحدى مدارس عكا، وسليم كاتول (أنظر الصورتين ٢١١، ٢١٢).



٣٤٥



٣٤٤



٣٤٦

٣٤٦ عائلة الحاج راغب الخالدي، يافا، منتصف العشرينات.

٣٤٧ «قوّاص» القنصلية الأميركية في القدس، مرتدياً الزي التقليدي.

٣٤٨ الدكتور داود بولس، طبيب بروتستانتي، مع زوجته عدلة وابنه نسيب (اصبح محامياً فيما بعد)، عكا، سنة ١٩٢٣.

٣٤٩ الشابان الجالسان في الأمام، في هذه الصورة، هما أكرم زعيتر الى اليسار (أنظر الصورتين ٢٣٣، ٢٣٥)، وأحمد الشقيري الى اليمين (أنظر الصور ٦٩، ١٠٥، ٢٢٤).



٣١٧



٣١٩



٣١٨



٣٥١



٣٥٠

٣٥٠ هاشم الجيوسي (١٩٠١ – ١٩٨١)، رئيس بلدية طولكرم من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٨ (أنظر الصورة ٣٧٦). تولى وزارة المالية الأردنية ست مرات، بالاضافة الى توليه منصب رئيس الوزراء بالنيابة ونائب رئيس مجلس الأعيان الأردني.

٣٥١ المقاول الحاج احمد الاسعد، مع ابنه محمد وزوجته (تضع يدها على كتفه) وقريبة له، دير ياسين، سنة ١٩٢٧. (أنظر الصورة ٤١١)

٣٥٢ راغب النشاشيبي (أنظر الصور ١٠٠، ١٩٦، ٢٤٢)، من الشخصيات الفلسطينية البارزة أيام الحكم العثماني والبريطاني والأردني لفلسطين. بدأ حياته العملية رئيسا لإدارة الأشغال العامة في العهد العثماني. كان مندوبا عن القدس في البرلمان العثماني خلال الحرب العالمية الأولى. شغل منصب رئيس بلدية القدس في سنوات ١٩٢٠ – ١٩٣٤. قام بتأليف حزب الدفاع وتولى رئاسته وتمثيله في اللجنة العربية العليا (أنظر الصورة ٢٤٢). اصبح حارسا للأماكن المقدسة في القدس بعد حرب ١٩٤٨، خلال الحكم الأردني.

٣٥٣ فريدة دميان، حيفا، سنة ١٩٣١.



٣٥٣



٣٥٢



٣٥٥





٣٥٦



٣٥٤



٣٥٧



٣٥٨

٣٥٤ حرم توفيق بسيسو مع أولادها، غزة، سنة ١٩٣٣. ابنها معين يفتخر بحمل احدى المجلات. اصبح، فيما بعد، كاتبا مسرحيا، وشاعرا من شعراء الثورة الفلسطينية في الستينات.

٣٥٥ شاعر فلسطين الفذ، ابراهيم طوقان، خريج الجامعة الاميركية في بيروت، نابلس، سنة ١٩٣٤. عمل طوقان مدرسا في الجامعة الاميركية في بيروت، ثم في كلية النجاح بنابلس، والمدرسة الرشيدية بالقدس. وتولى الإشراف على القسم العربي في محطة اذاعة فلسطين في سنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٤١. توفي سنة ١٩٤١.

٣٥٦ ثلاثة زملاء من حيفا، سنة ١٩٣٤.

٣٥٧ خليل بيدس من الناصرة (١٨٧٤ ـ ١٩٤٩)، اديب علّامة مختص بالأدب الروسي، ورائد في كتابة القصة الفلسطينية الحديثة. ترجم أعمال تولستوي وبوشكين الى العربية. خليل والد يوسف بيدس، وهو من كبار المصرفيين الفلسطينيين.

٣٥٨ عادل زعيتر (أنظر الصورة ١٠٢) يحتضن ولده وائل والى جانبه ولده عمر، نابلس، سنة ١٩٣٥. عمر اصبح ضابطا في القوات المسلحة في الكويت، ووائل اصبح مديرا لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في روما. اغتاله عملاء المخابرات الاسرائيلية سنة ١٩٧٢.



٣٦٠



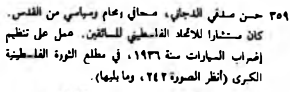
٣٥٩



٣٦١

٣٦٢





٣٥٩ حسن صدقي الدجاني، صحافي ومحام وسياسي من القدس. كان مستشارا للاتحاد الفلسطيني للسائقين. عمل على تنظيم إضراب السيارات سنة ١٩٣٦، في مطلع الثورة الفلسطينية الكبرى (أنظر الصورة ٢٤٢، وما يليها).

٣٦٠ منى منصور، تزوجت فيما بعد المهندس المعماري بيج سابا (من العرب المقيمين في أميركا)، حيفا، سنة ١٩٣٧.

٣٦١ شارلوت جلاد (في الوسط) من يافا، مع أصدقاء لها في رحلة الى البحر الميت سنة ١٩٣٧.

٣٦٢ مجموعة من طلبة العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت. معظمهم من فلسطين.

٣٦٣ الكاتبة الفلسطينية أسمى طوبي من الناصرة (يدها على ذراع المقعد)؛ وصفيه رياحي من يافا (جالسة) التي أصبحت محاضرة في اللغة العربية بكلية بيروت للبنات، سنة ١٩٣٨.



٣٦٣



٣٦٤

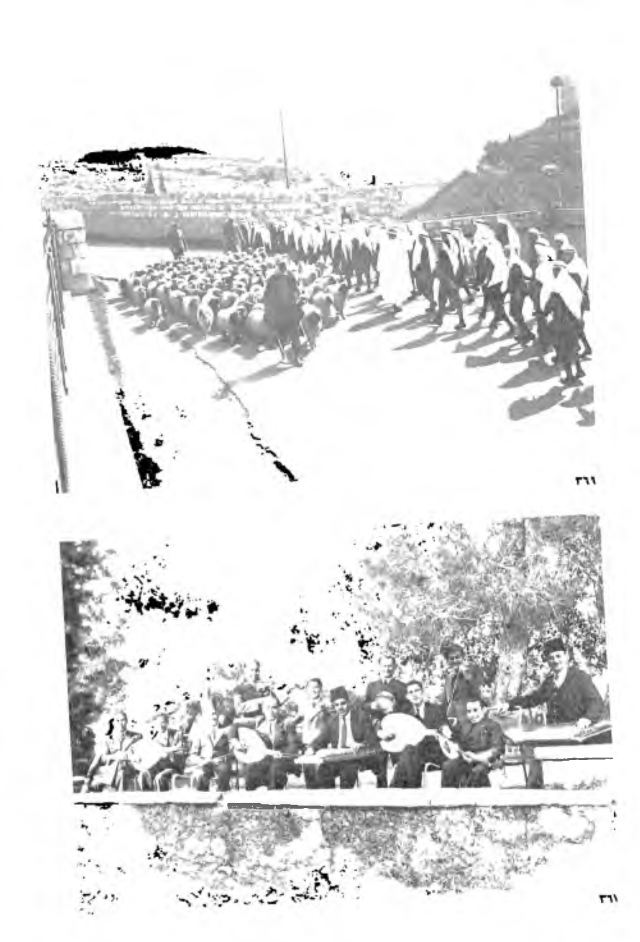
٣٦٤ جورج أنطونيوس (١٨٩١ ـ ١٩٤٢). بدأ، بعد تخرجه من جامعة كمبريدج، عمله في الخدمة المدنية بفلسطين في دائرة المعارف، ثم في السكرتارية (الجهاز التنفيذي للانتداب البريطاني). استقال من منصبه الأخير سنة ١٩٣٠، ليصبح باحثا مشاركا في شؤون الشرق الأوسط بمعهد الشؤون الدولية (Institute of Current World Affairs) بنيويورك. كتابه المعروف «يقظة العرب» نشرته دار هاميش هاملتون للنشر في لندن سنة ١٩٣٨ [*The Arab Awakening* (London: Hamish Hamilton, 1938)]. عمل أنطونيوس أمينا عاما للوفود العربية في مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ (أنظر الصورة ٢٩١).



٣٦٥

٣٦٥ نابلس، سنة ١٩٢٥: الواقفون في الصف الثالث (من اليمين الى اليسار): حرم خليل السكاكيني، يوسف عبدو، الدكتور دعدس، راهب مجهول الهوية، يعقوب فرّاج، انفسوني وديع الخوري، سليمان عبد الرزاق طوقان (الذي تولى، فيما بعد، رئاسة بلدية نابلس ثم وزارة الدفاع في حكومة الاتحاد الأردني العراقي سنة ١٩٥٨)، الدكتور حسن شكري الخالدي، الكاهن توفيق (زعيم روحي من طائفة السمرة اليهودية).

ويشاهد في الصورة أيضا: إلين برامكي (خلف الراهب) والدة غابي برامكي، ومتري فرّاج (خلف انفسوني الخوري وسليمان طوقان)، والى يمينه ليندا ناصر والدة حنا ناصر. أما السيدة الجالسة (الثانية من اليمين) فهي نفسى حرم متري فرّاج، بينما الطفل الذي تحتضنه هو فؤاد فرّاج نائب القدس الحالي في البرلمان الأردني.



٣٦٦ راعي غنم مع قطيعه، وناظر مدرسة مع «رعيته»، خارج كنيسة الجسمانية، القدس.

٣٦٧ «تخت» محطة اذاعة فلسطين يعزف في حفلة خاصة، القدس، سنة ١٩٤٠.





٣٦٨



٣٦٩

٣٦٨ فتيات مرشدات في مدرسة البنات الحكومية في الناصرة، سنة ١٩٤٠.

٣٦٩ فتيات يرقصن في ملعب الألعاب الرياضية في كلية القدس للبنات، أوائل الأربعينات. تشاهد في الوسط، من اليمين، ليلى جمل وليلى مغنّم. أما الثالثة من اليمين، في الصف الثاني، فهي سعاد قيس.



٣٧١



٣٧٠

٣٧٠ ساعي البريد في القدس.

٣٧١ ممثلون في مسرحية «تاجر البندقية» في مدرسة الفريندز للبنين برام الله، نحو سنة ١٩٤١. يُرى في أقصى اليمين، سعيد أبو حمدة الذي أصبح فيما بعد مصورا محترفا.

٣٧٢ جمعية المناظرة باللغة الانكليزية في مدرسة النجاح، نابلس، سنة ١٩٤٢. يُرى في الصورة عصام عبّاسي (واقفا الثاني من اليمين)، الذي اصبح شاعرا وكاتبا روائيا. كتب العديد من المقالات الأدبية في صحيفة «الاتحاد» التي تصدر في حيفا.

٣٧٣ روث رعد، ابنة المصور الفوتوغرافي خليل رعد، مرتدية زي رام الله الوطني، نحو سنة ١٩٤٣ (أنظر الصور ٧٢، ١٢٤ ــ ١٣٦، ١٨٦).



٣٧٢



٣٧٣

٣٧٤ مغنّم مغنّم، محام بروتستانتي من رام الله في منزله، نحو سنة ١٩٤٤. درس في اميركا، وعمل سكرتيرا للمؤتمر العربي الفلسطيني السابع (أنظر الصورة ٨٢)، ثم أميناً عاماً لحزب الدفاع الوطني (أنظر صورة زوجته ونبذة عن حياتها، الصورة ٩٣).

٣٧٥ شكلت السلطات البريطانية قوة عرفت بـ «حرس حدود شرق الأردن»، معظمها من الفلسطينيين. هنا بعض أفرادها يتأهبون للسفر الى لندن، لحضور احتفالات نهاية الحرب العالمية الثانية. حلّت بريطانيا هذه القوة (قوامها ٢٥٠٠ شخص) قبل انتهاء الانتداب ببضعة أشهر (أنظر الصورة ٢٥٦) حتى لا يستفيد الفلسطينيون منها في مقاومة التقسيم.

٣٧٦ المؤتمر الرابع لرؤساء بلديات فلسطين، غزة، سنة ١٩٤٥. في الصف الأمامي من اليسار الى اليمين: هاشم الجيوسي (أنظر الصورة ٣٥٠)، رشدي الشوا (غزة)، عمر البيطار (يافا)، الشيخ مصطفى الخيري (الرملة)، سليمان طوقان (نابلس).
في الوسط، في الصف الثاني، الشيخ محمد علي الجعبري (الخليل)، والى يمينه حنا قواص (بيت لحم). كان في فلسطين ١٨ مجلساً بلدياً، بالاضافة الى مجلسين بلديين لليهود وأربعة مجالس مختلطة أيام الانتداب.

٣٧٧ عليّة الخيري تغسل ابنها لؤاز (الآن طيار مدني)، وادي حنين بالقرب من الرملة، سنة ١٩٤٥.


٣٧٤

٣٧٥


٣٧٦



٣٧٧



٣٧٨




٣٧٩




٣٨٠

٣٧٨ زعماء الطائفة الانجيلية الأسقفية العربية في فلسطين سنة ١٩٤٦. ويُرى القس نجيب قبعين متوسطا المطران الانكليزي الى يمينه، ورجل الأعمال سليمان طنوس الى يساره. أما الثالث من اليسار بين الجالسين، فهو القس بطرس ناصر من بير زيت، وهو عم كمال ناصر الأديب الشاعر الذي كان عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والذي اغتيل في منزله ببيروت في نيسان / ابريل ١٩٧٣، خلال غارة اسرائيلية على بيروت قصدته مع زملاء له رحمهم الله.

٣٧٩ وحيدة تاجي، وادي حنين بالقرب من الرملة، سنة ١٩٤٦. اصبحت وحيدة مساعدة لموسى العلمي (أنظر الصورة ٣٤٣) في مزرعة البنين في أريحا التي اشرفت على إدارتها جمعية المشروع الانشائي العربي.

٣٨٠ كبار رجال الدين الاسلامي يجتمعون في ساحة الجامع الابراهيمي بالخليل، سنة ١٩٤٧ (أنظر الصورة ١٨٠). يُرى الى اليمين رئيس بلدية الخليل، الشيخ محمد علي الجعبري.



٣٨١



٣٨٢

٣٨١ مجلس ادارة جمعية المعماريين والمهندسين العرب في القدس عند كنيسة المهد، بيت لحم، سنة ١٩٤٧. يُرى في الصورة جورج شبر (السادس الى اليمين) من الطائفة البروتستانتية. كان جورج مهندساً معمارياً يعمل مع إدارة الأوقاف الاسلامية، وتولى مهمة ترميم مسجد النبي صموئيل شمال القدس، والجامع الإبراهيمي في الخليل.

٣٨٢ الدكتور الألمعي عمر عبد الفتاح طوقان، باثولوجي، مع بعض الممرضات في مستشفى حيفا الحكومي سنة ١٩٤٧. شقيق شاعر فلسطين ابراهيم طوقان (أنظر الصورة ٣٥٥). اصبح عمر الباثولوجي الرئيسي في مستشفى الجامعة الأميركية ببيروت.



٢٨٣



٢٨٤

٢٨٣ جوقة دار المعلمات، القدس في أثناء احتفال رسمي، ربيع سنة ١٩٤٧.

٢٨٤ طالبات القسم الداخلي في كلية «شميدت» للبنات خلال نزهة في بساتين البرتقال في أريحا، سنة ١٩٤٧.



٣٨٦



٣٨٥

٣٨٥ صورة زفاف الدكتور جبرا الأعرج وعروسه ليديا، بيت جالا، نحو سنة ١٩٤٧.

٣٨٦ المحامي أنطون عطاالله، من ابرز وجهاء طائفة الروم الأورثوذكس. عمل قاضيا في محاكم القدس وحيفا (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣)، ونائبا لرئيس بلدية القدس (١٩٤٤ ـ ١٩٤٦)، ووزيرا للخارجية الأردنية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٧).

القسم الخامس

الحرب الداخلية ومحاولة تحطيم المجتمع الفلسطيني

تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ - أيار/مايو ١٩٤٨

مقدمة

اخذت المشكلة الفلسطينية تسير بخطى سريعة تجاه ذروة الكارثة. ففي ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧، أجازت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا يوصي بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة فلسطينية، مع وضع نظام دولي خاص للقدس وضواحيها، فضلا عن إنشاء اتحاد اقتصادي بين الدولتين اليهودية والفلسطينية. وذهل الفلسطينيون وغيرهم من العرب من هول الصدمة، بالقدر نفسه الذي تهلل فيه الصهاينة والمتعاطفون معهم.

المعارضة الفلسطينية للتقسيم

اقدمت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، التي ناصرت فكرة التقسيم وعززتها، على اتخاذ هذا الموقف وهي على علم كامل بالمعارضة الفلسطينية والعربية الشديدة لهذا الإجراء. وكان الفلسطينيون قد ضحوا بأرواح نحو أربعة آلاف من أبنائهم، في سبيل الكفاح ضد التقسيم، من سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٣٩. كما أن الجامعة العربية ــ منذ إنشائها ــ قد حذرت من اتخاذ قرار التقسيم. وكانت خطة التقسيم التي اخذت بها الأمم المتحدة مبنية على البرنامج الصهيوني الذي اعتمده الرئيس الاميركي ترومان في أوائل آب / أغسطس ١٩٤٦. أما من وجهة النظر الفلسطينية، فقد كان قرار التقسيم صهيونيا في أصله ومفهومه، كما انه فُصِّل تفصيلا ليلبي الحاجات والمطالب الصهيونية. وكان فوز قرار الأمم المتحدة بـ ٣٣ صوتا في مقابل ١٣، مع امتناع ١٠ عن التصويت وتغيب احد الوفود، راجعا ــ الى حد كبير ــ الى الضغط الهائل الذي مارسته الولايات المتحدة (ومن ذلك، التدخل الشخصي للرئيس ترومان) على الدول الأعضاء للتصويت بالموافقة. وما من شك في ان الاتحاد السوفياتي اقترع في مصلحة قرار التقسيم أيضا، لكن لا لشيء إلا لإنهاء الحكم البريطاني في فلسطين. ومما له مغزاه، ان القرار لم يفز بأية أصوات افريقية او آسيوية، باستثناء ليبيريا والفيليبين. فقد اقترعت ضده الهند وباكستان وتركيا وأفغانستان، في حين امتنعت الصين. وامتنعت عن التصويت أيضا دول كثيرة في أميركا اللاتينية (ومنها المكسيك). بل ان المندوب الكندي ذكر ان بلده يؤيد قرار التقسيم «بقلب حزين وبكثير من الريب.»[1] أما المملكة المتحدة، فقد امتنعت عن التصويت بخجل وحياء زائفين.

وكان التقسيم في نظر الفلسطينيين بمثابة إجراء يقدّمون بموجبه التضحيات كلها، بينما يجني الصهيونيون المغانم كلها. وكانت أسباب معارضتهم للتقسيم هي نفسها الأسباب التي أعلنوها سنة ١٩٣٧، مع الفارق ان قرار التقسيم الذي اصدرته الأمم المتحدة منح الدولة اليهودية المقترحة أراضي تفوق ١٠٠٪ تقريبا الأراضي التي ورد ذكرها في خطة ١٩٣٧. فالمساحة التي خصصت للدولة اليهودية، طبقا لقرار الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧، كانت أكبر من المساحة التي خصصت للدولة الفلسطينية المقترحة ذاتها (٥٥٠٠ ميل مربع في مقابل ٤٥٠٠ ميل مربع). في الوقت الذي لم يكن اليهود يشكلون فيه أكثر من ٣٥٪ من السكان، او يمتلكون أكثر من ٧٪ من الأرض. وفي حدود الدولة اليهودية المقترحة، لم تكن ملكية الأرض اليهودية تتجاوز، في واقع الأمر، ٦٠٠ ميل مربع من أصل المساحة الكلية البالغة ٥٥٠٠ ميل مربع. كما تقرر ان تدخل في نطاق الدولة اليهودية المقترحة جميع الأراضي المزروعة بالحمضيات تقريبا (وهي مقسمة بالتساوي، من حيث الملكية، بين اليهود والفلسطينيين)، و ٨٠٪ من الأرض المزروعة بالحبوب (وكلها مُلك لفلسطينيين)، و ٤٠٪ من مجموع الصناعات الفلسطينية. كما تقرر قطع الصلة تماما بين يافا، وهي الميناء الفلسطيني الرئيسي على البحر الأبيض المتوسط، وبين أراضي الدولة الفلسطينية. كما تقرر ان تفقد غزة صلاتها التقليدية بالمساحات الشاسعة من أراضيها الزراعية المنتجة للقمح والشعير في النقب. وكان من شأن القرار أيضا فصل المئات من القرى عن الحقول والمراعي، ومنع الاتصال المباشر بين الدولة الفلسطينية والبحر الأحمر من جهة، وسوريا من جهة أخرى. أما الاتحاد الاقتصادي بين الدولتين، والذي كان احد شروط التقسيم،

فكانت استحالته من الناحية العملية معروفة مقدما؛ فالنسيج المرقع الذي تقرر ان تقسم البلاد في إطاره، لم يكن له ادنى علاقة بالوقائع الاجتماعية والحقائق البشرية على الطبيعة.

ولم ير الفلسطينيون سببا يدعوهم الى تحمل تبعات تعذيب اليهود والتنكيل بهم (وهي جريمة كبرى في حق البشرية ارتكبها اوروبيون مسيحيون في أوروبا). كما ان التاريخ دلّهم على ان الصهيونية قد ولدت في الثمانينات من القرن الماضي قبل ظهور الرايخ الثالث، وأن أطماعها سبقت ولادة هتلر، ولم يفهموا لماذا لا يكون من العدل لليهود أن يكونوا أقلية في دولة فلسطينية واحدة، في حين انه كان من العدل ان يتحول نصف الشعب الفلسطيني تقريبا ــ وهو الأغلبية من أهل البلاد الأصليين الذين يعيشون فوق أرض توارثوها أبا عن جد ــ الى أقلية تحت حكم اجنبي، في ظل دولة يهودية يباركها التقسيم.

كما انفضح إجحاف قرار الأمم المتحدة بالتقسيم، في اعين الفلسطينيين وسائر العرب، برفض الجمعية العامة إجازة مشاريع قرارات كانت الوفود العربية قد اقترحتها قبل الاقتراع على مشروع قرار التقسيم. فقد أهاب المندوبون العرب باستشارة محكمة العدل الدولية فيما اذا كانت الجمعية العامة «مخولة لتنفيذ التقسيم او التوصية به»، ضد رغبات أغلبية أهل البلاد. وقد هزم مشروع قرار بهذا الشأن في اللجنة التي أُلفت لهذا الغرض بأغلبية ٢١ صوتا في مقابل ٢٠. كذلك تعادلت الأصوات (١٦ صوتا لكل من المؤيدين والمعارضين، مع امتناع ٢٥ عن التصويت)، عند الاقتراع على مشروع قرار آخر يقترح ان تساهم جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في التخفيف من محنة اليهود في أوروبا «بما يتلاءم مع مساحتها ومواردها الاقتصادية... وغير ذلك من العوامل المتصلة بالموضوع.» وفي مثل تلك الأحوال، شعر الفلسطينيون وسائر العرب بأنهم غير ملتزمين بقرار التقسيم، الذي كان على اية حال عبارة عن توصية من الأمم المتحدة ليس لها صفة الإلزام.

استعداد الصهاينة للحرب وبدء القتال

كانت الزعامة الصهيونية قد بدأت، مع مطلع شهر أيار / مايو ١٩٤٢، استعداداتها النهائية لتحويل فلسطين بأسرها الى دولة يهودية؛ وهي سياسة افصحت عنها صراحة في برنامج بلتمور الذي اقرته الحركة الصهيونية في فندق بلتمور بنيويورك، في ذلك التاريخ. فاذا كانت الحركة الصهيونية ــ حينذاك ــ على استعداد لتحويل فلسطين بأسرها الى دولة يهودية، فقد كانت قادرة طبعا على تنفيذ خطة التقسيم التي اوصت بها هيئة الأمم المتحدة لاقامة دولة يهودية في القسم الأكبر من البلاد وفق هذه الخطة.

ولقد انتبه الصهاينة منذ البداية، أكثر مما انتبهوا، الى موازين القوى بينهم وبين الفلسطينيين، ورسموا استراتيجيات استهدفت ميزة العرب الفلسطينية الأساسية، وهي: تفوّقهم العددي وحيازتهم للقسم الأعظم من الأراضي. ولقد افضت هذه الاستراتيجيات الى تقويض ميزة العرب هذه، والى قلب ميزان القوى كليا الى مصلحة الصهاينة. ولعل اوضح مثال للفكر الصهيوني في هذا المجال، نجده في الخطة التي وضعها سنة ١٩٣٢ المنظّر الصهيوني حاييم أرلوزوروف، مدير الدائرة السياسية في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية.[٢] كما ان خلفية المهاجرين الصهاينة الأوروبية، وقدرة الزعامة الصهيونية على الاستفادة من الموارد المهنية والدبلوماسية والمالية للجاليات اليهودية في الدول الغربية الصناعية، قد شدّتا أزر المغامرة الصهيونية. وبحلول سنة ١٩٤٤، اصبح في استطاعة الخبراء الاحصائيين الرسميين في إدارة فلسطين ان يقولوا: «ان الاقتصاد اليهودي في فلسطين... مختلف اختلافا جذريا عن الاقتصاد العربي، وهو ليس في واقع الأمر شديد الاختلاف عن اقتصاد المملكة المتحدة.»[٣]

كذلك كان التنظيم العسكري من الأولويات الكبرى في التفكير الصهيوني. وكانت الهاغاناه هي القوة المسلحة الرئيسية بقيادة الوكالة اليهودية، وهي التي برزت في مطلع زمن الانتداب كفرع من منظمة هاشومير (الحارس) السابقة للانتداب، والتي نبعت بدورها من الجمعيات السرية في روسيا القيصرية. وبحلول سنة ١٩٤٧، كان قد اصبح للهاغاناه وجود مستمر لا يقل عن ثلاثين عاما. ومع ان هذه المنظمة كانت، من الناحية الرسمية، منظمة سرية شبه عسكرية وغير مشروعة، إلا ان البريطانيين تغاضوا عنها واحتملوها، بل أعانوها بطريق مباشر وغير مباشر. فنجد، مثلا، ان «شرطة المستعمرات اليهودية» التي كانت تتألف من ١٤,٠٠٠ رجل، والتي قام البريطانيون بتدريبها ودعمها، قد باتت معقلا وموردا لاحتياطي الهاغاناه. وما ان حلت سنة ١٩٤٦، حتى كانت الهاغاناه قد نمت الى قوة يعتدّ بها، الى درجة ان اللجنة الأنغلو ــ أميركية قدّرت قوتها بنحو ٦٢,٠٠٠ رجل. وعلى الرغم من الأعمال الارهابية الصهيونية المتكررة (ومنها هجمات الهاغاناه) ضد قوات الأمن البريطانية، فان بريطانيا تركت هذه القوة العسكرية من دون ان تمسها بسوء. ولقد بلغت ثقة الهاغاناه بنفسها حدا


فلسطين
٥ خريطة تقسيم فلسطين وفق توصية الهيئة العامة للأمم المتحدة، الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧.
الدولة الفلسطينية المقترحة
الدولة اليهودية المقترحة
تستند هذه الخريطة إلى الخريطة التي نشرت في كتاب جورج كيرك «عرض عام للشؤون الدولية: الشرق الأوسط، ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠» (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٤)، ص ٣٣٩ [Survey of International Affairs: The Middle East, 1945-1950 (New York: Oxford University Press, 1954)]
يلاحظ أن مدينة يافا التابعة للدولة الفلسطينية، بحسب توصية الأمم المتحدة، منفصلة انفصالاً كلياً عن هذه الدولة. أما منطقة القدس وبيت لحم، فقد أوصت الأمم المتحدة بفصلها عن كل من الدولتين، ووضعها تحت نظام خاص (corpus separatum) تشرف عليه الأمم المتحدة
لبنان
سوريا
صفد
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
بيسان
طولكرم
قلقيلية
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
القدس
وبيت لحم
شرق الأردن
البحر الأبيض المتوسط
غزة
بئر السبع
النقب
مصر
العقبة

دفع قيادتها الى توجيه مذكرة الى اللجنة الأنغلو ـ أميركية في ٢٥ آذار / مارس ١٩٤٦، في القدس، جاء فيها:

> ان لدينا معلومات ذات أساس وطيد عن قوة العرب في فلسطين. فليس هناك شك في ان القوى اليهودية أكثر تفوّقا في التنظيم والتدريب والتخطيط والتجهيز، وأن في استطاعتنا مجابهة اي هجوم او انتفاضة من الجانب العربي، من دون طلب المساعدة من بريطانيا او أميركا. واذا قبلتم الحل الصهيوني (اي التقسيم واقامة دولة يهودية في الشطر الأكبر من فلسطين)، وان وجدتم أنفسكم عاجزين اوغير راغبين في تنفيذ هذا الحل، فنرجوكم عدم التدخل، لأن في استطاعتنا نحن تنفيذه.[٤]

هذا، وقد شرعت الزعامة الصهيونية في إعداد خطط عسكرية تفصيلية بحلول مطلع سنة ١٩٤٥، توقعا للمواجهة المقبلة. وقد صرح دافيد بن ـ غوريون لكاتب سيرته، ان «الاستعدادات الرئيسية لتحويل الهاغاناه الى جيش نظامي قد بدأت قبل ثلاثة أعوام من ميلاد الدولة.»[٥] كما دعا بن ـ غوريون، عند قيامه بزيارة خاصة للولايات المتحدة سنة ١٩٤٥، وكان وقتها رئيسا للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، الى اجتماع ضم تسع عشرة من كبار الشخصيات اليهودية الأميركية الثرية، وأقنعها بالمساهمة بأموالها في شراء الكميات الهائلة من آلات صناعة الأسلحة والمعدات الحربية، التي كانت تباع في أميركا في شكل خردة عند نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد تم تهريب تلك الآلات الى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني، وأصبحت من ثم نواة الصناعة الحربية اليهودية الثقيلة.

وفي أيار / مايو ١٩٤٦، رسمت الهاغاناه استراتيجية عسكرية، وضعت تفاصيلها فيما عرف بعد ذلك باسم خطة أيار / مايو ١٩٤٦. وكان المفهوم الرئيسي فيها يعتمد على «الاجراءات المضادة». وكانت تلك الاجراءات من شقين: أحدهما «العمل التحذيري» المنحصر في منطقة عمليات العدو، والثاني «العمل العقابي» الذي لا تفرض حدود على نطاقه الجغرافي. ونظرا الى «الصعوبات» الكامنة، لم تكن الاجراءات المضادة لتستهدف دائما العناصر الفلسطينية المحددة المسؤولة عن أحداث سابقة. ومن ثم، فان الأهداف البشرية التي يسعى لها المنتقمون، «لا بد من ان تتمثل في القادة السياسيين والعسكريين الفلسطينيين، وأولئك الذين موّلوهم، وأولئك الذين حرّضوهم (مثل الصحافيين)، علاوة على أولئك الذين نفذوا العمليات الفعلية.» وكان الغرض هو «إيقاع الأذى الجسماني»، والاحتفاظ بالأفراد المعنيين كـ «رهائن» او «تصفيتهم». أما الأهداف المادية، فهي «النوادي والمقاهي وغير ذلك من أماكن الاجتماعات العامة، ومراكز المواصلات، ومطاحن الدقيق، ومحطات المياه، وغيرها من المنشآت الاقتصادية الحيوية.» كما نصت الخطة على محاصرة واحتلال القرى والتجمعات السكنية في المدن والمزارع، المستخدمة لتخطيط العمليات او كقواعد للهجوم أو للانسحاب اليها. «ولا بد من حرق كل شيء في هذه الأماكن، ونسف منازل كل الذين حرضوا على القيام بتلك العمليات او ساهموا فيها.»[٦]

وبعيد قرار التقسيم الذي اتخذته الأمم المتحدة، بدأ العمل في الإعداد لخطة جديدة، هي «خطة د» (دالت). وكان الغرض من هذه الخطة الاستحواذ على المنطقة المعدة لإقامة الدولة اليهودية عليها. ويقول مؤرخو الهاغاناه: «كان من الواضح انه لن يتم التخلي عن اية مستعمرة يهودية خارج الدولة اليهودية ـ بمقتضى قرار التقسيم ـ او إخلاؤها، وأن الهاغاناه كانت ستفعل كل ما في وسعها لتنظيم مقاومة مثل تلك المستعمرات.» أما في الدولة اليهودية نفسها، فقد تقرر بالنسبة الى القرى الفلسطينية التي تبدي مقاومة، «أن تدمر... وأن يطرد أهلها خارج حدود الدولة اليهودية.» كذلك تقرر ان تطبق سياسة مماثلة لهذه في المدن؛ «فالأهالي الفلسطينيون القاطنون في الأحياء الحضرية، والذين يسيطرون على مداخل المدن أو مخارجها، لا بد من ان يطردوا الى خارج حدود الدولة اليهودية، اذا ما أظهروا مقاومة.» أما خارج الدولة اليهودية، فلا بد من احتلال مدن مثل قلقيلية وطولكرم، ولا بد من فرض الحصار على عكا والناصرة واللد والرملة وبيت لحم وبيت جالا والخليل. «أما أهالي يافا، فلا بد من ان يجبروا داخل حدودهم البلدية، وأن يوضعوا تحت المراقبة المستمرة.» كذلك تقرر احتلال جميع القرى الواقعة بين تل ابيب والقدس، وإخضاع كل الأحياء الفلسطينية في القدس الغربية والشرقية، وضواحي المدينة.[٧]

الإجراءات المضادة الفلسطينية والعربية

كان على الفلسطينيين ان يبدأوا من الصفر لإعادة تنظيم انفسهم. ولم يرد في تقرير اللجنة الأنغلو ـ أميركية لسنة ١٩٤٦، الذي قدّر القوة العسكرية الصهيونية بنحو ٦٢,٠٠٠ رجل، اي ذكر للقوى المسلحة الفلسطينية. وتطلع الفلسطينيون الى الجامعة العربية كي توازن الهيمنة العسكرية الصهيونية. لكن الجامعة كانت تعاني من قيود وفرقة سبق

الحديث عنها.[8] وكانت أول خطوة اتخذتها للوفاء بالحاجات الدفاعية الفلسطينية، هي تأليفها في أيلول / سبتمبر ١٩٤٧، ما يعرف باللجنة العسكرية الفنية، برئاسة اللواء اسماعيل صفوت، وكان رئيسا سابقا لأركان القوات العراقية، وذلك للإبلاغ بالمتطلبات الدفاعية الفلسطينية. وكان أول تقرير لرئيس اللجنة، في ٨ تشرين الأول / أكتوبر، واقعيا لا يبشر بالتفاؤل. فقد قدّر بالضبط قوة الصهاينة، وأكد انه ليس لدى الفلسطينيين شيء يقارب ـ ولو من بعيد ـ حجم القوات الصهيونية، «لا في القوى البشرية ولا في التنظيم او السلاح او الذخيرة.» وحثّ اللواء اسماعيل صفوت الدول العربية على «تعبئة كامل قوتها في الحال، وتشكيل قيادة عامة. ثم حذر من ان الفلسطينيين هم في ضائقة كبيرة. وقد تمثلت ردة الفعل الوحيدة للجامعة العربية، تجاه تقرير اللواء صفوت، في اتخاذها قرارا في ١٥ تشرين الأول / أكتوبر بتخصيص مبلغ مليون جنيه استرليني للجنة الفنية. وفي ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر، وقبيل إصدار قرار التقسيم، حذر اللواء صفوت مرة اخرى قائلا: «لقد بات من المستحيل التغلب على القوات الصهيونية باستخدام قوات غير نظامية... وليس في استطاعة الدول العربية ان تتحمل حربا طويلة...» وناشد الدول العربية ان «تكفل التفوق في الرجال والعتاد، وأن تتصرف بأقصى سرعة.»

ولم تكن الجامعة العربية راغبة في مجابهة بريطانيا، التي اكدت أنها ستظل مسؤولة بمفردها عن إدارة فلسطين الى حين انتهاء الانتداب في ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨. وفي الوقت نفسه، منّى العرب انفسهم، في كثير من العواصم العربية (وهو من رصيد ما تبقى من الثقة بإنصاف الدول الغربية)، بأن عدالة القضية الفلسطينية سوف تلقى الاعتراف والتقدير على نحو ما، وأن الدول الغربية لن تسمح بأن يصيب الفلسطينيين سوء. لكن مع التدهور السريع للوضع الأمني في فلسطين، لم تستطع الدول العربية ان ترجىء التصرف، ولا سيما بعد صدور قرار التقسيم.

ففي كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٧، قررت الجامعة العربية تزويد اللجنة العسكرية الفنية بعشرة آلاف بندقية، لوضعها في تصرف قوة تتألف من ثلاثة آلاف مقاتل غير نظامي. وقد تشكل من هؤلاء، فيما بعد، جيش الانقاذ، وقوامه من المتطوعين من عدة دول عربية، منهم خمسة من فلسطين. وقد تقرر إيفاد وحدات جيش الانقاذ، بعد تدريبها في دمشق، الى المناطق الفلسطينية المهدّدة. وكان تشكيل جيش الانقاذ بمثابة حل وسط لجأت اليه الجامعة العربية، وارتضت به إمساك العصا من الوسط بين الاعتماد التام على الدبلوماسية والنوايا الغربية الطيبة من ناحية، وبين الإجراء الجدي الذي دعا اليه اللواء اسماعيل صفوت من ناحية أخرى.

وقد اخذ القتال يتصاعد في فلسطين، بصورة مثيرة، منذ قرار التقسيم الذي اتخذته الأمم المتحدة في تشرين الثاني / نوفمبر. وبحلول كانون الثاني / يناير ١٩٤٨، كانت منظمتا الإرغون وشتيرن قد لجأتا الى استخدام السيارات الملغومة (التي كانت موجهة ضد البريطانيين أصلا). وما ان حل شهر آذار / مارس، حتى اخذ المقاتلون الفلسطينيون غير النظاميين يردون على خصومهم بالمثل. وواجهت هجمات الهاغاناه على القرى والأحياء السكنية هجمات فلسطينية على المستعمرات الصهيونية، والعكس بالعكس. وبلغ عدد القتلى والجرحى ـ في العاشر من كانون الثاني / يناير ـ ١٩٧٤ شخصا من الجانبين.

وعلى الرغم من ان الفلسطينيين كانوا اضعف من الناحية العسكرية، فانهم قاوموا ببسالة. وكان ذلك راجعا، الى حد ما، الى استماتتهم. لكن عُزز جانبهم أيضا بفضل تسلل عدد صغير من وحدات جيش الإنقاذ من سوريا، في أثناء الفترة ما بين كانون الثاني / يناير وآذار / مارس، وهو ما شد عضد الفلسطينيين ورفع روحهم المعنوية. أما السبب الحقيقي وراء قدرة الفلسطينيين على تثبيت أقدامهم، فيرجع الى ان العمليات العسكرية للهاغاناه كانت لا تزال تمارَس في نطاق خطة أيار / مايو ١٩٤٦؛ بمعنى ان الزعامة الصهيونية لم تكن قد بدأت تنفيذ «خطة دالت». وكان الصهاينة متحرجين من تنفيذ هذه الخطة، لأنها كانت تتطلب درجة كبيرة من التعبئة العسكرية للهاغاناه، وكلما ازدادت التعبئة ازدادت فرص المواجهة مع بريطانيا، التي كانت تزعم أنها السلطة الشرعية في جميع أنحاء البلاد حتى الخامس عشر من أيار / مايو.

وفي الوقت نفسه، كان لظهور حالة من التأزم العسكري في فلسطين، ولارتفاع أرقام الخسائر في الأرواح في الجانبين، وتزايد معدل اشتراك وحدات جيش الانقاذ في القتال، اثر سياسي كبير في واشنطن والأمم المتحدة. وبدأ يتبلور في آذار / مارس اتجاه بعيد عن فكرة التقسيم، وذلك في شكل دعوة أصدرتها إدارة الرئيس الأميركي هاري ترومان الى الامم المتحدة، لإعادة النظر في قرار التقسيم، وللتفكير في إنشاء نظام وصاية بدلا منه. وأدى اقتراح الولايات المتحدة الى إثارة انزعاج شديد في أوساط الصهاينة، الذين عارضوه بمنتهى الشدة. وكان انزعاجهم اعمق

أثرا لان خط اتصالهم بترومان، نصيرهم الأكبر، قد انقطع لغضبه عليهم من شدة ضغطهم عليه.

اشتداد القتال واجتماع الرئيس الأميركي ترومان بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمن

رفض الرئيس الأميركي هاري ترومان، طوال عدة اشهر في ربيع سنة ١٩٤٨، ان يلتقي اي زعيم صهيوني أميركي، وذلك بسبب الضغط المكثف الذي مارسه عليه الصهاينة الأميركيون منذ قرار التقسيم. وقد يتضح مدى شدة الضغط الصهيوني الذي تسبب بجفاء ترومان من واقع ان سنة ١٩٤٨ كانت سنة الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة. ففي ٨ آذار / مارس، أعلن ترومان ترشيح نفسه للرئاسة. وفي ١٨ آذار / مارس، وافق أخيرا على لقاء الزعيم الصهيوني البريطاني المخضرم حاييم وايزمن. وكانت الزعامة الصهيونية في فلسطين قد اوفدت وايزمن الى الولايات المتحدة، لإجراء مثل هذا الاتصال على ارفع المستويات.

وتم الاجتماع سرا في البيت الأبيض بين ترومان ووايزمن. ومع ان ترومان كان قد وافق على توصية وزارة الخارجية الأميركية بفرض الوصاية على فلسطين، إلا انه لم يكن ـ على ما يبدو ـ قد استوعب مغزى هذه التوصية. وكان الصهاينة وقتها عند مفترق طرق؛ فلم يكن قد بقي إلا شهران على انتهاء مدة الانتداب. واذا لقي اقتراح الوصاية (الذي قبلته الجامعة العربية) التأييد الكامل من جانب الرئيس الأميركي، فان معنى ذلك إرجاء إقامة الدولة اليهودية الى أجل غير محدد. ومن جهة أخرى، كانت «خطة دالت» الهجومية التي وضعها الصهاينة قد اكتملت وفي انتظار التنفيذ، في حين كان جلاء البريطانيين يتم بخطى مطردة، مثلما كانت تتم التعبئة العسكرية الصهيونية. وكان انتهاء الانتداب في ١٥ أيار / مايو كفيلا بخلق فراغ قانوني من شأن الدول العربية ان تستفيد منه. ومن هنا كان لا بد من ان تصبح الدولة اليهودية حقيقة واقعة قبل هذا التاريخ. لكن لم يكن في الامكان إقامة هذه الدولة من دون تنفيذ خطة دالت. وعلى هذا، كان الزعماء الصهاينة يسعون لمعرفة موقف ترومان شخصيا من إقامة الدولة اليهودية في مثل تلك الأحوال.

ولم يخيب ترومان أمل وايزمن؛ فهو يقول في مذكراته: «عندما ترك (وايزمن) مكتبي خالجني شعور بأنه توصل الى فهم كامل لسياستي، وبأنني اعرف ما يريد.»[9] وكما يؤكد آبا ايبن: «لقد اعرب الرئيس لزائره عن التزام محدد، ينطوي على سعيه من أجل إقامة دولة يهودية والاعتراف بها، بحيث تكون منطقة النقب جزءا منها.»[10] وما من شك في ان وايزمن اسرع في إبلاغ هذه الأنباء الى تل أبيب، وأن الزعامة الصهيونية لم تجد صعوبة كبرى في فهم مغزاها.

وفي ١٩ آذار / مارس، اي بعد يوم واحد من اجتماع ترومان ـ وايزمن، اقترح وارن اوستن، كبير أعضاء الوفد الأميركي في مجلس الأمن الدولي ـ من دون علم منه بالاجتماع المذكور وما تمخض عنه ـ «وقف اجراء التقسيم، والدعوة الى عقد الجمعية العامة للبحث في مشروع الوصاية. ورحبت الوفود العربية بهذا الاقتراح الأميركي، وهي على غير دراية أيضا باجتماع ترومان ـ وايزمن، واحتفلت الصحف العربية بهذه المناسبة. لكن اللواء صفوت، رئيس اللجنة العسكرية التي تتولى قيادة جيش الانقاذ، لم تكن تراوده اية أوهام؛ فقد حذر بتاريخ ٢٣ آذار / مارس، وعيناه على ارض الواقع في فلسطين، من ان «المبادرة العسكرية في معظم أنحاء فلسطين قد باتت في أيدي الصهاينة... وأن حامياتنا القوية نسبيا في كل من يافا والقدس وحيفا تقف الآن موقف الدفاع...»

الصهاينة ينفذون «خطة د» (دالت) الهجومية

دخلت «خطة د» (دالت) مرحلة التنفيذ خلال الأسبوع الأول من نيسان / ابريل. واستمرت عملياتها المتنوعة والكثيرة في الاتضاح بصورة مدمرة خلال الأسابيع الستة المتبقية على انتهاء الانتداب. وارتبطت هذه العمليات معا في شكل حلقات مسلسلة في منطقة واحدة، في حين تزامن غيرها معا في مختلف أنحاء البلاد. وبدأت الحرب النفسية الصهيونية، الهادفة الى دفع المدنيين الى الفرار، تتناغم وتتسق مع العمليات العسكرية؛ فاشتملت على البث من الاذاعة ومكبرات الصوت (المحمولة على مركبات)، ونشر الشائعات بالكلمة المنطوقة والمكتوبة.

في نيسان / ابريل شُنت ست عمليات كبرى، كانت اثنتان منها ـ عملية نحشون (٥ ـ ١٥ نيسان / ابريل) وعملية هارئيل (١٥ ـ ٢٠ نيسان / ابريل) ـ تهدفان الى احتلال وتدمير القرى الفلسطينية على امتداد طريق يافا ـ القدس، وبالتالي تقسيم الجزء الرئيسي من الدولة الفلسطينية (التي اقترحتها خطة التقسيم). وحارب القرويون ورجال المقاومة الفلسطينيون باستماتة على امتداد الطريق كله. ونشبت معركة مثيرة لاحتلال قرية القسطل الجبلية، الواقعة على بعد خمسة أميال من القدس. وحارب الفلسطينيون بإمرة قائدهم الشهير عبد القادر الحسيني، وتبادل الجانبان السيطرة على القرية عدة مرات. واستشهد عبدالقادر يوم ٩ نيسان / ابريل وهو يقود هجوما مضادا ناجحا.


فلسطين
٦ العمليات العسكرية الصهيونية ما بين ١ نيسان/ ابريل ١٩٤٨ و ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨ (اي في أثناء الانتداب البريطاني) خارج نطاق الدولة اليهودية المقترحة في توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين
الدولة الفلسطينية المقترحة
الدولة اليهودية المقترحة
مناطق العمليات العسكرية الصهيونية خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة
تستند هذه الخريطة الى الخريطة التي نشرت في كتاب وليد الخالدي «من الملاذ الى الغزو» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧١)، ص ٧٥٩ [From Haven to Conquest] [(Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971)]
لبنان
سوريا
بحيرة الحولة
عكا
صفد
حيفا
طبرية
الجليل
الناصرة
بيسان
طولكرم
قلقيلية
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
اللطرون
القدس
وبيت لحم
غزة
بئر السبع
النقب
مصر
العقبة
البحر الأبيض المتوسط
شرق الأردن
عملية بن عامي
عملية حاميتس
عملية كلشون
عملية يبوسي
عملية شميتون
عملية نحشون
عملية مكابي
عملية هارئيل

وفي الوقت الذي كانت فيه المعركة محتدمة لاحتلال هذه القرية، نفذ أفراد من منظمتي الإرغون وشتيرن مذبحة دير ياسين، حيث قتلوا ٢٤٥ شخصا من أهلها المدنيين، على مسافة نحو ثلاثة أميال من قرية القسطل. وتعتبر مذبحة دير ياسين من الأمثلة المروعة لـ «التنافس» بين الهاغاناه (المسؤولة عن تنفيذ خطة دالت) ومنظمة الإرغون اليمينية. وفي الوقت نفسه قام فوزي القاوقجي، القائد الميداني لجيش الانقاذ، بشن هجوم مضاد على مستعمرة مشمار هعيمك الى الجنوب الشرقي من حيفا. وقد تم صد هذا الهجوم، ومني القاوقجي بهزيمة مروعة.

وفي ١٠ نيسان / ابريل عقدت لجنة فلسطين، وهي عبارة عن جهاز تنسيق سياسي رفيع المستوى كانت الجامعة العربية قد شكلته، اجتماعا لدراسة الكوارث الأربع التي وقعت، وهي: استشهاد عبد القادر الحسيني؛ وسقوط قرية القسطل؛ ومذبحة دير ياسين؛ وهزيمة القاوقجي في موقعة مشمار هعيمك. وتدارس الزعماء العرب باهتمام، أول مرة، ضرورة تدخل الوحدات العسكرية النظامية التابعة لدولهم، بعد انفضاح فشل رجال المقاومة الفلسطينية وجنود جيش الانقاذ. لكن الكوارث تقاطرت الواحدة تلو الأخرى، قبل أن يستجمع الزعماء العرب شجاعتهم.

وفي ١٨ نيسان / ابريل أعلن البريطانيون فجأة انسحابهم من مدينة طبرية في شمال فلسطين، على الرغم من إصرار بريطانيا على أنها كانت لا تزال السلطة الشرعية في فلسطين حتى انتهاء فترة الانتداب. وقد ادى هذا التراجع البريطاني الى تمهيد الطريق أمام احتلال قوات الهاغاناه لطبرية وقضائها في اليوم نفسه؛ وبذا اصبحت طبرية أول بلدة تقع في يد الهاغاناه. وتتابعت موجات اللاجئين النازحين في هلع صوب شرق الأردن وسوريا، مما أثار شعورا بالصدمة والغضب في أنحاء العالم العربي كافة. وفي ٢١ نيسان / ابريل أعلن البريطانيون انسحابهم المفاجىء من حيفا، فسارعت قوات الهاغاناه الى القيام بعملية ميسباراييم لاحتلال المدينة، التي سقطت في ٢٢ ـ ٢٣ نيسان / ابريل. وكانت حيفا أولى المدن الفلسطينية الكبرى الثلاث التي سقطت في يد الهاغاناه (وكانت الأخريان هما يافا والقدس). وطرد الآلاف من المدنيين المذعورين إما بالبحر الى لبنان ومصر، وإما بالطريق البري عبر الحدود اللبنانية.

وخلال الأسبوع الأخير من نيسان / ابريل، شنت ثلاث عمليات كبرى في نطاق خطة دالت، في مختلف أرجاء البلاد:

١ ـ العملية الأولى هي عملية حامتس (٢٥ نيسان / ابريل) لعزل واحتلال يافا والقرى المحيطة بها.

٢ ـ العملية الثانية هي عملية يبوسي (٢٦ نيسان / ابريل) لاحتلال الأحياء السكنية الفلسطينية في القدس الغربية والشرقية خارج البلدة القديمة، علاوة على القرى الواقعة في الضواحي الشمالية والشرقية.

٣ ـ العملية الثالثة هي عملية يفتاح (٢٨ نيسان / ابريل) لاحتلال الجليل الشرقي كله.

وبادرت منظمة الإرغون الى استباق الأحداث في عملية حامتس، فشنت هجومها الخاص على مدينة يافا. وبنهاية نيسان / ابريل، كان الهجوم المشترك للهاغاناه والإرغون قد أحاط بيافا إحاطة كاملة، مما اجبر معظم أهلها المتبقين على النجاة بطريق البحر الى غزة ومصر، ولقي الكثيرون حتفهم غرقا. وقوبلت بالفشل عملية مستميتة للمقاومة نفذتها وحدة فلسطينية تابعة لجيش الانقاذ، للتسلل الى يافا.

وحققت عملية يبوسي أهدافها داخل حدود القدس الغربية والشرقية. وتم احتلال جميع الأحياء السكنية الفلسطينية، ومنها القطمون والطالبية والبقعة الفوقا والبقعة التحتا. وطرد الأهالي في هذه المناطق إما الى رام الله وبيت لحم، وإما عبر الحدود الى شرق الأردن. وواصل البريطانيون ـ باعتبارهم السلطة الشرعية في البلاد ـ احتلالهم لبعض الجيوب في القدس، واستمروا في رفع العلم البريطاني على المقر الرسمي للمندوب السامي، الواقع على مرتفع الى الجنوب من المدينة، وهوعبارة عن تل عرف تاريخيا ـ وبتعبير ملائم في محله ـ باسم «تلة المشورة الشريرة». ولم تصادف عملية يبوسي نجاحا في القرى الواقعة شمالي القدس (النبي صموئيل) وشرقيها (جبل الطور)، حيث ابدى رجال المقاومة الفلسطينيون وجنود جيش الانقاذ مقاومة باسلة.

أما عملية يفتاح، فقد ابتدأت طورها الأول باحتلال القرى الواقعة في جوار بلدة صفد في الجليل في شمال فلسطين.

وكان نمط الهجوم واحدا في العمليات الثلاث، اذ اتسم بالقصف العشوائي الشديد بمدافع الهاون، التي كان رجال الهاغاناه يحتفظون بمخزون كبير منها، والذي تلاه هجمات منسقة باستخدام المشاة والمركبات المدرعة. واعتمد الصهاينة كثيرا على شن حرب نفسية في الوقت ذاته. وقد نجم انهيار المقاومة الفلسطينية عن ضعف القيادة، وانعدام الكفاية في مضمار ترتيبات الدفاع المدني، والتفاوت العسكري الكبير بين الجانبين في مجال التخطيط وعدد الأفراد وقوة النيران. وما ان حلت نهاية نيسان / ابريل، حتى كان المجتمع الفلسطيني قد تمزق؛ فقد بدأ

عشرات الألوف من اللاجئين عملية نزوح جماعي بطريق البر، في حين لجأ الآلاف الى الهرب بحرا. ولم يكن في استطاعة الحكومات العربية ان تتجاهل أكثر من ذلك ضغط الرأي العام عليها من أجل إيفاد جيوشها النظامية لشد عضد الفلسطينيين.

وفي ٣٠ نيسان / ابريل، عقدت الجامعة العربية اجتماعا في عمان حضره الزعماء العرب، واستدعوا رؤساء أركان جيوشهم للتشاور معهم في أمر تغير الأحداث بسرعة في فلسطين. وكان ذلك أول اجتماع من نوعه يحضره القادة العسكريون العرب. ورأى العسكريون، وقد قدّروا القوة الصهيونية بدقة، ان الحد الأدنى من القوة العسكرية المطلوبة للتغلب على الهاغاناه، هو ست فرق وستة أسراب جوية. على أن القادة السياسيين كانوا غير قادرين، او غير راغبين في اقناع انفسهم بهذا التقدير العسكري. وكان واضحا انهم ظلوا يأملون بتدخل الدول الغربية في اللحظة الأخيرة، وأن مجرد عرض القوة العسكرية من جانب الدول العربية كان كافيا لحدوث هذا التدخل. ومن هنا، اعتبر القادة السياسيون تقديرات خبرائهم العسكريين مبالغا فيها ولا مبرر لها. فما كان في استطاعة الزعماء العرب أن يفكروا في اي تدخل من جانب الجيوش العربية، قبل انتهاء الانتداب البريطاني رسميا في ١٥ أيار / مايو. وعندما حان وقت التدخل، لم يجهز للقتال إلا قوة عسكرية تقل عن نصف الحد الأدنى الذي قدّره القادة العسكريون أصلا، وصدر اليها الأمر بالتحرك.

وفي الوقت نفسه، مضت قيادة الهاغاناه في تنفيذ خطة دالت. ففي ٨ ــ ٩ أيار / مايو، شنت الهاغاناه عملية مكابي لاحتلال وتدمير القرى المتبقية في السهل الأوسط بين الرملة واللطرون شرقا. وفي ١١ ــ ١٢ أيار / مايو، سقطت بلدة صفد في شمال فلسطين، وطرد أهلها الى سوريا ولبنان. ولقيت بلدة بيسان جنوبي بحيرة طبرية المصير نفسه في ١٢ أيار / مايو، وطرد أهلها الى سوريا وشرق الأردن. وفي اليوم نفسه، شنت الهاغاناه عملية براك في الجنوب لاحتلال وتدمير القرى المفضية الى النقب. وطرد أهالي تلك القرى الى تلال الخليل.

ولم تقبل مصر، أقوى الدول العربية، قرار التدخل العسكري إلا يوم ١٢ أيار / مايو. وعندها أذعن رئيس وزرائها، أخيرا، لضغط الرأي العام العربي والإسلامي، فطلب موافقة مجلس النواب على تدخل مصر عسكريا. أما الدول العربية الأخرى، التي كانت قد وافقت فعلا على التدخل العسكري، فكانت العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن.

لكن قرار الدول العربية بالتدخل جاء متأخرا جدا، بحيث لم يكن له جدوى في مضمار الحيلولة دون تدمير المجتمع الفلسطيني. كذلك جاء متأخرا جدا، بحيث ما كان في استطاعته منع إقامة الدولة اليهودية.

وفي ١٣ أيار / مايو، وجه حاييم وايزمن رسالة الى الرئيس الأميركي ترومان، يطلب فيها منه الايفاء بوعده الاعتراف بالدولة اليهودية. وفي ١٤ أيار / مايو، غادر المندوب السامي البريطاني مقره الرسمي في القدس متجها الى بلاده، لينعم بحياة التقاعد الهادئة في انكلترا. وظهرت الدولة الجديدة الى الوجود بعد منتصف الليل بدقيقة واحدة بتوقيت فلسطين، وجاء اعتراف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل بعد ذلك بعشر دقائق.

وبذا تكون قد غُرست بذور الشتات الفلسطيني والصراع العربي ــ الصهيوني.

١٩٤٧ ● ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يوافقان على تأييد توصية لجنة الأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين، والتي تنص على إنهاء الانتداب البريطاني في أول أيار/ مايو.

● ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة توصي بإدخال تعديل بسيط على خطة لجنة الأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين، بأغلبية ٣٣ صوتا في مقابل ١٣ وامتناع ١٠ أعضاء عن التصويت. الممثلون العرب ينسحبون من قاعة الجمعية.

● ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر: الهاغاناه تدعو جميع اليهود في فلسطين، بين سن ١٧ و ٢٥ عاما، الى الخدمة العسكرية.

● كانون الأول / ديسمبر: مبعوثو الهاغاناه في تشيكوسلوفاكيا يتوصلون الى اتفاق مع شركة سكودا على صفقة كبرى للأسلحة.

● الهاغاناه تبدأ «خطة ج» الرامية الى زعزعة استقرار السكان الفلسطينيين، واحتلال مراكز استراتيجية في البلاد.

● ٢ كانون الأول / ديسمبر: الفلسطينيون يبدأون إضرابا لمدة ثلاثة أيام، احتجاجا على قرار التقسيم. الصدامات بين العرب واليهود تؤدي الى مصرع ٨ من اليهود، و٦ من الفلسطينيين.

● ٥ كانون الأول / ديسمبر: وزارة خارجية الولايات المتحدة تعلن فرض حظر على تصدير الأسلحة الى فلسطين والدول العربية.

● ٦ كانون الأول / ديسمبر: عصابات الإرغون الارهابية تهاجم ضاحية ابو كبير العربية بالقرب من يافا.

● ٨ كانون الأول / ديسمبر: بريطانيا توصي الأمم المتحدة بإلغاء الانتداب على فلسطين في ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨، على ان يعقب ذلك اقامة دولة يهودية مستقلة ودولة فلسطينية مستقلة بعد اسبوعين.

● ٨ ـ ١٧ كانون الأول / ديسمبر: جامعة الدول العربية تجتمع في القاهرة، وتعلن ان تقسيم فلسطين غير قانوني، وتقرر ان تضع في تصرف اللجنة العسكرية الفنية ١٠,٠٠٠ بندقية و ٣٠٠٠ متطوع (منهم ٥٠٠ فلسطيني)، ومبلغ مليون جنيه.

● ١٣ كانون الأول / ديسمبر: الإرغون تشن خمس غارات على مناطق سكنية فلسطينية في القدس ويافا وقرية الطيرة (قضاء حيفا)، وتقتل ٣٥ من الفلسطينيين المدنيين، وتجرح كثيرين آخرين.

● ١٥ كانون الأول / ديسمبر: القوات البريطانية تعهد الى اليهود مهمة الإشراف على الأمن في تل ابيب وبتاح تكفا، والى الفلسطينيين مهمة الإشراف على الأمن في يافا.

● ١٧ كانون الأول / ديسمبر: مدير الوكالة اليهودية يعلن انه سيطلب الى اليهود الأميركيين تقديم ٢٥٠ مليون دولار للوفاء بحاجات الجالية اليهودية في فلسطين.

● ١٩ كانون الأول / ديسمبر: عصابات الهاغاناه الارهابية تهاجم قرية خِصاص (قضاء صفد)، وتقتل ١٠ فلسطينيين.

● ٢٠ كانون الأول / ديسمبر: عصابات الإرغون الارهابية تهاجم قرية قزازة (قضاء رام الله).

● ٢٨ كانون الأول / ديسمبر: الإرغون تعلن إجراء مفاوضات بشأن «الجبهة المتحدة» مع الهاغاناه.

● ٢٩ كانون الأول / ديسمبر: الإرغون تهاجم بالقنابل اليدوية حشدا من الفلسطينيين في باب العمود بالقدس، وتقتل ١٧ مدنيا.

● ٣٠ كانون الأول / ديسمبر: الإرغون تلقي قنبلة على عمال فلسطينيين في مصفاة النفط في حيفا، فتقتل ٦ أشخاص وتجرح ٤٢. العمال الفلسطينيون يطعنون بقتل ٤١ عاملا يهوديا كانوا يعملون في المصفاة. وردا على ذلك، هاجمت الهاغاناه قرية بلد الشيخ، قرب حيفا، وقتلت ١٧ فلسطينيا وجرحت ٣٣.

١٩٤٨ ● كانون الثاني / يناير: بريطانيا تبيع السلطات اليهودية في فلسطين ٢٠ طائرة من طراز «اوستر».

● بريطانيا تسرّح ٣٢٠٠ من مجندي قوات الحدود الفلسطينيين.

● القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني يعود سرا الى القدس لتنظيم المقاومة ضد التقسيم، بعد ان امضى عشر سنين في المنفى.

● ١ كانون الثاني / يناير: اللجنة الفنية العسكرية، التابعة لجامعة الدول العربية، تشكل قوة غير نظامية من المتطوعين العرب أُطلق عليها اسم «جيش الانقاذ»، بقيادة فوزي القاوقجي، لمساعدة الفلسطينيين على مقاومة التقسيم.

● ٣ كانون الثاني / يناير: العثور على كمية تقدر بنحو ٦٥,٠٠٠ رطل من مادة تي. إن. تي. المتفجرة، مُحمَّل على متن

شاحنة على رصيف ميناء نيوجيرسي في الولايات المتحدة، متجهة الى فلسطين لحساب منظمة الهاغاناه.

● الهاغاناه تهاجم قرية ابو شوشة (قضاء حيفا).

● ٤ كانون الثاني / يناير: الإرغون تستخدم سيارة مفخخة لنسف السرايا الكبير (مركز الحكومة) في يافا، فيؤدي ذلك الى مقتل ٢٦ من الفلسطينيين المدنيين.

● ٥ كانون الثاني / يناير: الهاغاناه تنسف فندق سميراميس في الحي السكني الفلسطيني في القدس، فتقتل ٢٠ مدنيا.

● ٧ كانون الثاني / يناير: الإرغون تزرع متفجرات في باب الخليل بالقدس، فتقتل ٢٥ مدنيا فلسطينيا وتجرح عشرات غيرهم.

● ٨ كانون الثاني / يناير: وصول الكتيبة الأولى من متطوعي جيش الانقاذ، وقوامها ٣٣٠ فردا، الى شمال فلسطين.

● ٩ كانون الثاني / يناير: القوات البريطانية تشتبك مع متطوعي جيش الانقاذ الذين هاجموا مستعمرتي دان وكفار سولد.

● ١٤ كانون الثاني / يناير: مبعوثو الهاغاناه يبرمون صفقة سلاح تشيكية. بلغ مجموع الدفعات نظير الصفقة ١٢,٢٨٠,٠٠٠ دولار. اشتملت الأسلحة المشتراة على ٢٤,٥٠٠ بندقية، و٥٠٠٠ مدفع رشاش خفيف، و٢٠٠ مدفع رشاش متوسط، و٥٤ مليون طلقة عتاد، و٢٥ طائرة ميسر شميت ألمانية. وقبل نهاية الانتداب، وصل الى فلسطين على الأقل ١٠,٧٤٠ بندقية، و١٢٠٠ مدفع رشاش، و٢٦ مدفع ميدان، و١١ مليون طلقة عتاد. باقي الصفقة، بما فيها طائرات الميسر شميت، وصل الى فلسطين في نهاية شهر أيار / مايو ١٩٤٨.

● الفلسطينيون يزرعون قنبلة في مكتب بريد حيفا، فيؤدي ذلك الى مقتل ٦ من اليهود.

● ١٦ كانون الثاني / يناير: بريطانيا تعلم الأمم المتحدة بأنه قتل وجرح نحو ١٩٧٤ شخصا في فلسطين، في الفترة بين ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر و١٠ كانون الثاني / يناير.

● ١٩ كانون الثاني / يناير: عصابات الهاغاناه تهاجم قريتي شفاعمرو وتمره (قضاءا حيفا والناصرة).

● ٢٠ كانون الثاني / يناير: قوات الجهاد المقدس الفلسطينية وقوات جيش الانقاذ تهاجم مستعمرة يحيعام، والقوات البريطانية تهب لمساعدة المستعمرة.

● ٢١ كانون الثاني / يناير: وصول الكتيبة الثانية من متطوعي جيش الانقاذ الى فلسطين، وقوامها ٣٦٠ فردا.

● ٢٦ كانون الثاني / يناير: عصابات الهاغاناه تدمر قرية سكرير (قضاء غزة).

● ٢٨ كانون الثاني / يناير: وصول الكتيبة الثالثة من متطوعي جيش الانقاذ الى فلسطين، وقوامها ٤٠٠ فرد.

● شباط / فبراير: انشاء مكتب للهاغاناه في الولايات المتحدة، تحت اسم «الأرض والعمل»، لتجنيد أفراد عسكريين محترفين. يشرف على المكتب تيدي كوليك رئيس بلدية القدس الحالي.

● ١ شباط / فبراير: انفجار تسبب به الفلسطينيون في مكتب البريد المركزي بالقدس، يؤدي الى مقتل ٢٠ من اليهود المدنيين.

● ٦ شباط / فبراير: القوات البريطانية توقف الهجوم الذي شنته كتيبة جيش الانقاذ على مستعمرة عين زيتيم (قضاء صفد).

● ١٠ شباط / فبراير: القوات البريطانية تصد قوات الجهاد المقدس التي هاجمت حي مونتيفيوري اليهودي في القدس.

● ١٤ شباط / فبراير: بن - غوريون يصدر الأوامر الى قائد الهاغاناه في القدس، لاحتلال المدينة بكاملها مع ضواحيها.

● عصابات الهاغاناه تهاجم قرية سعسع (قضاء صفد)، وتنسف ١٤ بيتا، وتقتل ١١ فلسطينيا.

● ١٥ شباط / فبراير: مستعمرة طيرات تسفي في غور الأردن تصد هجوما شنته وحدة تابعة لجيش الانقاذ.

● ١٨ شباط / فبراير: الهاغاناه تدعو الرجال والنساء من اليهود، الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و٣٥ عاما، الى الخدمة العسكرية.

● ١٩ شباط / فبراير: مقتل ٣ يهود بكمين لقافلة من الهاغاناه قرب المنارة (قضاء طبرية). عملت القوات البريطانية لانقاذ القافلة.

● ٢٠ شباط / فبراير: وصول باخرة «انديبندنس» الى تل ابيب، وعلى متنها ٢٨٠ متطوعا للانضمام الى الهاغاناه، منفذة بذلك سياسة الهجرة غير الشرعية للأفراد العسكريين.

● عصابات الهاغاناه تقصف الأحياء العربية في حيفا بقذائف المورتر، وتقتل ٦ أشخاص، وتجرح ٣٦ مدنيا فلسطينيا.

● ٢٢ شباط / فبراير: قوات الجهاد المقدس الفلسطينية تنسف بنايات في شارع بن يهودا في القدس، وتقتل ٥٧ من المدنيين اليهود، وتجرح ١٠٠ آخرين.

● ٢٤ شباط / فبراير: مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة يعلن ان دور مجلس الأمن، فيما يتعلق بفلسطين، ينحصر في حفظ السلم لا في تنفيذ التقسيم. مندوب سوريا يقترح تأليف لجنة لاستطلاع امكان التوصل الى اتفاق بين الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا لفلسطين.

● ٢٧ شباط / فبراير: الوكالة اليهودية تعلن أنها سوف تنشىء دولة يهودية، حتى من دون مساعدة قوة دولية ترسلها الأمم المتحدة لهذا الغرض.

● ٢ آذار / مارس: مندوب الولايات المتحدة يعلم مجلس الأمن بأنه يجب تنفيذ التقسيم بالوسائل السلمية فقط.

● ٣ آذار / مارس: عصابة شتيرن الارهابية تدمر مبنى في حيفا بسيارة مفخخة فتقتل ١١ مدنيا فلسطينيا وتجرح ٢٧.

● ٥ ـ ٧ آذار / مارس: فوزي القاوقجي يدخل فلسطين، ويتسلم قيادة وحدات جيش الانقاذ في القطاع الأوسط من فلسطين.

● ٥ آذار / مارس: دخول وحدتين من جيش الانقاذ، قوام كل منهما ٣٦٠ متطوعا، الى يافا لمساعدة المقاومة.

● الهاغاناه تهاجم بير عدس (قضاء يافا) وتحتلها، وتطرد سكانها.

● ٦ آذار / مارس: الهاغاناه تعلن التعبئة العامة، وحقها في تعبئة اي يهودي في سن الخدمة العسكرية يقيم في فلسطين، بمن فيهم اليهود من حملة الجنسية الأميركية.

● ١٠ آذار / مارس: مجلس العموم البريطاني يصوّت على إنهاء الانتداب على فلسطين اعتبارا من ١٥ أيار / مايو.

● الهاغاناه تضع اللمسات الأخيرة على «خطة د» (دالت) الهجومية لاحتلال القسم الأكبر من فلسطين.

● ١١ آذار / مارس: قوات الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، تنسف مقر الوكالة اليهودية في القدس، مما يؤدي الى مقتل ١١ يهوديا، وجرح ٨٦.

● ١٢ آذار / مارس: الهاغاناه تنسف منازل في ضاحية ابو كبير (قضاء يافا).

● ١٣ آذار / مارس: الهاغاناه تنسف بيوتا في قرية الحسينية (قضاء صفد).

● ١٦ آذار / مارس: قوات الجهاد المقدس تغلق الطريق الى المستعمرات الصهيونية بالنقب، عند قرية برير (قضاء غزة).

● ١٧ آذار / مارس: الهاغاناه تنصب كمينا لقافلة فلسطينية في طريقها الى حيفا، وتقتل القائد العربي لحامية حيفا.

● ١٨ آذار / مارس: قوات الجهاد المقدس الفلسطينية تنصب كمينا لقافلة من الهاغاناه في قرية عرطوف بالقرب من اللطرون، غربي القدس، فتقتل ١١ شخصا من أفرادها.

● الرئيس ترومان يستقبل بصورة سرية الزعيم الصهيوني البريطاني، حاييم وايزمن، في البيت الابيض، ويعده بتأييد اعلان الدولة اليهودية في ١٥ أيار / مايو من قبل الوكالة اليهودية.

● ١٩ آذار / مارس: بن ـ غوريون يعلن ان إنشاء دولة يهودية مستقلة لن يقوم على أساس قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، بل على أساس التفوق العسكري اليهودي.

● مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة يطلب من مجلس الأمن ان يعلق الإجراء الخاص بخطة التقسيم، وأن يدعو الى عقد جلسة له للبحث في اعلان وصاية دولية على فلسطين.

● ٢٠ آذار / مارس: جامعة الدول العربية تعلن قبول العرب للهدنة، وقبول وصاية محدودة على فلسطين اذا وافق اليهود على الشرط نفسه؛ الوكالة اليهودية ترفض مبدأ الوصاية الدولية على فلسطين.

● ٢١ آذار / مارس: قوات الجهاد المقدس تفجّر سيارة مفخخة في شارع الميناء بحيفا، فيؤدي ذلك الى اصابة ٢٠ يهوديا.

● ٢٢ آذار / مارس: انفجار سيارة مفخخة تركها يهود متخفون بملابس عسكرية بريطانية في شارع العراق في حيفا، يؤدي الى اصابة ٢٣ فلسطينيا.

● الهاغاناه تدمر قرية جاليا بالقرب من يافا.

● ٢٤ آذار / مارس: الهاغاناه تدمر قرية بدوية صغيرة بالقرب من مستعمرة يفنيئيل، غربي طبرية.

● قوات الجهاد المقدس الفلسطينية، بقيادة عبد القادر الحسيني، تشن هجوما على مستعمرة عطروت شمالي القدس.

● ٢٥ آذار / مارس: الرئيس ترومان يدعو الى هدنة فورية بين العرب واليهود، ويقول ان الولايات المتحدة سوف تشارك في المسؤولية عن الوصاية الموقتة.

● ٢٦ آذار / مارس: دائرة البريد في فلسطين تعلق جميع الخدمات البريدية في البلاد، باستثناء الرسائل الجوية.

● ٢٧ آذار / مارس: قوات الجهاد المقدس وجيش الانقاذ تنصب كمينا لقافلة للهاغاناه في طريقها الى مستعمرة يحيعام في الجليل الغربي، فتقتل ٤٥ من الهاغاناه، والقوات البريطانية تهب لمساعدتها.

● قوات الجهاد المقدس تنصب كمينا لقافلة تابعة للهاغاناه في طريقها الى مستعمرة غوش عتسيون بالقرب من الخليل، وتقتل ٧٠ فردا من الهاغاناه. القوات البريطانية تتدخّل وترتّب لاستلام سائر أفراد القافلة في موقع النبي دانيال جنوبي بيت لحم.

● ٢٨ آذار / مارس: وصول ١٣ عربة مصفحة نصف مجنزرة الى الهاغاناه من الولايات المتحدة (كجزء من صفقة ٥٠ عربة).

● ٣٠ آذار / مارس: مندوب الولايات المتحدة يتقدم بمشروع قرار الى مجلس الأمن يطالب بعقد هدنة بين ممثلي الوكالة اليهودية وممثلي الهيئة العربية العليا لفلسطين.

● ٣١ آذار / مارس: الهاغاناه تكمل تدمير قرية ابو كبير قرب يافا.

● عصابة الإرغون تنسف قطارا بالقرب من مستعمرة بنيامينا. ويؤدي ذلك الى مقتل ٢٤ فلسطينيا، وجرح ٦١ آخرين.

● قوات الجهاد المقدس الفلسطينية تنصب كميناً لقافلة للهاغاناه عند قرية حلده شرقي الرملة.

● ١ نيسان / ابريل: مجلس الأمن يصوّت على عقد دورة استثنائية للجمعية العامة، ويوافق على اقتراح الهدنة الأميركي المؤرخ في ٣٠ آذار / مارس.

● وصول الباخرة «نورا»، حاملة ٤٥٠٠ بندقية و٢٠٠ مدفع رشاش خفيف و ٥ ملايين طلقة من العتاد، الى حيفا من سبليت في يوغسلافيا. وصل على متن احدى الطائرات ٢٠٠ بندقية، و٤٠ مدفعا رشاشا، ومزيد من العتاد، الى قاعدة جوية سرية تابعة للهاغاناه. الشحنتان دفعة أولى من صفقة السلاح التشيكية (أنظر ١٤ كانون الثاني/ يناير، و١٢ ــ ١٤ أيار/ مايو).

● ٢ نيسان / ابريل: الهاغاناه تهاجم قرية القسطل الفلسطينية، الواقعة غربي القدس، وتستولي عليها ثم تطرد سكانها.

● ٤ نيسان / ابريل: الهاغاناه تبدأ تنفيذ «خطة د» (دالت) الهجومية لاحتلال القسم الأكبر من فلسطين.

● القاوقجي يهاجم مستعمرة مشمار هعيمك الصهيونية، الواقعة الى الجنوب الشرقي من حيفا.

● ٥ نيسان / ابريل: القادة الفلسطينيون والصهيونيون يعارضون مقترحات الولايات المتحدة المقدمة الى مجلس الأمن، من أجل إبرام اتفاق الوصاية المؤقت.

● الهاغاناه تهاجم قريتي حُلده ودير محيسن شرقي الرملة (عملية «نحشون» ــ المرحلة الأولى من «خطة د»)، وتستولي عليهما.

● ٥ ــ ٦ نيسان / ابريل: فوزي القاوقجي يوافق على وقف لاطلاق النار لمدة ٢٤ ساعة في مشمار هعيمك، بناء على طلب سكان المستعمرة والقوات البريطانية. الهاغاناه تخرق وقف اطلاق النار.

● الفلسطينيون يخفقون في شن هجوم مضاد على حُلده ودير محيسن.

● ٨ نيسان / ابريل: الهاغاناه تهاجم بلدة طبرية الفلسطينية.

● ٩ نيسان / ابريل: استشهاد عبد القادر الحسيني وهو يقود هجوما مضادا ناجحا على القسطل. الهاغاناه تستولي من جديد على القسطل بعد استشهاد عبد القادر.

● الهاغاناه تهاجم قرى جمارة وكفرين وأبو زريق وأبو شوشة، الى الجنوب الشرقي من حيفا، وتحتلها.

● عصابات الإرغون تقوم بذبح نحو ٢٤٥ من سكان قرية دير ياسين في ضواحي القدس الغربية، على بعد ميلين من القسطل، بعد قتال عنيف بين سكان القرية والمهاجمين اليهود.

● ١٠ نيسان / ابريل: في أعقاب مذبحة دير ياسين، وفشل قوات الجهاد المقدس في القسطل وقوات جيش الانقاذ في مشمار هعيمك، عقدت اللجنة الفلسطينية الخاصة التي انشأتها الجامعة العربية اجتماعا طارئا للبحث في الحالة الأمنية الخطرة في فلسطين.

● مستعمرة كفار داروم بالنقب تتعرض لهجوم شنته وحدة من القوات غير النظامية، التي أرسلها الاخوان المسلمون المصريون.

● ١١ نيسان / ابريل: الهاغاناه تدمر قرية قولونيا بالقرب من القسطل، وتحتل دير ياسين.

● ١٢ نيسان / ابريل: المجلس الصهيوني العام يقرر إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين، بتاريخ ١٦ أيار / مايو.

● الهاغاناه والإرغون وشتيرن تتفاوض لتنسيق العمليات بينها.

● سكان مستعمرة غوش عتسيون ينصبون كمينا على طريق الخليل ــ القدس. ووحدة من الجيش العربي الأردني، العامل في فلسطين بإمرة القيادة البريطانية، تقصف المستعمرة كرد انتقامي.

● ١٣ ــ ٢٠ نيسان / ابريل: الهاغاناه تشن، بعد عملية «نحشون»، عملية «هارئيل» في سياق عمليات «خطة د» (دالت). شملت عملية «هارئيل» الهجوم على قرى بِدّو، وبيت سوريك، وسرّيس، وصوبا (قضاء القدس)، التي دمرت جميعها.

● ١٣ نيسان / ابريل: فوزي القاوقجي ينسحب من مشمار هعيمك، فتهاجم الهاغاناه القرى الفلسطينية المجاورة للمستعمرة، وهي: النغنغيه، والمنسي، واللجون، وتحتلها جميعها.

● قوات الجهاد المقدس الفلسطينية تنصب كمينا لقافلة للهاغاناه على الطريق المؤدي الى الجامعة العبرية شرقي القدس. نجم عن ذلك مقتل ٣٩ يهوديا، و٦ فلسطينيين.

● ١٤ نيسان / ابريل: قرار لمجلس الأمن يدعو الى هدنة عسكرية وسياسية.

● الهاغاناه تهاجم قريتين درزيتين فلسطينيتين، هما حوشا وخربة قصير، بالقرب من حيفا.

● ١٦ نيسان / ابريل: القوات الدرزية غير النظامية تشن هجوما على الهاغاناه، وترغمها على الانسحاب من حوشا.

● القوات البريطانية تخلي بلدة صفد لمجأة.

● ١٨ نيسان / ابريل: انسحاب بريطاني مفاجىء من طبرية. الهاغاناه تهاجم البلدة وتحتلها، ويفر السكان الفلسطينيون.

● الهاغاناه تشن هجوما على بلدة صفد.

● ٢٠ نيسان / ابريل: الولايات المتحدة تقدم الى الأمم المتحدة خطة وصاية بشأن فلسطين.

● قوات الجهاد المقدس تغلق الطريق من الساحل المؤدي الى الأحياء اليهودية في القدس، ومعركة ضارية تدور للتصدي لقافلة كبرى للهاغاناه بالقرب من قرية دير ايوب غربي القدس.

● ٢١ نيسان / ابريل: القوات البريطانية تخلي القطاع السكني في حيفا فجأة.

● ٢٢ نيسان / ابريل: الهاغاناه تشن عملية «مسباراييم» (في سياق عمليات «خطة د») للهجوم على حيفا واحتلالها.

● ٢٣ نيسان / ابريل: الهاغاناه تهاجم قريتي بيت إكسا وشعفاط (قضاء القدس) وتحتلهما، لكن يتم صد الهاغاناه في النبي صموئيل.

● الهاغاناه تستولي على حيفا، وتطرد السكان الفلسطينيين منها.

● ٢٤ نيسان / ابريل: الإرغون تهاجم يافا عن طريق قصفها بقذائف المورتر الثقيلة، ويعقب ذلك هجوم لقوات المشاة.

● ٢٥ ــ ٣١ نيسان / ابريل: الهاغاناه تشن عملية «حامتس» (في سياق عمليات «خطة د») لاحتلال يافا، وتهاجم قرى تل الريش ويازور وسلمة (قضاء يافا).

● ٢٥ نيسان / ابريل: وصول ٢٥ قطعة مدفعية من الولايات المتحدة الى تل ابيب، على متن الباخرة ريزوريكتيو.

● ٢٦ نيسان / ابريل: البدء بعملية «يبوسي» (في سياق «خطة د») لاحتلال القدس بأكملها. الهاغاناه تهاجم الحي السكني الفلسطيني في الشيخ جراح شرقي القدس، وتعزل المدينة عن الشمال. القوات البريطانية تتدخل أول مرة ضد الهاغاناه منذ بدء القتال.

● فشل محاولة الهاغاناه لعزل القدس عن أريحا شرقا.

● ٢٧ نيسان / ابريل: الهاغاناه تعلن تنسيق خططها مع الإرغون.

● ٢٨ ــ ٣٠ نيسان / ابريل: وحدة من جيش الانقاذ، بقيادة ميشيل العيسى، تنجح في شق طريقها الى يافا لكسر طوق الهاغاناه.

● ٢٨ نيسان / ابريل: بريطانيا تتدخل لوقف الهجوم المشترك، من جانب الإرغون والهاغاناه، على يافا.

● الهاغاناه تشن عملية «مطأطي» (في سياق «خطة د») لطرد الفلسطينيين من الجليل الشرقي (من روش بينا الى نهر الأردن).

● الهاغاناه تشن عملية «يفتاح» (في سياق عمليات «خطة د») لطرد الفلسطينيين من بقية الجليل الشرقي والأوسط، وتحتل صفد.

● الهاغاناه تهاجم بلدة سمخ الفلسطينية جنوبي بحيرة طبرية، وتطرد سكانها.

● الهاغاناه تهاجم قريتي عين زيتون وبيريا، شمالي صفد، وتحتلهما وتطرد سكانهما.

● ٢٩ نيسان / ابريل: الهاغاناه تحتل قرى سلمة ويازور وجباليا، الواقعة في ضواحي يافا، وتعزل يافا عن سائر فلسطين. وقد فرّ بقية السكان من المدينة عن طريق البحر، لكن وحدات من جيش الانقاذ والمتطوعين الفلسطينيين غير النظاميين ظلت تقاوم.

● الهاغاناه تواصل تنفيذ عملية «يبوسي»، فتهاجم الأحياء السكنية الفلسطينية في القطمون بالقدس الغربية وتحتلها.

● ٣٠ نيسان / ابريل: الهاغاناه تحتل جميع الأحياء السكنية في القدس الغربية، وتطرد سكانها.

● رؤساء أركان الجيوش العربية يعقدون في عمان اجتماعهم الأول لدراسة الموقف العسكري في فلسطين.

● ١ أيار / مايو: حكومتا لبنان وسوريا تقرران إرسال قواتهما الى فلسطين، عند انتهاء الانتداب في ١٥ أيار / مايو.

● ٢ أيار / مايو: العراق يرسل قواته الى المفرق في شرق الأردن، لدخول فلسطين بعد ١٥ أيار / مايو.

● ثلاث طائرات محملة بأسلحة للهاغاناه تصل من فرنسا.

● ٣ أيار / مايو: تقارير تذكر ان ما بين ١٧٥,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ فلسطيني طُردوا وشُرِّدوا من المناطق التي وقعت في يد القوات الصهيونية.

● المستوطنون اليهود في مستعمرة غوش عتسيون جنوبي القدس، ينصبون الكمائن للسيارات المتجهة من المدينة واليها.

● ٤ أيار / مايو: وحدة من الجيش العربي الأردني، العامل في فلسطين بإمرة القيادة البريطانية، تقوم بقصف غوش عتسيون انتقاما لقيام المستوطنين فيها بنصب الكمائن.

● الإرغون تحتل قرية العباسية الواقعة بالقرب من يافا.

● بريطانيا تعلن أنها تقوم بدراسة نظام وصاية انتقالي، لتطبيقه في فلسطين عند انتهاء الانتداب.

● ٥ أيار / مايو: انسحاب وحدة جيش الانقاذ، التي كانت بقيادة ميشيل العيسى، من يافا منهية بذلك مقاومة المدينة.

● ٦ أيار / مايو: خمس قطع مدفعية للهاغاناه تصل من فرنسا.

● قوات الهاغاناه تهاجم قرية الشجرة والقرى المحيطة بجبل طابور، وتحتلها وتطرد سكانها.

● الهاغاناه تكثّف هجومها على صفد.

● ٨ ــ ٩ أيار / مايو: قوات الهاغاناه تبدأ عملية «مكابي» (في سياق عمليات «خطة د»)، الهادفة الى احتلال باقي القرى الواقعة بين الرملة واللطرون، وتهاجم قرية بيت مُحسير غربي اللطرون.

● ١٠ ــ ١٢ أيار / مايو: رؤساء الأركان العرب يعقدون اجتماعهم الثاني في دمشق.

● ١٠ أيار / مايو: قوات الهاغاناه تدخل مدينة يافا.

● الوحدات المصرية غير النظامية، التابعة للاخوان المسلمين، تقوم بمهاجمة مستعمرة كفار داروم في النقب للمرة الثانية.

● ١١ أيار / مايو: الهاغاناه تستمر في عملية «مكابي»، لتحتل قرية بيت محسير الواقعة غربي اللطرون.

● الهاغاناه تشن عملية «هدعون» (في سياق عمليات «خطة د»)، لاحتلال القرى الواقعة في منطقة الحولة في أعلى الجليل الشرقي.

● ١١ ـ ١٢ أيار / مايو: الهاغاناه تحتل صفد والقرى المحيطة بها، وتطرد سكانها منها.

● ١٢ ـ ١٤ أيار / مايو: الدفعتان الثانية والثالثة من الأسلحة التشيكوسلوفاكية تصلان الى الهاغاناه في فلسطين، وتشتملان على ٥٠٠٠ رشاش، و ١٢٠٠ بندقية، و٦ ملايين طلقة عتاد.

● ١٢ أيار / مايو: إعلان حالة الطوارىء في البلاد العربية، ومنع الفلسطينيين الذكور الأصحاء الأجسام من دخول اي بلد عربي.

● البرلمان المصري يقرر إرسال قوات الى فلسطين عند نهاية الانتداب. الجيش الأردني، العامل في فلسطين بإمرة القيادة البريطانية، يشدد هجومه على غوش عتسيون جنوبي القدس.

● قوات الجهاد المقدس في اللطرون تقوم، للمرة الثانية، بإغلاق الطريق من الساحل المؤدي الى الأحياء اليهودية في القدس.

● الهاغاناه تشن عملية «براك» (في سياق عمليات «خطة د»)، لاحتلال قرى بربر وحليقات وكوكبا والقرى المجاورة لها في قضاء غزة، تمهيدا لاحتلال النقب.

● الهاغاناه تواصل عملية «غدعون»، فتحتل قرى عولم وحدثه ومعذر (قضاء طبرية، الجليل الأسفل) وتطرد سكانها. وقد «اصبحت المنطقة الآن خالية من العرب»، بحسب الهاغاناه.

● الهاغاناه تهاجم مدينة بيسان، جنوبي بحيرة طبرية، وتحتلها.

● ١٣ أيار / مايو: حاييم وايزمن يبعث برسالة للرئيس ترومان يطلب فيها اعتراف أميركا بالدولة اليهودية عند إعلان تأسيسها.

● الأمم المتحدة تعين الكونت فولك برنادوت وسيطا بين العرب والصهاينة.

● ٢٤ مدفعا من مدافع المورتر الثقيلة تصل الى الهاغاناه عن طريق ميناء حيفا، على متن الباخرة «بوريا».

● الإرغون والهاغاناه توقعان اتفاقية لغزو القدس بأكملها.

● وحدة من الجيش العربي الأردني (العامل في فلسطين بإمرة القيادة البريطانية) ومن الجهاد المقدس تحتل كفار عتسيون، وهي واحدة من اربع مستعمرات تشكل غوش (مجموعة) عتسيون.

● مدينة يافا تستسلم لقوات الهاغاناه.

● الهاغاناه تهاجم قرى عاقر وقطره وبشيت وبيت داراس وبرقه (قضاء الرملة)، وتحتلها.

● الهاغاناه تتلقى أوامر باحتلال جميع القرى الفلسطينية في السهل الساحلي بالقرب من طولكرم.

● قرية الطيرة، قرب قلقيلية، تصد هجوما للهاغاناه.

● الهاغاناه تهاجم القرى الفلسطينية الصغيرة على منحدرات جبل الكرمل، فتحتل قرية كفر سابا، وتشن هجوما فاشلا على قلقيلية.

● ١٤ أيار / مايو: الهاغاناه تشن عملية «كلشون» (في سياق «خطة د»)، لاحتلال أماكن استراتيجية بالقدس بعد انسحاب الانكليز منها، ولاحتلال الأحياء السكنية خارج القدس القديمة.

● الهاغاناه تشن عملية «شفيفون» (في سياق عمليات «خطة د»)، لاحتلال بلدة القدس القديمة.

● الهاغاناه تشن عملية «بن عامي»، لاحتلال المناطق الغربية للجليل الأعلى. كما تهاجم قرى السامرية والزيب والبصّة (قضاء عكا)، وتحتلها وتطرد سكانها.

● الهاغاناه تحتل قرى كفر قرع (قضاء حيفا)، والقباب (قضاء اللد)، وأبو شوشة (قضاء يافا)، وتطرد سكانها.

● آخر ثلاث مستعمرات من مجموعة غوش عتسيون (وهي رفاديم، وعين تسوريم، ومسؤوت يتسحاق، جنوبي القدس)، تستسلم للجيش العربي الأردني.

● المندوب السامي البريطاني يغادر مقره في القدس الى بريطانيا.

● إعلان قيام دولة اسرائيل في تل ابيب، الساعة الرابعة بعد الظهر.

● ١٥ أيار / مايو: انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

● إعلان قيام اسرائيل يصبح نافذ المفعول.

● اعتراف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل.

● أول وحدة من القوات النظامية المصرية تدخل حدود فلسطين.

● القوات المصرية تهاجم مستعمرتي كفار داروم ونيريم في النقب، وثلاثة ألوية تابعة للجيش العربي الأردني تعبر نهر الأردن في طريقها الى فلسطين.

● القوات النظامية اللبنانية تستعيد قريتي المالكية وقَدَس (على الحدود اللبنانية)، وتحررهما من الهاغاناه.

● الهاغاناه تنسحب من مستعمرتي عطروت والنبي يعقوب (شمالي القدس)، وكذلك من مستعمرة اخرى بالقرب من أريحا.

● ١٦ أيار / مايو: رتل سوري يتحرك نحو مدينة سمخ الفلسطينية، جنوبي بحيرة طبرية، التي احتلتها الهاغاناه سابقا.

● الهاغاناه تواصل عملية «بن عامي»، وتهاجم مدينة عكا.

● وحدات الجيش الأردني تصل الى الضواحي الشمالية للقدس.

● ١٧ أيار / مايو: الهاغاناه تواصل عملية «شفيفون» لاحتلال بلدة القدس القديمة.

● سقوط عكا في يد الهاغاناه.

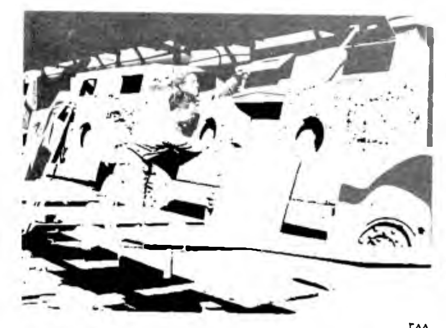
● ١٨ أيار / مايو: القوات السورية تحرر مدينة سمخ، وتستولي على مستعمرتي شاعر هغولان ومساده.

● وحدات الجيش العربي الأردني تصل الى اللطرون، معززة حصار الطريق الساحلي المؤدي الى الأحياء اليهودية في القدس، والذي كانت تواصله قوات الجهاد المقدس الفلسطينية.

● ١٩ أيار / مايو: القوات المصرية النظامية تهاجم مستعمرة ياد مردخاي في النقب.

● قوات الهاغاناه تدخل بلدة القدس القديمة.

● الجيش العربي الأردني يتحرك لانقاذ البلدة القديمة.



٣٨٨

بريطانيا في المصيدة

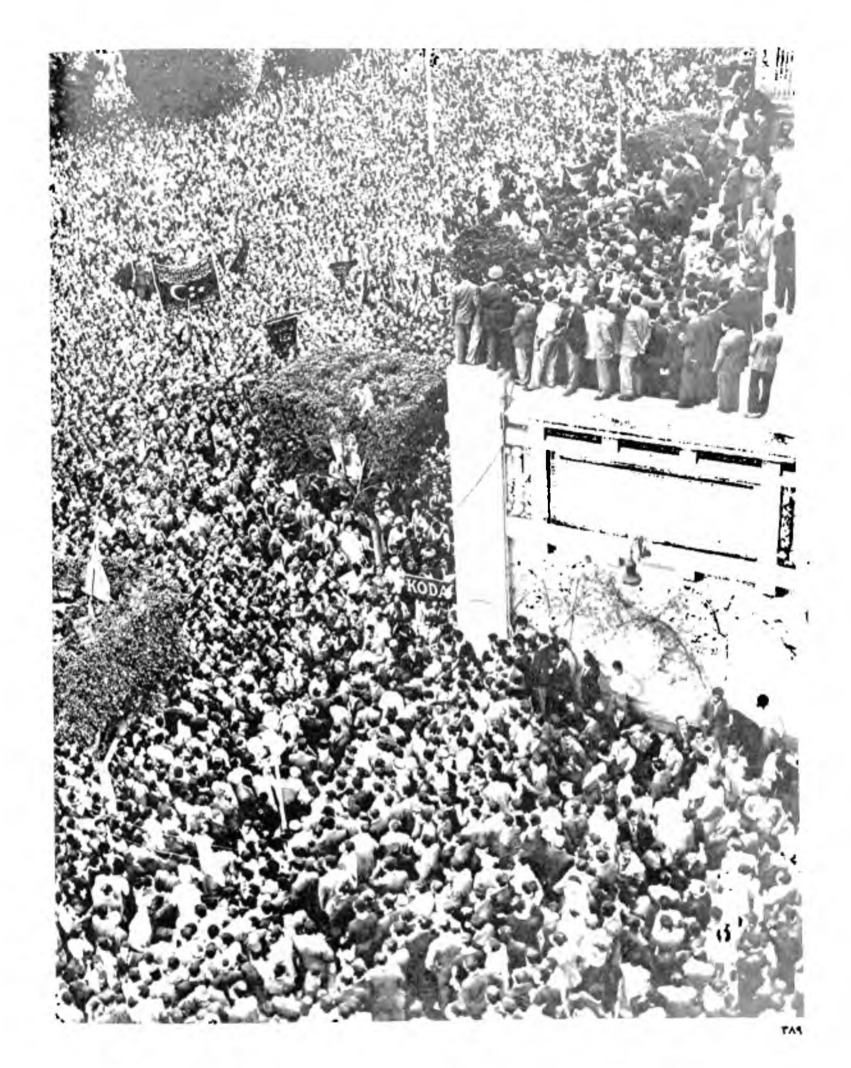
٣٨٧ أسلاك شائكة وحواجز أخرى وضعها البريطانيون حول مقرهم الإداري (الى اليسار) في وسط القدس، لحمايتهم من عمليات الإرهاب التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية، خريف سنة ١٩٤٧.

استيراد المصانع العسكرية

٣٨٨ زار دافيد بن ـ غوريون (الذي كان حينئذ رئيسا للهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية) الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٤٥، لشراء مصانع حربية بكامل عدتها. بيعت هذه المصانع على أساس أنها خردة ومن مخلّفات الحرب، وتم «تهريبها» الى فلسطين خلال الانتداب البريطاني، كما تم تركيبها «سراً» في مناطق يهودية مزدحمة بالسكان (أنظر الصورتين ٣٠٣، ٣٠٤). تبين هذه الصورة مصنعا لانتاج السيارات المصفحة، منتصف سنة ١٩٤٨.

٣٨٧





٣٨٩



٣٩٠



٣٩١

هيئة الأمم المتحدة توصي بتقسيم فلسطين

٢٨٩ في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧، مارست الولايات المتحدة الأميركية ضغوطا هائلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة، كي تصدر قرارا يوصي بتقسيم فلسطين. وقد قابل العالم العربي والإسلامي، بأسره، هذا القرار باستياء وفزع شديدين. هنا نرى حشود الجماهير في القاهرة تعلن احتجاجها على القرار، كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٧.

٣٩٠ توصية الأمم المتحدة بالتقسيم (علما بأن توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة غير ملزمة) عجلت بوقوع الاشتباكات بين اليهود والفلسطينيين. هذه الاشتباكات تصاعدت لتصبح حربا داخلية شاملة خلال الأشهر الأخيرة من حكم الانتداب البريطاني الذي انتهى في ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨. لقد أبدى الفلسطينيون تصميمهم على عدم قبول إنشاء دولة صهيونية على أرضهم، ومعارضتهم لأن يصبحوا أقلية في ظل حكم صهيوني أجنبي دخيل. لكن الصهاينة كانوا مصممين على إنشاء دولة صهيونية بالقوة، سواء قبل الفلسطينيون أو لم يقبلوا. تبين الصورة الحريق الذي شب في سينما ركس العربية الواقعة بين القسم الفلسطيني والقسم اليهودي من مدينة القدس، كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٧.

الإرهاب الصهيوني

٣٩١ قنبلة ألقيت من سيارة أجرة مارة بالقرب من أوتوبيس في المنطقة السكنية الفلسطينية خارج باب العمود، القدس، ٢٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٧. أدت هذه العملية الارهابية الى مقتل ١٧ مدنيا فلسطينيا. نفذ العملية أعضاء من منظمة الإرغون الارهابية (أنظر الصورتين ٢٩٤، ٢٩٥)، وقد تبعها مثات من العمليات الصهيونية الإرهابية في الأشهر اللاحقة.

٣٩٢ شرطي فلسطيني يحمل طفلة فلسطينية في اثر حادث نسف عند باب العمود في القدس. (أنظر الصورة ٣٩١)

٣٩٣ أنقاض السراي الكبير، يافا (أنظر الصورتين ٦، ١٦٤). سيارة نقل محملة بالمتفجرات ومغطاة بالبرتقال، بغرض التمويه، انفجرت خارج المدخل في ٤ كانون الثاني / يناير ١٩٤٨. وقد قام بهذه العملية أعضاء عصابة شتيرن الارهابية (أنظر الصورة ٢٩٣).

٣٩٤ أنقاض فندق سميراميس في حي البقعة، وهو حي سكني فلسطيني في غرب القدس. في ٥ كانون الثاني / يناير ١٩٤٨ (في اليوم التالي للحادث في الصورة ٣٩٣)، قام أعضاء الهاغاناه التابعة لقيادة دافيد بن ــ غوريون (أنظر الصورة ٣٠٨) بنسف الفندق، مما أدى الى مقتل ٢٠ شخصا مدنيا، بينهم نساء وأطفال اكثرهم من عائلة فلسطينية واحدة هي عائلة ابو صوّان التي لجأ أفرادها الى الفندق لأنه يقع في منطقة بعيدة عن القتال.



٣٩٢



٢٩٣



٢٩٤



٣٩٥



٣٩٦

٣٩٥ مدنيون فلسطينيون (ورجال شرطة بريطانيون) يحتمون من النيران المصوّبة نحوهم من قبل الصهاينة، القدس، شباط / فبراير ١٩٤٨.

المقاومة الفلسطينية ترد على العنف بالعنف

٣٩٦ في مطلع كانون الثاني / يناير ١٩٤٨، عاد عبد القادر الحسيني (أنظر الصور ٧٨، ٢٥٣، ٤٠٩ – ٤١١) الى فلسطين بعد نفي دام عشرة أعوام، وبدأ تنظيم المقاومة الفلسطينية ضد التقسيم المفروض على فلسطين. هنا نراه واقفا في الوسط، والى يمينه نائبه المناضل كامل عريقات، وحولهما عدد من المناضلين، منطقة القدس، شباط / فبراير ١٩٤٨. الجالس أمام الشهيد عبد القادر، هو الشهيد البطل ابراهيم ابو دية.

٣٩٧ – ٣٩٩ رجال المقاومة الفلسطينية، آذار / مارس ١٩٤٨. يشاهد على ظهر مقدمة السيارة الشهيد البطل ابراهيم ابو دية.



٣٩٧



٣٩٨



٣٩٩

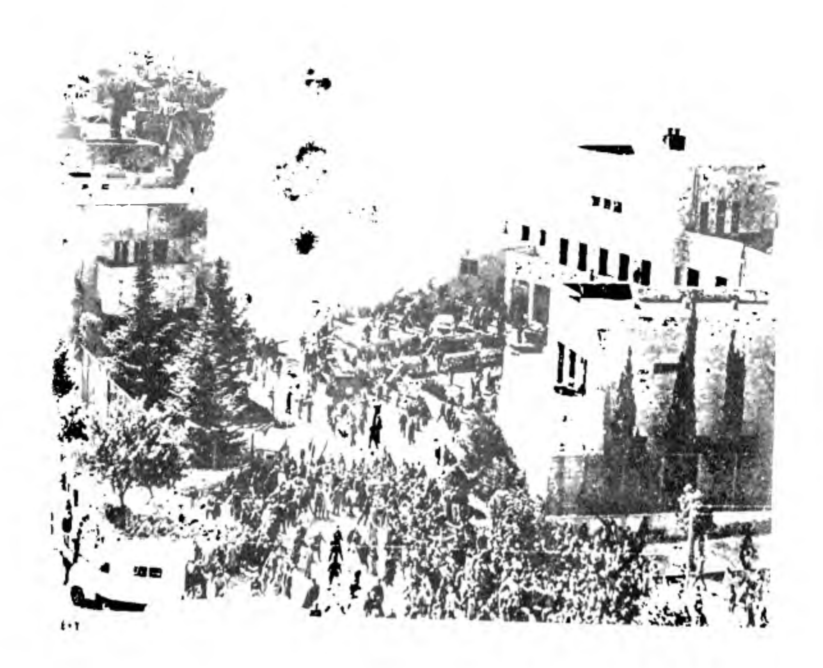
٤٠٠ ــ ٤٠٢ ردا على أسلوب السيارات المفخخة الذي أدخله الإرهابيون الصهاينة، قامت المقاومة الفلسطينية بضرب الأهداف اليهودية، مستخدمة الأسلوب نفسه: (٤٠٠) انفجار في مكتب «بالستين بوست» بالقدس، أدى الى مقتل ٢٠ يهوديا مدنيا في ١ شباط / فبراير ١٩٤٨؛ (٤٠١) ٥٧ يهوديا مدنيا قتلوا في انفجار في شارع بن يهودا في القدس، في ٢٢ شباط / فبراير ١٩٤٨؛ (٤٠٢) ١٢ يهوديا مدنيا قتلوا في المقر الرئيسي للوكالة اليهودية في القدس، يوم ١١ آذار / مارس ١٩٤٨. قاد السيارة التي انفجرت أمام مقر الوكالة المناضل الفلسطيني أنطوان داود.



٤٠٠



٤٠١



٤٠٢

انضمام المتطوعين من خارج البلاد الى الجانبين المتحاربين

٤٠٣، ٤٠٤ انضم متطوعون من الخارج الى الجانبين المتحاربين. كان لدى الصهاينة منظمتان لتجنيد المتطوعين من الخارج هما: «غاحل» و«ماحل». دربت «غاحل» نحو ٢٠,٠٠٠ متطوع في مختلف القواعد الأوروبية، ثم نقلتهم الى فلسطين. وركزت «ماحل» على تجنيد الخبراء العسكريين، اليهود وغير اليهود، من أوروبا والولايات المتحدة. وقبل ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨، أخذت جامعة الدول العربية على عاتقها تأليف فرقة غير نظامية من ثلاثة آلاف متطوع، عرفت باسم «جيش الانقاذ»، منهم نحو ٢٥٠٠ قدموا من الدول العربية المجاورة، والباقي من فلسطين. عاد فوزي القاوقجي (أنظر الصورتين ٢٦٣، ٢٦٤) الى فلسطين ليتولى قيادة وحدات جيش الانقاذ في القطاع الأوسط من البلاد، وهنا (الصورة ٤٠٣) نراه عند وصوله الى قرية جبع قرب نابلس، في بداية آذار/ مارس ١٩٤٨. كما نرى وحدة من جيش الانقاذ (الصورة ٤٠٤) في القسم الأوسط من فلسطين، آذار/ مارس ١٩٤٨.



٤٠٣



٤٠٤

٤٠٥ ــ ٤٠٨ تولى إدارة المستعمرات الصهيونية (أنظر الصور ٢٩٦ ــ ٢٩٨) جهاز صهيوني عسكري مركزي. وكانت هذه المستعمرات منيعة حصينة، لا تتأثر بالأسلحة الخفيفة التي كان يملكها الفلسطينيون. وقد استخدمت القيادة الصهيونية هذه المستعمرات لقطع المواصلات الفلسطينية، ولتحقيق مكاسب على الأرض تمكنها من السيطرة ليس فقط على المساحة المخصصة للدولة اليهودية المقترحة في قرار التقسيم لكن على مناطق شاسعة خارجها أيضا (أنظر الصورة ٣٨٩). ولإحباط هذا المخطط حاول الفلسطينيون قطع طرق الامدادات التي تستخدمها المستعمرات. الصور ٤٠٥ و٤٠٦ و٤٠٧ التقطت في منطقة القدس في ربيع سنة ١٩٤٨، وتبين بالتوالي سيارة نقل مصفحة تحمل مواد لبناء الاستحكامات، وسيارة مصفحة، وسيارة مصفحة خلفها سيارة أونوبيس مصفحة لحمل الجنود. هذه السيارات، التي وقعت في قبضة قوات الجهاد المقدس الفلسطينية، ما هي إلا عيّنة للسيارات التي استخدمت لنقل الامدادات الى المستعمرات الصهيونية. في الصورة ٤٠٨ نرى أفراد قوات الجهاد المقدس يستعدون لنصب كمين، منطقة الخليل، ربيع سنة ١٩٤٨.



٤٠٦



٤٠٥



١٠٧



١٠٨

القسطل ودير ياسين

في ٤ نيسان / ابريل ١٩٤٨، شنت القيادة الصهيونية الهجوم العام لاحتلال أكبر أجزاء ممكنة من فلسطين، وذلك ضمن الخطة الكبرى التي أعدتها الهاغاناه والمسماة بـ«خطة د» (دالت بالعبرية). ولقد كان من أول أهداف هذه الخطة، احتلال عشرات القرى الفلسطينية الواقعة بين يافا والقدس عن طريق سلسلة منسقة من العمليات سميت «نحشون» (Nachshon) و«هارئيل» (Harel) و«مكابي» (Maccabi)، والملاحظ ان هذه القرى جميعا كانت تقع خارج حدود الدولة اليهودية التي «اوصت» هيئة الأمم بقيامها. (أنظر الصورة ٣٨٩)

وفي ٢ نيسان / ابريل، اي قبل البدء بعملية «نحشون» بثلاثة أيام، قامت قوات الهاغاناه بهجوم خاطف على قرية القسطل الفلسطينية (التي تبعد نحو خمسة أميال غربي القدس وتتميز بموقعها الاستراتيجي المهم)، واحتلتها بعد طرد سكانها.

٤٠٩ في ليلة ٧ ـ ٨ نيسان / ابريل، وبقيادة عبد القادر الحسيني (أنظر الصورتين ٢٥٣، ٣٩٦)، قامت قوات الجهاد المقدس الفلسطينية بهجوم مضاد لاسترداد القسطل. نرى في الصورة الفلسطينيين وهم يقومون بالهجوم المضاد.

٤١٠ في ٩ نيسان / ابريل، حرر الفلسطينيون القسطل، واستشهد عبدالقادر الحسيني وهو يقود رفاقه في هذه المعركة. نُشاهد في الصورة الجنازة التي اقيمت له في مسجد قبة الصخرة المشرفة في القدس (أنظر جنازة والده، موسى كاظم باشا الحسيني، في الصورتين ١١١، ١١٢).



٤٠٩

٤١٠





٤١١

القسطل يوم ٩ نيسان / ابريل ١٩٤٨، هاجم ٨٠ رجلا من الإرغون ــ بناء على أوامر من مناحيم بيغن ــ قرية دير ياسين (ظاهرة في الصورة) الواقعة في الضواحي الغربية للقدس، على بعد ٢ أميال من القسطل. قبل ذلك الهجوم بشهر واحد، عقد أهالي دير ياسين اتفاق عدم اعتداء مع مستعمرة عفعات شاؤول المجاورة لهم. وعلى الرغم من ذلك، فقد شن أفراد عصابة الإرغون هجومهم من هذه المستعمرة بالذات، يرافقهم ٤٠ ارهابيا من عصابة شترن التي كان يتحاق شمير، رئيس وزراء اسرائيل الحالي، أحد كبار قادتها. يقول التاريخ الرسمي للهاغاناه، بالحرف الواحد: واقترف المهاجون مذبحة لم تميز بين الرجال والنساء والأطفال والكهول، ثم وضعوا أسراهم في عربات وطافوا بهم شوارع القطاع اليهودي من القدس في موكب (نصر). بعد ذلك عادوا بالأسرى الى دير ياسين وقتلوهم. بلغ عدد الذين قتلوا من سكان القرية ٢٤٥ فردا، بمن فيهم الرجال والنساء والأطفال.»[١]

تعرض نحو مئتي قرية فلسطينية للهجوم والغزو الصهيوني قبل نهاية الانتداب في ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨. العديد من سكان هذه القرى قتل او جرح، وجميعهم اقتلعوا من ديارهم عنوة او اضطروا الى الفرار خوفا على حياة ذويهم.

حصار مدينة يافا وسقوطها

شنت الهاغاناه هجماتها على المدن الرئيسية بموجب «خطة دال»، فسقطت مدينة طبرية في ١٨ نيسان / ابريل، كما سقطت حيفا بعد قتال مرير في ٢٣ نيسان / ابريل. في ٢٤ نيسان / ابريل، شنت عصابة الإرغون الارهابية، بأمر من مناحيم بيغن، هجومها على حي المنشية في يافا ـ وهو حي فلسطيني قليل العمق يمتد على شاطئ البحر وتحيط به مدينة تل ابيب اليهودية من الشمال والشرق. استمرت عصابة الإرغون الارهابية بقصف أحياء يافا السكنية بقنابل الهاون (المورتر) لمدة اربعة أيام بلياليها، من دون انقطاع او تمييز، وكأن بيغن يقوم بـ«بروفة» مبكرة لحصار مدينة عربية باسلة سنة ١٩٨٢. وبينما كان بيغن يهاجم يافا من الشمال، قامت قوات الهاغاناه بتنفيذ عملية «حاميتس» (Chametz)، ومهاجمة يافا من الشرق والجنوب حتى يتم تطويقها وعزلها كليا عن سائر فلسطين.

٤١٢ أنقاض حي المنشية.

٤١٣ أفراد الإرغون يقتحمون بيوت الفلسطينيين في يافا بعد تفجيرها.

٤١٤ نظرا الى غياب التنظيم العسكري السليم والدفاع المدني المنظم، فقد انهارت معنويات المدنيين الفلسطينيين في اثر الهجمات المشتركة التي شنتها قوات الهاغاناه والإرغون. هنا نرى النساء والأولاد يحاولون إنقاذ بعض ممتلكاتهم وهم يفرون من المدينة.



٤١٣

٤١٢





٤١٤



٤١٥

الى البحر

٤١٥ المدنيون الفلسطينيون بعد إلقائهم في البحر: ميناء يافا، أواخر نيسان / ابريل ١٩٤٨. هاجر عشرات الآلاف من سكان يافا والقرى المجاورة ــ عن طريق القوارب ــ الى غزة ومصر، ومات عدد كبير منهم غرقاً. كان من المقرر بحسب توصية هيئة الأمم بتقسيم فلسطين، الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ (أنظر الصورة ٣٨٩)، ان تكون يافا الميناء الرئيسي للدولة الفلسطينية المقترحة.

سقوط عكا وغزو الجليل الغربي

بحسب «خطة د» (أنظر الصور ٤٠٩ ـ ٤١١) استمر الهجوم المركز على المدن الرئيسية حتى أيار / مايو. وفي ١٢ أيار / مايو، سقطت مدينة صفد في عملية «يفتاح» (Yiftach). بعد سقوط حيفا، قامت الهاغانا، بتنفيذ عملية «بن عامي» (Ben Ami) الهادفة الى غزو الجليل الغربي وضمه الى الدولة اليهودية، علما بأن منطقة الجليل الغربي كانت تقع خارج حدود الدولة اليهودية كما اقترحها قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧.

٤١٦ أفراد قوات الهاغانا، يحاصرون عكا، نحو ١٦ أيار / مايو ١٩٤٨. كانت عكا أيضا تقع خارج نطاق الدولة اليهودية كما حددها قرار التقسيم.

٤١٧ السكان المدنيون في عكا يساقون الى سجن القلعة في المدينة بعد سقوطها، ١٧ أيار / مايو ١٩٤٨.

٤١٨ أنقاض قرية السامرية، شمالي عكا. وقد لاقت المصير نفسه نحو ٤٠٠ قرية فلسطينية، في الفترة الممتدة بين بداية تنفيذ «خطة د» في أوائل نيسان / ابريل ١٩٤٨ ونهاية سنة ١٩٤٨.

لجأ عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوا من مدن وقرى الجليل الى لبنان، حيث شكلوا نواة الوجود الفلسطيني في الأراضي اللبنانية.(٢)



٤١٧



٤١٦



٤١٨

بن-غوريون يخطط لاحتلال القدس بكاملها

وضع دافيد بن-غوريون في شباط / فبراير ١٩٤٨ خطة لاحتلال القدس بكاملها، على الرغم من أنها اعتبرت مع جوارها منطقة منفصلة خاضعة لنظام وصاية دولي خاص بموجب توصية هيئة الأمم بتقسيم فلسطين، في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧.

قسّم بن-غوريون خطته الى مرحلتين: الأولى تمتد الى ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨، وهدفها الرئيسي «انتهاز كل فرصة - عسكرية او سياسية - لاحتلال أحياء العدو [كذا] السكنية وخلق حيّز جغرافي يهودي متصّل عبر المدينة بأسرها، حتى يتيسر لنا ادخال السكان اليهود الى هذه الأحياء في الوقت الذي يغادرها سكانها. والثانية تنفذ فور مغادرة البريطانيين للمدينة في ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨، وهدفها «تحرير [كذا] البلدة القديمة والقدس بكاملها.»[٣]

في ٢٦ نيسان / ابريل، شنت الهاغاناه عملية «يبوسي» (Jevussi) لتنفيذ المرحلة الأولى. واحتلت، بنهاية يوم ٣٠ نيسان / ابريل، معظم الأحياء الفلسطينية السكنية في القدس الغربية (انظر الصور ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢)، وبعض هذه الأحياء في القدس الشرقية وطردت سكانها. في ١٤ أيار / مايو ١٩٤٨، انهت عملية «كلشون» (Klashon) أعمال الاحتلال والطرد التي لم تنجزها «يبوسي» خارج القدس القديمة. وفي اليوم نفسه، بدأت عملية ثالثة - «شفيفون» (Schfifon) - لاحتلال البلدة القديمة ذاتها. ولم يقف دون نجاح بن-غوريون في احتلالها، وقتذاك، سوى صمود سكان البلدة الرائع، وعلى رأسهم حفنة من المجاهدين الأبطال، وتدخّل بعض وحدات الجيش العربي الأردني - ولو انه جاء متأخرا في ١٩ أيار / مايو ١٩٤٨.



٤١٩



٤٢٠

٤١٩ طابور عسكري من الهاغاناه يصل الى القدس قادما من تل ابيب، نيسان / ابريل ١٩٤٨، تنفيذا لـ «خطة د» (أنظر الصور ٤٠٩ ـ ٤١١).

٤٢٠ معارك ليلية في القدس، بداية أيار / مايو ١٩٤٨.

٤٢١ ـ ٤٢٣ مشاهد من الدمار الذي حلّ بالأحياء السكنية الفلسطينية في شرق القدس، من نيسان / ابريل الى أوائل أيار / مايو ١٩٤٨: (٤٢١) أنقاض منزل في حي سعد سعيد؛ (٤٢٢) أنقاض حي المصرارة؛ (٤٢٣) أنقاض المركز التجاري خارج باب الخليل. يُرى في الصورة ٤٢٣ ما تبقى من فندق فاست، وفي أقصى اليسار نرى أنقاض المقر الرئيسي للبنك العربي (للتعرف على أحياء هذه المنطقة قبل تدميرها، أنظر الصورتين ٢٠٧، ٢٧٧).



٤٢١



٤٢٢



٤٢٣

الكونت برنادوت

٤٢٤ في ١٣ أيار / مايو ١٩٤٨، عينت الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت، أحد أفراد العائلة المالكة السويدية وممثل الصليب الأحمر الدولي في أوروبا خلال الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وسيطا دوليا للتوصل الى تسوية للنزاع في فلسطين. في ١٧ أيلول / سبتمبر ١٩٤٨، اغتيل الكونت برنادوت في القسم الذي يسيطر عليه الصهاينة من مدينة القدس. دبّر عملية الاغتيال جماعة ادّعى بأنها «انفصلت» عن عصابة شتيرن الارهابية (أنظر الصورة ٢٩٣) التي كان قائد عملياتها يتسحاق شمير، رئيس وزراء اسرائيل الحالي.

الربّان يهرب من السفينة

٤٢٥ الجنرال السير آلان كانتغهام (Sir Alan Cunningham)، المندوب السامي البريطاني، يعرض حرس «الشرف» وهويغادر مقره الرسمي في القدس لآخر مرة، في ١٤ أيار / مايو ١٩٤٨ قبل انتهاء الانتداب رسميا بيوم واحد (أنظر الصورتين ١٦، ٧٩): نهاية مشينة لحكم مشين.



٤٢٥



٤٢٤

الشتات الفلسطيني الأول

بحلول ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨، كان مئات الآلاف من الفلسطينيين ـ رجالا ونساء، أطفالا وكهولا ـ قد اقتلعوا من ديار آبائهم وأجدادهم في مئات القرى وعشرات المدن ليبدأوا الشتات الفلسطيني الأول. ويعلق دافيد بن ـ غوريون على ذلك بقوله في مذكراته، بتاريخ ٥ حزيران / يونيو ١٩٤٨: «يجب ان تعدّ العدة فورا لاستيطان القرى الفلسطينية المهجورة بمعونة الصندوق القومي اليهودي.»[٩]

٤٢٦ مخيم لاجئين فلسطينيين عند نهر البارد في شمال لبنان، شتاء سنة ١٩٤٨.

٤٢٧ اذا حلّ الشتاء... فهل يطول مجيء الربيع؟

٤٢٦





٤٧٧

الحــواشــي

القدس: خصّها الله، سبحانه وتعالى، بالقداسة والتعظيم

(١) أنظر كتاب «فضائل القدس»، تأليف الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، حقّقه وقدّم له الدكتور جبرائيل سليمان جبّور (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠).

السيد المسيح: كلمة الله، سبحانه وتعالى

(١) أنظر القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ١٧١.

القسم الأول: أيام الحكم العثماني الأخيرة، ١٨٧٦ ـ ١٩١٨

المقدمة

(١) أنظر الصفحات ٦٧ ـ ٧٦ في:

Miguel Asin, *Islam and the Divine Comedy*, translated and abridged by Harold Sunderland (London: John Murray, 1926).

(٢) أنظر الصفحة ٤ في:

Report by Sir William Fitzgerald on the Local Administration of Jerusalem (Jerusalem: Government Printer, 1945).

(٣) أنظر الصفحة ١١ من مقال لعبد اللطيف طيباوي:

«Jerusalem: Its Place in Islam and Arab History,» *Arab World* 14, nos. 10-11 (1968).

(٤) أنظر مادة «فلسطين» في:

Encyclopedia of Islam, new ed.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) أنظر الصفحة ٤٣٩ في:

Philip K. Hitti, *History of the Arabs from the Earliest Times to the Present*, 8th ed. (London: Macmillan & Co.; New York: St. Martin's Press, 1964).

(٧) أنظر الصفحة ١١ من مقال طيباوي:

«Jerusalem...»

(٨) أنظر الصفحة ٢٣٤ في:

Stanley Lane-Poole, *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem* (Beirut: Khayats, 1964).

(٩) أنظر الصفحات ١٧٠ ـ ١٩٤ في مقال:

St. H. Stephan, «An Endowment Deed of Khasseki Sultan, Dated the 24th of May 1552,» *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*, vol. 10, no. 4.

(١٠) أنظر الصفحة ٣٤ في:

Amnon Cohen, *Jewish Life under Islam: Jerusalem in the Sixteenth Century* (Cambridge, Mass. and London: Harvard University Press, 1984).

التعليقات

(١) كان فيليكس بونفيس (Félix Bonfils) (١٨٣١ ـ ١٨٨٥) وابنه ادريان (Adrien) (١٨٦٠ ـ ١٩٢٩) من أوائل المصوّرين الأوروبيين الفوتوغرافيين الذين سكنوا وعملوا في الشرق الأوسط. ويعود تاريخ صور الأب الى الفترة ما بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٨٧٧، بينما تعود صور الابن الى الفترة ما بين سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٩٥.

القسم الثاني: من الاحتلال البريطاني الى الثورة الفلسطينية الكبرى، ١٩١٨ ـ ١٩٣٥

المقدمة

(١) أنظر الصفحات ١٥٥ ـ ١٦٠ من الشهادة التي أدلى بها، أمام الكونغرس الأميركي، الزعيم الصهيوني الأميركي الحاخام ستيفن س. وايز (Stephen S. Wise) في:

Admission of German Refugee Children, Joint Hearings on S. J. Res. 64 and H. J. Res. 168, 76th Cong., 1st sess., 1939.

كذلك أنظر الصفحات ٢٦٦ ـ ٢٧٠ في:

Robert Briscoe with Alden Hatch, *For the Life of Me* (Boston: Little, Brown & Co., 1958).

التعليقات

(١) أنظر الصفحة ٣٢٣ من المجلد الأول، في:

A Survey of Palestine: Prepared in December 1945 and January 1946 for the Information of the Anglo-American Committee of Inquiry, 2 vols. and supp. (Jerusalem: Government of Palestine, 1946).

(٢) أنظر الصفحة ١٣ في:

The Area of Cultivable Land in Palestine (Jerusalem: Jewish Agency, 1936).

(٣) أنظر المجلد الأول، الصفحات ٣١٤ ـ ٣٣٩، في:

Survey of Palestine.

(٤) أنظر المجلد الأول، الصفحة ٣٣١، في:

Survey of Palestine.

(٥) أنظر رسالة غيلمان (Gillman) الى بورتر (Porter)، بتاريخ ١٦ كانون الأول / ديسمبر ١٨٨٦، في:

U.S. Government, *Documents of the Jerusalem Consulate.*

(٦) أنظر المجلد الأول، الصفحة ٣٣٩، في:

Survey of Palestine.

القسم الثالث: الثورة الكبرى، ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩

التعليقات

(١) أنظر المجلد الأول، الصفحة ٣٨، في:

Survey of Palestine.

(٢) أنظر الصفحتين ١٣ ــ ١٤ في:

David Ben-Gurion, *Jewish Observer and Middle East Review,* 20 September 1963.

(٣) أنظر المجلد الثاني، الصفحتين ٥٩٤ ــ ٥٩٥، في:

Survey of Palestine.

(٤) أنظر الصفحتين ٦٣ ــ ٦٤ في:

Leonard Mosley, *Gideon Goes to War* (New York: Scribner, 1955).

(٥) أنظر المجلد الأول، الصفحات ٤٣ و٤٦ و٤٩، في:

Survey of Palestine.

القسم الرابع: من مؤتمر لندن الى توصية هيئة الأمم بتقسيم فلسطين، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٧

المقدمة

(١) أنظر الصفحة ٨٧ من مقدمة القسم الثاني أعلاه، من هذا الكتاب.

(٢) أنظر الصفحة ٣٤٧ في:

Nicholas Bethell, *The Palestine Triangle: The Struggle between the British, the Jews and the Arabs, 1935-48* (London: André Deutsch, 1979).

يلاحظ أن الأرقام المذكورة تعود الى فترة آب/ أغسطس ١٩٤٥ ــ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٧.

التعليقات

(١) بالنسبة الى آراء يتسحاق شمير، رئيس وزراء اسرائيل الحالي، في شأن جواز الاغتيال السياسي، أنظر الصفحتين ٢٧٧ ــ ٢٧٨ في:

Bethell, *The Palestine Triangle.*

(٢) كانت منظمة الهاغاناه «رسمية» بمعنى أنها كانت بإمرة الزعامة الصهيونية، المسؤولة عن الوكالة اليهودية، وأن السلطات البريطانية تغاضت عن ذلك وإن كانت لم تعترف بالهاغاناه «رسمياً».

القسم الخامس: الحرب الداخلية ومحاولة تحطيم المجتمع الفلسطيني، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ ــ أيار/ مايو ١٩٤٨

المقدمة

(١) أنظر الصفحة ١٢٧ في:

Evan M. Wilson, *Decision on Palestine* (Stanford, Calif.: Hoover Institution Press, 1979).

(٢) أنظر الصفحات ٧ ــ ١١ من المقال:

«Reflections on Zionist Policy,» *The Jewish Frontier* (October 1948).

(٣) أنظر الصفحة ٤٨ في:

P. J. Loftus, *National Income of Palestine, 1944* (Jerusalem: Government Printer, 1946).

(٤) أنظر الصفحة ١١ من المذكرة المقدمة من قيادة «المقاومة اليهودية»:

Head of Command, Jewish Resistance Movement, to Joint Chairman [*sic*], Anglo-American Committee of Inquiry, 25 March 1946, Jerusalem.

(٥) أنظر الصفحتين ١٣٨ ــ ١٣٩ في:

Moshe Pearlman, *Ben-Gurion Looks Back in Talks with Moshe Pearlman* (New York: Simon & Schuster, 1965).

(٦) أنظر المجلد الثالث (بالعبرية)، الصفحات ١٢٥٣ ــ ١٢٥٥، والملحق رقم ٣٩، الصفحات ١٩٣٩ ــ ١٩٤٣ من المجلد ذاته، في:

بن تسيون دينور (محرر)، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه)، (تل ابيب: المكتبة الصهيونية ــ معراخوت، ١٩٥٤ ــ ١٩٧٢)، وهو التاريخ الرسمي للهاغاناه الذي يقع في ثمانية مجلدات بالعبرية لم تترجم الى اية لغة اخرى.

(٧) أنظر المجلد الثالث، الصفحات ١٤٧٢ ــ ١٤٧٥، وكذلك الملحق رقم ٤٨، الصفحات ١٩٥٥ ــ ١٩٦٠ من المجلد ذاته، في المصدر العبري نفسه المذكور أعلاه.

(٨) أنظر الصفحة ٢٣٨ من مقدمة القسم الرابع أعلاه، من هذا الكتاب.

(٩) أنظر المجلد الثاني، الصفحة ١٦١، في:

Harry S. Truman, *Years of Trial and Hope* (London: Hodder and Stoughton; New York: Doubleday, 1956).

(١٠) أنظر الصفحات ٣٠٣ ــ ٣٠٨ في:

M.W. Weisgal and S. Carmichael, eds., *Chaim Weizmann: A Biography by Several Hands* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1962).

التعليقات

(١) أنظر المجلد الثالث، الفصل ٧٧، الصفحة ١٥٤٦ وما يليها، في: دينور (محرر)، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه).

(٢) أنظر كتاب نافذ نزّال:

The Palestinian Exodus from Galilee, 1948 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1978).

(٣) أنظر الفصل ٧٠، الصفحة ١٣٩٥ وما يليها، في: دينور (محرر)، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه).

(٤) أنظر الصفحة ١٢٣ في:

David Ben-Gurion, *A Personal History of Israel* (New York: Funk & Wagnalls; New York – Tel Aviv: Sabra Books, 1971).

تأسس الصندوق القومي اليهودي سنة ١٩٠١ ــ أنظر التسلسل الزمني للأحداث في القسم الأول أعلاه، من هذا الكتاب، ص ٣٨.

مصادر الصور

رموز الأحرف التي تسبق أرقام الكاتالوغ

H : مجموعة الحاج امين الحسيني.
J : مجموعة واصف جوهرية.
R : مجموعة خليل رعد.
WK : مجموعة وليد الخالدي الخاصة.
PC : المجموعة الفوتوغرافية في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
PLO : أرشيف مركز الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية.
Q اوE: مجموعة متحف الحرب الامبراطوري.
M : ماتسُن للخدمات الفوتوغرافية في مكتبة الكونغرس.

رقم ١. R-453
٢. R-1957
٣. J1/12
٣أ. WK1
٣ب. WK2
٤. J1/37
٥. R-671
٦. J1/44
٧. J1/20
٨. R-933
٩. R-922
١٠. Q59305
١١. Q12301
١٢. Q52135
١٣. Q82517
١٤. Q13213
١٥. J2/7
١٦. Q55530
١٧. Q12331
١٨. Q12325
١٩. Q12335
٢٠. R-296
٢١. R-308
٢٢. R-309
٢٣. R-154
٢٤. R-1978
٢٥. PC81/46
٢٦. PC81/64
٢٧. R-160
٢٨. PC81/63

رقم ٢٩. R-2507
٣٠. PC81/240
٣١. J6/45
٣٢. J6/39
٣٣. J6/43
٣٤. PC81/39
٣٥. R-96
٣٦. R-167
٣٧. PC81/43
٣٨. R-715
٣٩. PC81/56
٤٠. PC81/47
٤١. PC81/48
٤٢. M36-313
٤٣. PC81/44
٤٤. PC81/45
٤٥. J7/32
٤٦. R-297
٤٧. R-432
٤٨. R-168
٤٩. PC81/52
٥٠. R-960
٥١. PC81/51
٥٢. R-48
٥٣. R-147
٥٤. PC81/42
٥٥. R-220
٥٦. J7/30
٥٧. PC81/65
٥٨. R-3

رقم ٥٩. PC81/84
٦٠. PC81/140
٦١. J5/19(206)
٦٢. PC81/32
٦٣. PC81/83
٦٤. PC81/87
٦٥. PC81/31
٦٦. J5/18
٦٧. J1/15
٦٨. J1/17
٦٩. PC81/264
٧٠. J5/17
٧١. J5/1(156)
٧٢. R-91
٧٣. J1/61
٧٤. J5/11
٧٥. J1/50
٧٦. J1/31
٧٧. PC81/37
٧٨. J4/7
٧٩. J2/23
٨٠. J2/19(50)
٨١. J2/19(49)
٨٢. PC81/77
٨٣. PC81/78
٨٤. J2/41
٨٥. PC81/112
٨٦. H-20
٨٦أ. PC81/331
٨٦ب. PC81/335
٨٧. PC81/79
٨٨. H-34
٨٩. J4/35
٩٠. R-1338
٩١. M33-4138
٩٢. J2/59
٩٣. M33-4151
٩٤. J2/61
٩٥. M32-4146
٩٦. R-1315
٩٧. R-1314
٩٨. J3/17
٩٩. J3/25

رقم ١٠٠. J3/7
١٠١. PC81/169
١٠٢. PC81/118
١٠٣. J3/14
١٠٤. PC81/173
١٠٥. PC81/321
١٠٦. J3/35
١٠٧. M33-4210
١٠٨. M33-4216
١٠٩. M33-4212
١١٠. J3/32
١١١. PC81/144
١١٢. PC81/183
١١٣. PC81/265
١١٤. R-385
١١٥. R-2054
١١٦. R-682
١١٧. R-2261
١١٨. R-681
١١٩. R-1932
١٢٠. R-1426
١٢١. R-1583
١٢٢. R-382
١٢٣. R-2061
١٢٤. R-619
١٢٥. R-1686
١٢٦. R-629
١٢٧. R-1704
١٢٨. R-2912
١٢٩. R-408
١٣٠. R-667
١٣١. R-1519
١٣٢. R-1458
١٣٣. R-105
١٣٤. R-1719
١٣٥. R-1720
١٣٦. R-1278
١٣٧. R-63
١٣٨. R-1657
١٣٩. R-1673
١٤٠. R-1475
١٤١. R-1502
١٤٢. R-580

رقم ١٤٣. R-1348
١٤٤. R-1636
١٤٥. M33-11478
١٤٦. R-2460
١٤٧. R-2405
١٤٨. R-1001
١٤٩. R-1494
١٥٠. R-17
١٥١. R-575
١٥٢. R-1634
١٥٣. R-1635
١٥٤. R-1371
١٥٥. R-391
١٥٦. R-395
١٥٧. R-2023
١٥٨. R-2001
١٥٩. M34-3773
١٦٠. R-1940
١٦١. PC81/241
١٦٢. R-728
١٦٣. R-2021
١٦٤. PLO9B/194
١٦٥. PC81/242
١٦٦. PLO9B/245
١٦٧. R-2472
١٦٨. R-2478
١٦٩. PC81/75
١٧٠. R-2046
١٧١. R-302
١٧٢. R-2412
١٧٣. R-2416
١٧٤. R-449
١٧٥. R-747
١٧٦. R-440
١٧٧. R-775
١٧٨. R-184
١٧٩. R-2906
١٨٠. R-724
١٨١. R-2907
١٨٢. PC80/8
١٨٣. R-2229
١٨٤. R-215
١٨٥. R-1353
١٨٦. R-527
١٨٧. R-78
١٨٨. PC81/143
١٨٩. PLO9B/1
١٩٠. R-1381
١٩١. R-1382
١٩٢. R-1601
١٩٣. R-208
١٩٤. PC81/67
١٩٥. PC81/254

رقم ١٩٦. J3/15
١٩٧. PC81/320
١٩٨. J3/22
١٩٩. J3/56
٢٠٠. PC81/319
٢٠١. J5/49
٢٠٢. H-21
٢٠٣. R-1794
٢٠٤. R-1238
٢٠٥. J3/27
٢٠٦. R-672
٢٠٧. R-1225
٢٠٨ز R-1229
٢٠٩. J5/19(207)
٢١٠. PC81/89
٢١١. PC82/2
٢١٢. PC82/3
٢١٣. PC82/5
٢١٤. PC82/8
٢١٥. PC82/12
٢١٦. PC81/128
٢١٧. PC81/234
٢١٨. PC81/129
٢١٩. J2/44
٢٢٠. PC81/130
٢٢١. PC81/126
٢٢٢. PC81/253
٢٢٣. PC81/133
٢٢٤. PC81/131
٢٢٥. PC81/256
٢٢٦. PC82/15
٢٢٧. PC82/19
٢٢٨. PC81/90
٢٢٩. R-1277
٢٣٠. PC82/22
٢٣١. PC81/246
٢٣٢. PC81/125
٢٣٣. PC81/235
٢٣٤. PC82/21
٢٣٥. PC81/132
٢٣٦. PC82/43
٢٣٧. PC82/44
٢٣٨. PC81/111
٢٣٩. M33-12644
٢٤٠. PC81/35
٢٤١. PC81/127
٢٤٢. M33-9157
٢٤٣. M33-9037
٢٤٣أ. PC81/76
٢٤٣ب. PC81/280
٢٤٣جـ. PC81/279
٢٤٤. M33-9029
٢٤٥. PC81/325

رقم ٢٤٦. PC81/327
٢٤٧. PC81/324
٢٤٨. PC81/224
٢٤٩. PC81/117
٢٥٠. PC81/68
٢٥٠أ. PC81/336
٢٥٠ب. PC81/337
٢٥٠جـ. PC81/338
٢٥٠د. PC81/339
٢٥٠هـ. PC81/340
٢٥٠و. PC81/341
٢٥٠ز. PC81/342
٢٥١. PC82/25
٢٥٢. M33-9102
٢٥٣. PC81/196
٢٥٤. PC82/24
٢٥٥. H-32
٢٥٦. PC82/49
٢٥٧. M33-9026
٢٥٨. PC81/326
٢٥٩. PC80/2
٢٦٠. PC80/5
٢٦١. PC80/3
٢٦٢. M33-9019
٢٦٣. PC81/195
٢٦٤. PLO2/15
٢٦٥. M33-9229
٢٦٦. R-1837
٢٦٧. R-1174
٢٦٨. PC81/287
٢٦٩. PC81/286
٢٧٠. PC81/263
٢٧١. PC81/121
٢٧٢. PLO2/48
٢٧٣. PC81/192
٢٧٤. M33-9808
٢٧٥. PC82/26
٢٧٦. M32-9894
٢٧٧. R-1776
٢٧٨. M33-10040
٢٧٩. M33-7897
٢٨٠. PC81/16
٢٨١. R-1326
٢٨٢. M33-9837
٢٨٣. M33-9829
٢٨٤. PC82/35
٢٨٥. PC82/58
٢٨٦. M33-9974
٢٨٧. M33-9966
٢٨٨. R-1320
٢٨٩. PC81/231
٢٩٠. PC82/28
٢٩١. PC81/115

رقم ٢٩٢. M33-12069
٢٩٣. PC81/29
٢٩٤. PC81/25
٢٩٥. PC81/24
٢٩٦. E31820
٢٩٧. E31819
٢٩٨. R-1190
٢٩٩. E31952
٣٠٠. E31953
٣٠١. E31969
٣٠٢. E31975
٣٠٣. E32050
٣٠٤. E32045
٣٠٥. PC81/116
٣٠٦. E32079
٣٠٧. PC81/20
٣٠٨. PC81/295
٣٠٩. PLO8/36
٣١٠. M33-3476
٣١١. R-1805
٣١٢. PC81/148
٣١٣. PC80/11
٣١٤. M33-12768
٣١٥. M34-4380
٣١٦. M33-3538
٣١٧. PC81/23
٣١٨. PC81/262
٣١٩. E16717
٣٢٠. PC80/9
٣٢١. PC81/248
٣٢٢. R-2099
٣٢٣. M31-12865A
٣٢٤. R-2144
٣٢٥. R-253
٣٢٦. R-2177
٣٢٧. PC82/31
٣٢٨. PC82/30
٣٢٩. R-1143
٣٣٠. R-2098
٣٣١. R-2097
٣٣٢. R-743
٣٣٣. PC82/59
٣٣٤. PC82/60
٣٣٥. R-1376
٣٣٦. M33-11511
٣٣٧. E20769
٣٣٨. M33-11503
٣٣٩. M33-11505
٣٤٠. M33-11495
٣٤١. M33-11563
٣٤٢. M33-11570
٣٤٢أ. PC82/53
٣٤٢ب. PC82/54

رقم ٢٤٢جـ. PC81/273
٢٤٢د. PC81/274
٢٤٢هـ. PC81/271
٢٤٢و. PC81/149
٢٤٢ز. PC81/151
٢٤٢حـ. PC81/278
٢٤٢ط. PC81/267
٢٤٢ي. PC81/272
٢٤٢ك. PC81/270
٢٤٢ل. PC81/269
٢٤٢م. PC81/276
٢٤٢ن. PC81/275
٢٤٢س. PC82/51
٢٤٢ع. PC82/52
٢٤٢ف. PC81/268
٢٤٣. PC82/39
٢٤٤. PC81/285
٢٤٥. PC82/1
٢٤٦. PC82/41
٢٤٧. J6/33(86)
٢٤٨. PC81/69
٢٤٩. PC81/228
٢٥٠. PC82/42
٢٥١. PC82/58
٢٥٢. J4/8

رقم ٢٥٣. PC81/73
٢٥٤. PC82/50
٢٥٥. PC82/40
٢٥٦. PC81/71
٢٥٧. PC81/27
٢٥٨. PC81/135
٢٥٩. J4/12
٢٦٠. PC81/70
٢٦١. PC81/255
٢٦٢. PC81/245
٢٦٣. PC81/142
٢٦٤. PC81/318
٢٦٥. WK3
٢٦٦. R-1271
٢٦٧. M33-11311
٢٦٨. M34-11574
٢٦٩. PC81/36
٢٧٠. R-1622
٢٧١. PC81/138
٢٧٢. PC82/45
٢٧٣. R-911
٢٧٤. R-1384
٢٧٥. E31889
٢٧٦. PC81/215
٢٧٧. PC81/252

رقم ٢٧٨. PC81/288
٢٧٩. PC81/258
٢٨٠. J4/30
٢٨١. PC81/330
٢٨٢. PC81/328
٢٨٣. PC82/33
٢٨٤. PC81/225
٢٨٥. PC81/229
٢٨٦. PC81/290
٢٨٧. PLO2/92
٢٨٨. PC81/292
٢٨٩. PC81/299
٢٩٠. PC81/297
٢٩١. PC81/316
٢٩٢. PC81/298
٢٩٣. PC81/301
٢٩٤. PC81/300
٢٩٥. PC81/302
٢٩٦. PLO2/11
٢٩٧. PLO2/1
٢٩٨. PC80/6
٢٩٩. PC80/7
٤٠٠. PC81/201
٤٠١. PC81/303
٤٠٢. PC81/304

رقم ٤٠٣. PLO2/27
٤٠٤. PC81/203
٤٠٥. PC81/204
٤٠٦. PC81/21
٤٠٧. PC80/7A
٤٠٨. PLO2/17
٤٠٩. PC81/306
٤١٠. PC81/308
٤١١. PC81/307
٤١٢. PC81/310
٤١٣. PC81/315
٤١٤. PC81/9
٤١٥. PLO9/3
٤١٦. PC81/311
٤١٧. PC81/313
٤١٨. PC81/312
٤١٩. PC81/12
٤٢٠. PC81/305
٤٢١. PC82/57
٤٢٢. PC82/56
٤٢٣. PC82/55
٤٢٤. PC81/30
٤٢٥. PC81/329
٤٢٦. PC81/7
٤٢٧. R-379

نبذة عن المؤلف

ولد المؤلف في القدس سنة ١٩٢٥، وتخرج من جامعة لندن (١٩٤٥) وجامعة أكسفورد (١٩٥١). عمل باحثا في المكتب العربي في القدس سنة ١٩٤٦، وأستاذا للدراسات الشرقية في جامعة أكسفورد (١٩٥١ ــ ١٩٥٦). استقال من منصبه في جامعة أكسفورد احتجاجا على اشتراك بريطانيا في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، وعمل أستاذا للعلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت منذ سنة ١٩٥٧. امضى العام الدراسي ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ باحثا مشاركا في دراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون، وساهم مع بعض الزملاء سنة ١٩٦٣ في إنشاء مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، متوليا أمانة سرها منذ ذلك الحين. في حزيران/يونيو ١٩٦٧، عمل مستشارا للوفد العراقي في هيئة الأمم المتحدة. وفي سنة ١٩٦٨، ساهم مع بعض الزملاء في إنشاء المعهد العلمي الملكي في عمان. انتسب الى جامعة هارفارد منذ سنة ١٩٧٦ بصفة زميل في مركز الدراسات الدولية (١٩٧٦ ــ ١٩٧٨)، ثم بصفة أستاذ زائر للعلوم السياسية (١٩٧٨ ــ ١٩٨٢)، ثم بصفة أستاذ باحث في مركز دراسات الشرق الأوسط (١٩٨٢ ــ). في سنة ١٩٨٣، انضم الى اللجنة السباعية العربية التي زارت لندن بطلب من مؤتمر القمة. للمؤلف دراسات عديدة بالعربية والانكليزية تتعلق بالصراع العربي ــ الصهيوني، والعلاقات الدولية في الشرق الأوسط. كما ان مقالاته نشرت في أكبر الصحف والمجلات العربية والانكليزية.

تعليقات في الصحف الأجنبية على الكتاب

«طالما سمح بالشعار الصهيوني "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"... إن هذا الكتاب الرائع هو [illegible] الدامغة لهذا القول.»

«لوموند ديبلوماتيك» باريس

«سيصبح هذا الكتاب مرجعاً كلاسيكياً، ومن لا يقتنيه اليوم سيندم على ذلك غداً.»

السفير الأميركي السابق، ريتشارد باركر
«مجلة الدراسات الفلسطينية»

«يؤثر هذا الكتاب في النفس أكثر من أي كتاب آخر صدر حتى الآن عن الشعب الفلسطيني في الولايات المتحدة.»

السفير الأميركي السابق، أندرو كيلغور
نشرة «واشنطن ريبورت»

«يشعر القارئ كأنه يعيش فعلاً الأحداث التي يصفها الكتاب.»

بروفسور [illegible] ج. مارتن
«المجلة الدولية للدراسات الإسلامية والعربية»

«صور جلية، وتعليقات فاصلة.»

«هارفارد ماغازين»

«الجواب الدامغ على كذب الصهيونية بأنه لم يكن لفلسطين شعب عربي أصيل.»

بول هاربر
مجلة «ميدل إيست انترناشونال»، لندن

«على كل من يريد أن يفهم الوضع الفلسطيني في إطاره الصحيح أن يقرأ هذا الكتاب المأساوي العميق.»

[illegible]
نشرة [illegible]، واشنطن

«هذه المجموعة الغزيرة من الصور تنقل بكثير من العمق تاريخ فلسطين المضطرب، من أيام الحكم العثماني الأخيرة إلى قيام إسرائيل.»

«واشنطن بوست»

«سيجتذب هذا الكتاب القارئ العادي والمهتمين بقضايا حقوق الإنسان، لكنه يشكل أيضاً مرجعاً مهماً لأساتذة العلوم الاجتماعية والسياسية...»

[illegible]
«ميدل ايست جورنال»، واشنطن